



المملكة العربية السعودية

الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي

إدارة الأمن الفكري بالمسجد الحرام

سلسلة الإصدارات العلمية - إصدار رقم (٥)

بلوغ الآمال في تحقيق الوسطية والاعتدال



تأليف

معالي الشيخ الأستاذ الدكتور

عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس

الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي

إمام وخطيب المسجد الحرام



الطبعة الثالثة (مزيدة ومنقحة)

ح مدار الوطن للنشر ، ١٤٣٧ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
السديس، عبد الرحمن عبد العزيز
بلوغ الآمال في تحقيق الوسطية والاعتدال / عبد الرحمن عبد العزيز السديس - الرياض، ١٤٣٧هـ
٣٨٤ص ؛ ١٧*٢٤ سم
ردمك: ٦ -٥١ - ٨١٧١ -٦٠٣ - ٩٧٨
١- الوسطية في الإسلام
٢-الوعظ والإرشاد أ- العنوان
ديوي ٢١١ ٦٠٠٧ / ١٤٣٧

رقم الإيداع: ٦٠٠٧/ ١٤٣٧
ردمك : ٦ -٥١ - ٨١٧١ -٦٠٣- ٩٧٨

الطبعة الثالثة
مزيدة ومنقحة
(١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م)



المملكة العربية السعودية - الرياض
المقر الرئيسي - الروضة - ت: ١١٢٣١٣٠١٨
ت: ١١٤٧٩٢٠٤٢ (٣ خطوط) - ف: ١١٢٣٢٢٠٩٦
الموقع الإلكتروني www.madaralwatan.com.sa
البريد الإلكتروني pop@madaralwatan.com.sa
madaralwatan@hotmail.com

المقدمة



الحمد لله تفرد بالربوبية والألوهية كمالًا، واختص بالأسماء الحسنى والصفات العلى جلالًا وجمالا، أحمده تعالى وأشكره على سوابغ نعمه إفضالًا، وجزيل عطائه نوالًا، وأسأله المزيد من فضله دعاءً وابتهالًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، أمر بالتمسك بالإسلام وسطيةً واعتدالًا، وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله المبعوث بأوسط شريعة وأكملها خلالًا، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، أَكْرِمْ بهم صحبًا وأنعم بهم آلًا، والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وسلم تسليمًا يترى غدوًّا وآصالًا.

أما بعد: فإنه بقدر تمسك الأمم بمميزاتها الحضارية، والتزام الشعوب بثوابتها وخصائصها القيمية، بقدر ما تحقِّق الأمجادَ التاريخية، والعطاءات الإنسانية.

ولقد برزت في عالمنا المعاصر صور وظواهر من الانحرافات، تهدد الأمن الدولي، وتعرِّض السلام العالمي للخطر وعدم الاستقرار، فإن مردَّ ذلك إلى التفريط في المبادئ الحضارية، والتهاون بالمثل والقيم الإنسانية، ومن يجيل النظر في جوانب عظمة هذا الدين - الذي أكرمنا الله به، وهدانا إليه- يُلْفِي أن هناك سمة بارزة، وميزة ظاهرة، كانت سببًا في تبوُّء هذه الأمة مكانتها المرموقة بين الأمم، ومنحها مؤهلات القيادة والريادة للبشرية، ومقومات الشهادة على الناس كافة.

إنها سمة «**الوسطية والاعتدال**»، التي تُجلي صورَ سماحة الإسلام، وتبرز محاسن هذا الدين، ورعايته للمثل الأخلاقية العليا، والقيم الإنسانية الكبرى، يقول الحق- تبارك وتعالى-: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣].

ومن هنا تأتي أهمية الحديث في هذه القضية الرئيسة، لاسيما في هذا الزمن الذي اشتدت فيه الحملةُ على الإسلام، ورُمِيَ أتباعُه بمصطلحات موهمة، وألفاظ مغرضة؛ لتشويه صورته والتنفير منه؛ تصيُّدًا لأخطاء بعض المنتسبين إليه، في زمن قُلِبتْ فيه الحقائقُ، ونكست فيه المقاييس، وبُلِيَ بعضُ أهل الإسلام بمجانبة هذا المنهج الوضاء؛ فعاشوا حياة الإفراط أو التفريط، وسلكوا مسلك الغلو أو الجفاء، «ودين الله وسط بين الغالي فيه والمقصر عنه»[١]، و«الـمُنْبَتُّ لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى»[٢].

فقصارى القول: إن وسطية الإسلام شاملة جامعة لكل أمور الدين والدنيا والآخرة، بل إنها وجه من وجوه الإعجاز فيه وصلاحيته لكل زمان ومكان، وبهذه الوسطية تعظم مسؤولية الأمة الإسلامية، ودورها العالمي، فهي أمة الوسطية والشهادة: قال -سبحانه- ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى

---

(١) أخرجه الإمام الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٣/ ١١٤٣)، «تاريخ الإسلام» (٣١/ ١٠٥) من قول الخطيب البغدادي.

(٢) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» باب القصد في العبادة (٣/ ١٨) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٠٢٢).

ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٤٣]، شهادةً تُصان فيها الحقوقُ، وتتحقق معها العدالةُ، وتُحفَظ بها الكرامةُ، وتُبْنَى على أساسها الحضارةُ المعاصرةُ، بعد أن شقي العالم بألوان من الصراعات، وأُنْهِكَتِ البشريةُ بأنواع من الصدامات، وتقاذفت الإنسانيةَ أمواجٌ من الأنظمة والأهواء، ومُزِّقَتْ كياناتُها في رحلة مُنهِكة من الضياع، وطُوِّح بها في هوة سحيقة من الفناء، وبؤرة عميقة من التِّيه والعَدَم؛ وذلك بسبب الصَّلَف والتطرف، والأحادية في الرأي، والشطط في الرؤى والمواقف.

ولئن آل حال العالَـم إلى ما نراه اليوم: من تسلط وصراع حضاري مرعب، فإن الأمل -بعد الله- في أمة الوسطية والاعتدال، أن تنهض من عثرتها، وتُفيق من غفلتها، وتجتمع إثر شتاتها، بعد أن اِلْتاعت طويلًا، جراء جنوح بعض أبنائها والمحسوبين عليها عن منهج الوسطية في مجالات عقدية وفكرية، وسلوكية وثقافية وإعلامية، وأصبح بعض أبنائها يقتات من فتات موائد الغرب، في لون من ألوان التطرف الفكري، تقابله ردود أفعال مخالفة في الرأي، معاكسة في الاتجاه، قد سلكت مسلك التجاوز والشطط، مع تضخيم إعلامي مفضوح، حتى وُصِمَ الإسلامُ بأخطاء هذا وتقصير ذاك.

ومن المقرَّر لدى النَّصَفَة: أن خطأ الفرد في تطبيق نظام ما، ليس عيبًا في النظام نفسه، ومن زعم خلاف ذلك، فقد جانب المصداقية والموضوعية والواقعية.

غير أنّ ثمّةَ ملحظًا أخيرًا مهمًّا، وهو أن الوسطية في الإسلام لا تخضع للأهواء والرغبات، فليست تنصُّلًا من الثوابت والمقومات، ولا تمردًا على المبادئ والغايات، وإنما تُضْبَطُ بضوابط الشريعة، وأحكامها البديعة.

فمن الناس من يحمل على كل ملتزم بدينه -لاسيما من أهل الخير والحسبة والإصلاح- ويصفهم بالتَّزَمُّت والغلوِّ، فمن يلتزم بالسنة -باطنًا وظاهرًا- فهو عندهم متحجِّر متشدِّد، ومن يدعو إلى الإسلام غالٍ متنطِّع، والغُيَّر عليه: رَجْعِيُّون متأخرون!

أمّا المنهزمون المتفلِّتون من الـمثل، المفرطون في القيم، المتلاعبون بالثوابت والمبادئ، فهؤلاء عندهم: متمتعون بسعة الأفق، متحرِّرون متنوِّرون، منفتحون على الآفاق المعاصرة، واقعيون في النظر والسلوك!

ولَعمر الحق إن هذا نوع من التطرف المحموم، والفكر المسموم، في مقابل التطرف المذموم، مما يحمل طلَّاب الوسطية على تحقيق الاعتدال بين ذَينِكَ الطرفين.

ولذا، فإن الدعوة موجهة من بلاد الوسطية حسًّا ومعنًى، مكانًا وزمانًا، عقيدةً ومنهاجًا -زادها الله خيرًا وهدى وتوفيقًا- إلى أن يفيء العالم إلى ظلال هذه الوسطية المتألقة؛ ليحقق لنفسه ولمن حوله الخيرَ والفضل والتميز والسلام؛ ليعيش الناس في أمن وأمان، وإخاء ووئام، ولتنبثق إشراقة الحب والتراحم، والألفة والتلاحم بين العباد، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٢١].

وفي إثر هذه الإضاءة عن أهمية الموضوع، جاء هذا الكتاب إسهامًا في تشييد هذا البناء المشمخرّ، وتسليطًا للضوء على هذه المسألة الجليلة، ولعلي أوفق في إنارة الطريق للباحثين عن الحق في هذه القضية المهمة، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

كتبه

معالي الشيخ الأستاذ الدكتور

عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس

الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي

إمام وخطيب المسجد الحرام



خطة العمل في الكتاب:

حيث يشتمل على: مقدمة، وتمهيد، وعشرة مباحث، وخاتمة.

المقدمة.

وتشتمل على:

١- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

٢- خطة الكتاب.

٣- منهج الكتاب.

التمهيد:

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بالوسطية والاعتدال في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: التعريف ببعض الألفاظ وثيقة الصلة بالموضوع.

المبحث الأول: الوسطية في القرآن والسنة.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الوسطية في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الوسطية في السنة المطهرة.

المبحث الثاني: معالم الخيرية في أمة الوسطية.

ويشتمل على تسعة مطالب:

المطلب الأول: إيمانها بالله تعالى وجميع رسله وكتبه.

المطلب الثاني: أمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الثالث: كونها أعدل الأمم وأقسطها.

المطلب الرابع: نبيها ﷺ أفضل الأنبياء والرسل عليهم السلام.

المطلب الخامس: كتابها أفضل الكتب.

المطلب السادس: أكثر الأمم استجابة للأنبياء.

المطلب السابع: أمة لا تجتمع على ضلالة.

المطلب الثامن: أول الأمم حشرًا وحسابًا ودخولًا الجنة.

المطلب التاسع: أكثر أهل الجنة عددًا.

المبحث الثالث: سمات الوسطية وخصائصها في الإسلام.

ويشتمل على عشرة مطالب:

المطلب الأول: كونها ربانية.

المطلب الثاني: كونها على هَدْي خير الخلق.

المطلب الثالث: موافقتها للفطرة.

المطلب الرابع: سلامتها من التناقض.

المطلب الخامس: ثباتها وانضباطها.

المطلب السادس: شمولها وكمالها.

المطلب السابع: براءتها من الغلوِّ.

المطلب الثامن: التيسير ورفع الحرج.

المطلب التاسع: مراعاة القيم الإنسانية.

المطلب العاشر: الحكمة والتوازن.

المبحث الرابع: ضوابط الوسطية في الإسلام.

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: اعتمادها على النصوص والأدلة الشرعية.

المطلب الثاني: موافقتها لمنهج السلف رحمهم الله.

المطلب الثالث: مراعاتها لمقاصد الشريعة ومآلاتها.

المطلب الرابع: أن يتولى بيانها وتحديدها أهل العلم المعتبرون.

المبحث الخامس: مجالات الوسطية.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: وسطية الإسلام بين الملل الأخرى.

ويشتمل على سبعة عناصر:

أولًا: وسطية الإسلام في الاعتقاد.

ثانيًا: وسطية الإسلام في المنهج.

ثالثًا: وسطية الإسلام في العبادات.

رابعًا: وسطية الإسلام في المعاملات.

خامسًا: وسطية الإسلام في النظام السياسي.

سادسا: وسطية الإسلام في النظام الاقتصادي.

سابعا: وسطية الإسلام في النظام الاجتماعي.

المطلب الثاني: وسطية أهل السنة بين الفرق.

ويشتمل على خمسة عناصر:

أولًا: وسطية أهل السنة في الإيمان.

ثانيًا: وسطية أهل السنة في الأسماء والصفات.

ثالثًا: وسطية أهل السنة في القضاء والقدر.

رابعًا: وسطية أهل السنة في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

خامسًا: وسطية أهل السنة في آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

المبحث السادس: أهمية الوسطية خاصة لشباب الأمة وفتياتها.

المطلب الأول: تربية النشء على الوسطية والاعتدال.

ويشتمل على أربعة عناصر:

أولًا: التربية الرُّوحية.

ثانيًا: التربية الفكرية.

ثالثًا: التربية الجسدية.

رابعًا: العناية بقضايا المرأة.

المطلب الثاني: أسس التربية السليمة لتحقيق الوسطية.

أولا: بيان أهمية الوسطية للشباب والفتيات.

ثانيا: غرس العقيدة الصحيحة في نفوس الشباب والفتيات.

ثالثا: ترغيبهم في العلم الشرعي.

رابعا: إشراكهم في الأعمال النافعة.

خامسا: تربيتهم على الرجوع إلى العلماء وولاة الأمر عند النوازل.

المبحث السابع: تحقيق الوسطية: السُّبل والثمار والآثار.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: سبل تحقيق الوسطية:

أولًا: الاعتصام بالكتاب والسنة.

ثانيًا: التمسك بمنهج السلف رحمهم الله.

ثالثًا: العناية بالعلم الشرعي، والرجوع إلى العلماء.

رابعًا: السمع والطاعة لولاة الأمر.

خامسًا: لزوم الجماعة.

سادسًا: التحلي بمكارم الأخلاق.

سابعًا: الدعوة إلى الله.

المطلب الثاني: ثمار تحقيق الوسطية وآثارها:

أولًا: رضا الله تبارك وتعالى.

ثانيًا: تحقيق العبودية.

ثالثًا: تحقيق الأمن والاستقرار للأمة.

رابعًا: تحقيق سيادة الأمة وريادتها.

خامسًا: تحقيق السلام والأمن العالـميَّيْنِ.

سادسًا: انتشار الإسلام وظهور جمالياته وإشراقاته.

سابعًا: الفوز برضا الله والجنة.

المبحث الثامن: معوقات تحقيق الوسطية وطرق علاجها.

ويشتمل على تسعة مطالب:

المطلب الأول: الجهل

أولًا: أسبابه

ثانيًا: طرق علاجه

المطلب الثاني: التعصب

أولًا: أسبابه

ثانيًا: طرق علاجه

المطلب الثالث: الغلو

أولًا: أسبابه

ثانيًا: طرق علاجه

المطلب الرابع: التكفير

أولًا: أسبابه

ثانيًا: طرق علاجه

المطلب الخامس: اتباع الهوى

أولًا: أسبابه

رابعًا: النوادي الأدبية و المراكز الثقافية.

خامسًا: وسائل الإعلام، والإعلام الجديد.

المبحث العاشر: موطن الوسطية وموئل الاعتدال (المملكة العربية السعودية أنموذجًا)

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: جهود المملكة في مواجهة التكفير والإرهاب.

١ - الأثر البارز الفاعل لولاة أمر بلاد الحرمين الشريفين -حفظهم الله.

٢ - أثر هيئة كبار العلماء والمجامع الفقهية.

٣- أثر وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد.

٤ - أثر الجهات الأمنية في القضاء على التكفير.

٥ - أثر الجامعات ودور العلم والمدارس في المملكة.

٦ - أثر وسائل الإعلام.

المطلب الثاني: جهود المملكة في دعم وترسيخ الحوار الوسطي.

أولًا: جهود الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثانيًا: جهود الملك سعود بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثالثًا: جهود الملك فيصل بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

رابعًا: جهود الملك خالد بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

خامسًا: جهود الملك فهد بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

سادسًا: جهود الملك عبد الله بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١].

---

(١) كُتِب أصل هذا الكتاب في عهد الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

سابعًا: جهود خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز حفظه الله.

ثامنًا: جهود وزارة الداخلية في تحقيق الوسطية والاعتدال ومكافحة الغلو والتطرف.

تاسعًا: جهود الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي في تعزيز الوسطية والاعتدال ومواجهة الغلو والتطرف.

عاشرًا: جهود وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف وهيئة كبار العلماء.

المطلب الثالث: جهود المملكة في الاهتمام بقضايا المرأة:

أولًا: في النظام الأساسي للحكم.

ثانيًا: في مجال التعليم.

ثالثًا: الأحوال الشخصية والأنظمة.

رابعًا: الدعوة إلى الله.

خامسًا: المؤتمرات والمجالات العلمية والفكرية.

الخاتمة:

وتشتمل على أهم النتائج وأهم التوصيات.



منهج العمل في الكتاب

سلكت في هذا الكتاب الخطوات التالية:

١- جمع المادة العلمية وترتيبها حسب أهميتها وتسلسلها المنطقي عن طريق الاستقراء والتتبع.

٢- التركيز على إيراد أهم المسائل المتعلقة بالوسطية.

٣- اتباع كل مسألة من المسائل إما بالدليل أو التعليل.

٤- توثيق النقول مع عزوها إلى مظانِّها المعتبرة قدر الإمكان.

٥- عزو الآيات إلى سورها، مع ذِكْر رقم الآية واسم السورة.

٦- تخريج الأحاديث والآثار من مظانها الأصلية.

٧- ترجَمْتُ للأعلام ترجمة مختصرة.

هذه أبرز ملامح المنهج الذي سلكته في هذا الكتاب، سائلًا المولى - جل وعلا- أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، إنه نعم المولى ونعم النصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



التمهيـــد



ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بالوسطية والاعتدال في اللغة والاصطلاح:

أولًا: تعريف الوسطية والاعتدال في اللغة:

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: وسط: الواو والسين والطاء بِناءٌ صحيح يدلُّ على العَدل والنِّصف، وأَعْدَلُ الشيء أَوْسَطُهُ وَوَسَطُهُ[2].

وقال ابن منظور رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: وَسَطُ الشيء ما بين طَرَفَيْهِ، قال الشاعر:

---

(١) هو: أبوالحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي، كان إمامًا في اللغة وفي علوم شتى، أعطى اللغة جُلَّ همه إلى أن أتقنها، وصار فيها إمامًا، وألَّف فيها المؤلفات المتعددة. من أهم مؤلفاته: «معجم مقاييس اللغة»، و«المجمل» و«حلية الفقهاء»، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (٣٩٠هـ) بالري. ينظر: «وفيات الأعيان» (١/ ١١٨)، و«شذرات الذهب» (٣/ ١٣٢).

(٢) ينظر: «مقاييس اللغة» مادة (وسط) (٦/ ١٠٨).

(٣) هو: أبو الفضل محمد بن مكرَّم بن منظور الإفريقي، اللغوي الأديب المشهور، صاحب المعجم الكبير «لسان العرب»، وصاحب مختصرات كتب الأدب الكبرى كـ«الأغاني». ولد بمصر وقيل في طرابلس الغرب عام ٦٣٠هـ، خدم في ديوان الإنشاء، ثم ولي قضاء طرابلس الغرب، وعاد إلى مصر حيث عاش بقية حياته، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بها سنة ٧١١هـ، وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد، وقد كُفَّ بصره في آخر عمره. ينظر: «بغية الوعاة» للسيوطي (١/ ٢٤٨/ ٤٥٧)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ١٠٨).

إذا رَحَلْـتُ فـاجْعَلُونِي وَسَـطًا ** إِنِّي كَبِـيرٌ لاَ أُطِيـقُ العُنَّـدَا

وأَوْسَطُ الشيء: أَفْضَلُه وخِيَارُه، كوَسَطِ المَرْعَى خَيْرٌ مِنْ طَرَفَيهِ، وَوَسَطُ الدَّابَّةِ لِلرُّكُوبِ خَيْرٌ من طَرَفَيْهَا. وقد يكون «وسط» ظرفًا بمعنى: بَيْنَ، كَقَوْلِكَ: جَلَسْتُ وَسَطَ القوم، أي: بَيْنَهُمْ. وَوُسُوطِ الشَّمْسِ: تَوَسُّطُها السَّماءَ وواسِطَةُ القِلاَدَةِ: الجَوْهَرُ الذي هو في وَسَطِها، وهو أَجْوَدُها.

ويُقَالُ: هُوَ مِنْ أَوْسَطِ قَوْمِهِ أي: خِيَارِهِمْ، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ [القلم:٢٨] أي: أَعْدَلُهُم وَخَيْرُهُمْ، ومنه سُمِّيَتْ الصَّلاَةُ الوُسْطَى؛ لِفَضْلِهَا عَلَى سَائِرِ الصَّلوَاتِ.

وَوَسَطُ الشَّيْءِ وَأَوْسَطُهُ: أَعْدَلُه، قَال زُهَيْرٌ، مَادِحًا:

هُمُ وَسَطٌ يَرْضَى الأَنَامُ بِحُكْمِهِـمْ ** إِذَا نَزَلَتْ إِحْـدَى اللَّيَـالِي بِمعظَـمِ

ومعنى وسط: عَدْل. وشيء وسط أي: بين الجَيِّد والرَّديء[(١)].

وقال الجوهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: وَسِيطًا، أي: حَسِيبًا شَرِيفًا، وَفُلاَنٌ وَسِيطٌ فِي قَوْمِهِ، إذا كان أَوْسَطَهُمْ نَسَبًا وأَرْفَعَهُمْ محَلًا[(٣)].

---

(١) ينظر: «لسان العرب» مادة (وسط) (٧/ ٤٢٦).

(٢) هو: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، ولد سنة (٣٣٢هـ)، كان إمامًا في اللغة والأدب، قال عنه ياقوت الحموي: كان الجوهري من أعاجيب الزمان ذكاءً وفطنة، وهو إمام في علم اللغة والأدب، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (٣٩٣هـ) وقيل (٣٩٨هـ). ينظر: «معجم الأدباء» (٢/ ٢٦٩)، و«بغية الوعاة» (١/ ٤٤٦/ ٩١٣)، و«الأعلام» (١/ ٣١٣).

(٣) ينظر: الصحاح مادة (وسط) (٣٣٨).

فكلمة وَسَط ووَسَطِيَّة تحمل معاني: الخير والعدل والجودة والبَيْنِيَّة والرفعة، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة:١٤٣]، أي: عَادِلَةٌ خَيِّرَةٌ، يؤيد ذلك قول الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠].

أما الاعتدال في اللغة:

العَدْلُ مَا قَامَ فِي النُّفُوسِ أَنَّهُ مُسْتَقِيمٌ وَهُوَ ضِدُّ الجَوْرِ، والعدل من الناس: المرضي المستوي الطريقة، وَقِيلَ: المَرْضِيُّ قَوْلُهُ وحُكْمُهُ، يقال: هذا عدل وهما عدل قال زهير:

مَتَى يَشْتَجِرْ قَوْمٌ يَقُلْ سَرَوَاتُهُمْ ** هُمُ بَيْنَنَا فَهُمُ رِضًا وَهُمُ عَدْلُ

والعدل: الحكم بالاستواء، ويقال للشيء يساوي الشيء: هو عِدله، وعَدَل الشَّيءَ يَعْدُلُهُ عَدْلًا أي وَازَنَهُ، والعَدِيلُ هو المعَادِل.

وَالاعْتِدَالُ: تَوَسُّطُ حَالٍ بَيْن حَالَيْنِ فِي كَمٍّ أَوْ كَيْفٍ، كَقَوْلِهِم: جِسْمٌ مُعْتَدِلٌ بَيْن الطُّولِ والقِصَرِ، ومَاء مُعْتَدِلٌ بين البَارِدِ والحَارِّ، وكلّ مَا تناسب فقد اعتدل[1].

ثانيًا: تعريف الوسطية والاعتدال في الاصطلاح:

أَمَّا الوسطية في الاصطلاح، فلها معنى يخص الأمة، ومعنى يخص الفرد.

أما وسطية الأمة فهي: مؤهل الأمة الإسلامية من العدالة والخيرية والصلاح، مما جعلها أهلًا لتكون شاهدة على العالمين، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ

(١) ينظر: «مقاييس اللغة» (٤/ ٢٤٦)، «لسان العرب» (١١/ ٤٣٠) مادة (عدل).

جَعَلْنَكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣].

ووسطية الفرد فهي: التوسط في الأمور باختيار أفضلها وأحسنها وأعدلها، فالوسطية هي الخيرية والأفضلية، وكل وسط يصاحبه الخير ويكون هو الأفضل، من ذلك قول أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم السقيفة عن أفضلِيَّة قريش: «هُمْ أوسط العرب نسبًا ودارًا»(١).

ومنه قول الأعرابي للحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): يا أبا سعيد، علمني دينًا وَسُوطًا، لا ذاهبًا فَروطًا، ولا ساقطًا سَقُوطًا!

فقال له الحسن: أحسنت يا أعرابي؛ خير الأمور أوساطها(٣).

وليس بالضرورة أن تكون الخيرية في الوسط بين الطرفين دائمًا، وإن كان في الغالب أنه يوجد في كل قضية طرفان مذمومان بينهما وسط ممدوح، وذلك هو مفهوم الاعتدال، فالاعتدال التَّوَسُّطُ بين حالين بين إفراط وتفريط،

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلا» برقم(٣٦٦٨).

(٢) هو: الحسن بن يسار البصري أبو سعيد، من كبار التابعين، ولد سنة (٢١ هـ) بالمدينة وسكن البصرة، وكان حبر الأمة وإمامها في زمانه في الحديث، والفقه، والتفسير، وكان قد شب في كنف علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، حتى صارت له هيبة عظيمة، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١١٠ هـ). ينظر: «السلوك في طبقات العلماء والملوك» (١/ ١٢٥)، «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٦٣).

(٣) ينظر: مجمع الأمثال (١/ ٢٤٣)، بهجة المجالس (١/ ٤٤).

وغُلُوٍّ وجفاء، إلا أن ذلك ليس بحتم لازم، فالصدق مثلًا يقابله الكذب، ومثله العدل يقابله الظلم، وليس أيٌّ منهما وسطًا بين رذيلتين.

ويمكن تعريف الوسطية بأنها: الاعتدال والقصد في تحقيق شريعة الله تعالى فهمًا وسلوكًا.

المطلب الثاني: التعريف ببعض الألفاظ وثيقة الصلة بالموضوع:

١- **الإِفْراطُ**: تقول: فَرطَ، أي: تَقَدَّمَ، والفَارِطُ: المُتَقَدِّمُ السَّابِقُ.

وتقول: فَرَطَ مِنِّي، أي: سَبَقَ وَتَقَدَّمَ، والإِفْرَاطُ: الإِعْجَالُ وَالتَّقَدُّمُ، وأَفْرَطَ فِي الأَمْرِ أَسْرَفَ، وَأَفْرَطَ عَلَيْهِ:حَمَّلَهُ مَا لا يُطِيقُ، وَكُلُّ شَيْءٍ جَاوَزَ قَدْرَهُ فَهُوَ مُفْرِطٌ[(١)].

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ [طه:٤٥]، قال الطبري: «وأما الإِفْرَاطُ فهو الإِسْرَافُ والإِشْطَاط والتَّعَدِّي يقال منه: أَفْرَطْتَ في قولك: إذا أَسْرَفَ فيه وَتَعَدَّى»[(٢)].

٢- **التَّفْرِيطُ**: فَرَّط أي: تَوَانَى وَنَسِيَ، وفَرَّطَ في الشيء: ضَيَّعَهُ، قال تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٥٦]، أي: ما ضيَّعتُ في أمر الله، ويقال: تَفَارَطَ الصَّلَاةَ أي أَخَّرَهَا عَنْ وَقْتِهَا، والفِرَاطُ: التَّرْك[(٣)].

---

(١) ينظر: «مقاييس اللغة» (٤/ ٤٩٠)، «القاموس المحيط» (٨٧٩) مادة (فرط).

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٨/ ٣١٤).

(٣) ينظر: «لسان العرب» (٧/ ٣٦٦)، «المعجم الوسيط» (٢/ ٦٨٣)مادة (فرط).

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما التَّفْرِيطُ فإنه التَّوَانِي، يُقَالُ مِنْهُ: فَرَّطْتُ في هَذَا الأَمْرِ حَتَّى فَاتَ: إِذَا تَوَانَى فِيه»[١].

٣- **الغُلُوُّ**: وَهُوَ التَّشَدُّدُ والعَنَتُ وَمُجَاوَزَةُ الحَدِّ، ومِنه قَوْلُ الله تعالى: ﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ [المائدة:٧٧]، وَغُلُوُّ الرَّجُلِ في الأَمْرِ بمعنى مُجَاوَزَةِ الحَدِّ. ويقال للشيء إذا ارتفع: قد غَلا، ومنه غُلُوُّ الأَسْعَارِ أي: ارتفاعها. وغَلا النَّبْت أي ارْتَفَعَ وَعَظُمَ، ومنه قول النبي ﷺ: «**إِيَّاكُم وَالغُلُوَّ في الدين**»[٢]، أي: التَّشَدُّدَ والتَّزَمُّتَ ومُجَاوَزَةَ الحَدِّ[٣].

٤- **الجَفَاءُ**: نُبُوُّ الشَّيْءِ عَنِ الشَّيْءِ، وَالجَفَاءُ خِلَافُ البِرِّ، والجَفَاءُ البَاطِلُ أيضًا[٤].

فالإِفْرَاطُ وَالتَّفْرِيطُ والغُلُوُّ والجَفَاءُ كُلُّهَا تُنَاقِضُ الوَسَطِيَّةَ والاعْتِدَالَ التي أَمَرَنَا الله تعالى بها في الدنيا والدين، وحثَّنا عليها النبيُّ الكريم ﷺ.



(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٨/ ٣١٤).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٣٤٧) من حديث ابن عباس، و ابن ماجه في «سننه»، كتاب المناسك (٤/ ٢٢٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف» برقم(١٤٠٩٧) وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم(١٢٨٣).

(٣) ينظر: «لسان العرب» (٢/ ٣٦٨) مادة (غلو).

(٤) ينظر: «مقاييس اللغة» (١/ ٤٦٥)، مادة (جفو)، و«لسان العرب» (١/ ٤٩) مادة (جفأ).

المبحث الأول

الوسطية في القرآن والسنة

لقد امتنَّ الله علينا بكتابه الكريم، كتابٌ ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت:٤٢]، ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة:١٦].

و امتنَّ علينا – سبحانه – بخير الهَدْي، هَدْي نبينا محمد ﷺ، فقال عزّ من قائل: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة:١٢٨]، وقال جلَّ في علاه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١].

فالقرآن والسنة نور الأكوان وضياؤها، ونقاء الأرواح وصفاؤها.

وفي هذا المبحث نَطوف – بإذن الله تعالى- في إشراقات الوسطية في القرآن والسنة من خلال بعض النماذج من الآيات الحكيمة، والسنة النبوية الشريفة التي أنبأتنا عن معاني الوسطية، أو صفات الأمة الوسط، من خلال هذين المطلبين:

المطلب الأول: الوسطية في القرآن الكريم:

إن كتاب الله يهدي لأقوم سبيل، وأهدى طريق، قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الاسراء:٩]، قال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والقرآن الكريم هو كلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، فمن رام الاطلاع على كليات الشريعة وطمع في إدراك مقاصدها واللحاق بأهلها لزمه ضرورة أن يتخذه سميره وأنيسه، وأن يجعله قعيده وجليسه، على مرِّ الأيام والليالي نظرًا وعملًا»[١].

ومن آيات الوسطية في كتاب الله تعالى قوله سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة:١٤٣]؛ فكلمة ﴿وَسَطًا ﴾ في هذه الآية تحمل معاني الخيرية والعدالة والقصد والتوسط بين الإفراط والتفريط، وعلى هذا فسرها أهل التأويل رحمهم الله:

١- قال الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «وأنا أرى أن الوسط في هذا الموضع

---

(١) ينظر: «الموافقات» (٤/ ١٤٤) بتصرف.

(٢) هو: محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبوجعفر، المؤرخ، المفسر، الإمام، النحوي، ولد في طبرستان واستوطن بغداد، وتوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بها سنة (٣١٠هـ)، له «أخبار الرسل والملوك» الشهير بتاريخ الطبري، و«جامع البيان في تأويل آي القرآن» الشهير بتفسير الطبري، و«اختلاف الفقهاء» و«تهذيب الآثار» و«القراءات». قال عنه السيوطي: (كان حافظًا لكتاب الله، بصيرًا بالمعاني، فقيهًا في أحكام القرآن، عالـمًا بالسنن وطرقها صحيحها وسقيمها ناسخها ومنسوخها، عالـمًا بأحوال الصحابة والتابعين، بصيرًا بأيام الناس وأخبارهم). ينظر: «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٢٦٧)، «طبقات المفسرين» (ص٨٢)، «الأعلام» (٦/ ٦٩).

هو الوسط الذي بمعنى: الجزء الذي هو بين الطرفين... وأرى أن الله – تعالى ذِكْرُه– إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه غلو النصارى، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك؛ إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها»[١].

٢- قال الإمام الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة:١٤٣]، فيه ثلاثة تأويلات، **أحدها**: يعني: خيارًا، **والثاني**: من التوسط في الأمور؛ لأن المسلمين توسطوا في الدين، فلا هم أهل غلو فيه، ولا هم أهل تقصير فيه، **والثالث**: يريد بالتوسط العدل؛ لأن العدل وسط بين الزيادة والنقصان»[٣].

قلت: وهذه المعاني الثلاثة يدل بعضُهَا على بعض بدلالة التضمن أو الالتزام، فكل خيار فهو بالضرورة عدل، ويلتزم التوسط في الأمور كُلِّها مما له طرفان، وهكذا الباقي، وهذا ما جعل بعض أهل العلم بالتفسير كما سيأتي يَسُوقها مساق المترادفات، وإن كان بينها فرق من حيث المعنى من جهة الحقيقة اللغوية، والله أعلم.

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (٣/ ١٤٢).

(٢) هو: علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي الشافعي، من العلماء العاملين، أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة، ولد في البصرة وانتقل إلى بغداد، وولي القضاء في بلدان كثيرة. من كتبه، «أدب الدنيا والدين»، و«الأحكام السلطانية»، و«الحاوي» في فقه الشافعية، وغير ذلك كثير، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (٤٥٠هـ). ينظر: «طبقات الشافعية الكبرى» (٥/ ٢٦٧)، و«سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٦٤)، و«وفيات الأعيان» (٣/ ٢٨٢)، و«شذرات الذهب» (٣/ ٢٨٥).

(٣) ينظر: «تفسير الماوردي» (١/ ١٩٨).

٣- قال الإمام البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «أمة وسطا: أي عدلًا خيارًا، وقال الكلبي: يعني أهل دين وسط بين الغلو والتقصير؛ لأنهما مذمومان في الدين»[2].

٤- وقال الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3] في معنى قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾: «سبب نزولِها أن اليهود قالوا: قبلتنا قبلة الأنبياء، ونحن عدل بين الناس فنَزلت هذه الآية، قاله مقاتل. والأمة: الجماعة، والوسط: العدل، قاله ابن عباس وأبو سعيد ومجاهد وقتادة، وقال ابن قتيبة: الوسط: العدل الخيار، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ [القلم:٢٨] أي: أعدلُهم وخيرهم. وأصل ذلك أن خير الأشياء أوسطها، والغلو والتقصير مذمومان»[4].

---

(١) هو: الحسين بن مسعود بن محمد البغوي الشافعي، أبو محمد، المعروف بالفراء، الملقب بمحيي السنة، أشهر مصنفاته: «معالم التنزيل في التفسير»، و«شرح السنة»، و«مصابيح السنة»، و«التهذيب في الفقه الشافعي»، (ت:٥١٦هـ). ينظر: «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٤٣٩)، و«وفيات الأعيان» (٢/ ١٣٦)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٧/ ٧٥)، و«الأعلام» للزركلي (٢/ ٢٥٩).

(٢) ينظر: «معالم التنزيل» (١/ ١٥٨).

(٣) هو: عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي التيمي، من ولد أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، البغدادي الحنبلي، الشهير بابن الجوزي، الشيخ الحافظ الواعظ، برز في فنون كثيرة، وله مؤلفاتٌ عديدة، منها: «زاد المسير»، و«صيد الخاطر»، و«تلبيس إبليس»، و«جامع المسانيد»، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (٥٩٧هـ). ينظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (١/ ٣٩٩-٤٣٣)، و«البداية والنهاية» (١٣/ ٣٤-٣٥)، «الوافي بالوفيات» (٦/ ٨٠)، «الأعلام» (٣/ ٣١٦).

(٤) ينظر: «زاد المسير» (١/ ١٥٤).

٥- أما الإمام العز بن عبد السلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١] فقال في معنى ﴿وَسَطًا﴾: «أي: خيارًا، رجل واسط الحسب، أي رفيعه، قال:

هم وسط يرضى الأنام بِحكمهم ** إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم

أو لتوسطهم بين اليهود والنصارى في الدين: غلت النصارى في المسيح وترهبوا، وقصرت اليهود بتبديل الكتاب وقتل الأنبياء -صلوات الله تعالى عليهم وسلامه- والكذب على الله تعالى. أو عدلًا بين الزيادة والنقصان»[٢].

٦- وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:١٤٣]، يقول تعالى: إنما حوَّلناكم إلى قبلة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ واخترناها لكم لنجعلكم خيار الأمم؛ لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم؛ لأن الجميع معترفون لكم بالفضل، والوسط هاهنا: الخيار والأجود، كما يقال:

---

(١) هو: عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، عز الدين، الملقب بسلطان العلماء: فقيه شافعي، بلغ رتبة الاجتهاد، ولد سنة (٥٧٧هـ) في دمشق ونشأ بها، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (٦٦٠هـ)، من مصنفاته: «الفوائد»، و«القواعد الكبرى والصغرى»، و«مقاصد الرعاية». ينظر: «فوات الوفيات» (١/ ٢٨٧)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٥/ ٨٠-١٠٧)، و«البداية والنهاية» (١٣/ ٢٧٣)، و«الأعلام» (٤/ ٢١).

(٢) ينظر: «تفسير القرآن» للعز بن عبد السلام (١/ ١٦٨).

(٣) هو: الإمام الحافظ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي، اشتهر بالضبط والتحرير، وانتهت إليه رئاسة علم التاريخ، والحديث، والتفسير، له مصنفات عديدة مفيدة، من أجَلِّها: «تفسير القرآن العظيم»، و«البداية والنهاية»، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوم الخميس السادس والعشرين من شهر شعبان سنة (٧٧٤هـ) بدمشق. ينظر: «الدرر الكامنة» (١/ ١٢٥)، «طبقات الحفاظ» للسيوطي (ص٥٥٩)، «الأعلام» (١/ ٣٢٠)، و«النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي (١١/ ١٢٣).

قريش أوسط العرب نسبًا ودارًا، أي: خيرها، وكان رسول الله ﷺ وسطًا في قومه، أي: أشرفهم نسبًا، ومنه الصلاة الوسطى التي هي أفضل الصلوات وهي العصر كما ثبت في الصحاح[1] وغيرها، ولما جعل الله هذه الأمة وسطًا خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب»[2].

ومن الآيات الدَّالة على هذا المعنى: قوله جلَّ وعلا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣]، فقد ورد عن رسول الله ﷺ ما يبين أن صراط الله هو الوسط بين الضلالات، والنور بين الظلمات، والهدى بين الشبهات، ففي مسند الإمام أحمد وسنن الدارمي وسنن النسائي من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خَطَّ لنا رسول الله ﷺ خطًّا، ثم قال: «**هذا سبيل الله**». ثم خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله، وقال: «**هذه سُبُلٌ على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**»، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا﴾ [الأنعام:١٥٣][3].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، رقم(٢٧٧٣)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى صلاة العصر، رقم(٦٢٧).

(٢) ينظر: «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٣٤٨).

(٣) أخرجه أحمد في المسند برقم (٤١٤٢)، والدارمي برقم (٢٠٨)، والنسائي في الكبرى في كتاب التفسير باب تفسير سورة الأنعام برقم (١١١٧٤)، وقال الألباني صحيح، تخريج أحاديث العقيدة الطحاوية (ص٥٨٧).

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: وهذه السبل تعم اليهودية والنصرانية والمجوسية، وسائر أهل الملل، وأهل البدع والضلالات من أهل الأهواء والشذوذ في الفروع، وغير ذلك من أهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام، هذه كلها عرضة للزلل، ومظنة لسوء المعتقد[2].

المطلب الثاني: الوسطية في السنة المطهرة:

لقد بعث الله محمدًا ﷺ بالحكمة التي هي سنته، وهي الشرعة والمنهاج الذي شرعه له، فكان من هذه الحكمة أن شرع له من الأعمال والأقوال ما يباين سبيلَ المغضوب عليهم والضالين، ومما زاد من ظهور سمة الوسطية في منهجه ﷺ ودعوته وسلوكه، كمالُ الخُلق الذي جبله الله عليه وأكرمه به كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤].

فكان هدي النبي ﷺ وسطًا بين الإفراط والتفريط، وجاءت سنته القولية والعملية والإقرارية في أمور الدين والدنيا تكرس منهج الوسطية والاعتدال، ففي الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «ردَّ

---

(١) هو: الإمام أبوعبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأندلسي القرطبي المفسر، له تصانيف مفيدة، تدل على كثرة اطلاعه، ووفور علمه، منها في التفسير: «الجامع لأحكام القرآن»، و«شرح للشاطبية» في القراءات، و«العنقود» قصيدة في علم النحو، و«التذكرة»، توفي ليلة الاثنين، التاسع من شوال سنة (٦٧١هـ)، رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ينظر: «الدِّيباج المُذهب» لابن فرحون (٢/ ٣٠٨-٣٠٩)، و«الوافي بالوفيات» للصفدي (٢/ ١٢٢-١٢٣)، و«شذرات الذهب» لابن العماد الحنبلي (٧/ ٥٨٤)، و«الأعلام» للزركلي (٥/ ٣٢٢).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٧/ ١٣٨).

رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتُّل ولو أذن له لاختصينا»[١].

وفي سنن ابن ماجه والنسائي وغيرهما من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي رسول الله ﷺ غَدَاةَ العقبة، وهو واقف على راحلته، هات، اِلْقُطْ لي، فلقطت له حصيات هن حصى الحذف، فجعل ينفضهن في كفه ويقول أمثال هؤلاء فارموا ثم قال: «**أيها الناس إياكم والغلو في الدين؛ فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**»[٢].

وإذا كان هذا في حصى رمي الجمار وهي مسألة فرعية في عبادة كلية، فكيف بأصول الدين، ومبادئه العظام؟!

وكذا فعل ﷺ مع الثلاثة الذين جاءوا يسألون عن عبادته وكأنهم تَقَالُّوها، قائلين: إنه رسول الله، وقد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا فأصوم ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أقوم الليل ولا أنام، وقال الثالث: أما أنا فأعتزل النساء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ وقال: «**أما إني أخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب النكاح، باب ما يكره من التبتل، برقم(٥٠٧٣)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، برقم(١٤٠٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي رقم(٣٠٢٩)، والنسائي في المجتبى في كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى برقم(٣٠٥٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم(١٢٨٣).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، برقم(٥٠٦٣)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، برقم(١٤٠١).

بل إن النبي ﷺ نهانا عن التشدّد في الدين، فقال ﷺ: **«إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»**(١)(٢).

وكما أنّه ﷺ نهى عن التشدد والغلو في الدين بقوله مارس ذلك صلوات ربي وسلامه عليه بفعله، ففي الصحيحين من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «ما خُيِّرَ رسول الله ﷺ بين أمرين إلَّا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أَبعدَ الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه، إلَّا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها»(٣).

فالإفراط والتفريط كلاهما مذموم، وخير الأمور أوساطها، وهذا ما دلَّت عليه سنة النبي ﷺ المطهرة قولًا وفعلًا وإقرارًا، ولله در القائل:

تسامح ولا تستوف حقك كله ** وأبق فلم يستوفِ قط كريم
ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد ** كلا طرفي قَصْدِ الأمور ذميم(٤)

---

(١) قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني أن هذه الأوقات الثلاثة أوقات العمل والسير إلى الله، وهي أوّل النهار وآخره، **فالغَدْوَة**: أوّل النهار، **والروحة**: آخره، **والدّلجة**: سير آخر الليل.اهـ. فتح الباري (١/ ١٣٩).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، برقم(٣٩)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب صفات المنافقين، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله، برقم(٢٨١٦).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ برقم(٣٣٦٧)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله برقم(٢٣٢٧).

(٤) البيتان لأبي سليمان الخطابي. ينظر: «العزلة» (ص٩٨)، وخزانة الأدب للبغدادي (٢/ ١٢٣).



المبحث الثاني

معالم الخيرية في أمة الإسلام



لقد أعزَّ الله الأمة المحمدية، وجعلها أمة الوسطية والخيرية، فهي آخر الأمم وأفضلها، وأعزُّها على الله وأكرمها، اختارها رب العالمين من بين الأولين والآخرين، وجعلها أمة وسطًا، فنبيها أفضل الأنبياء، وكتابها أفضل الكتب، وشريعتها أفضل الشرائع. ولله در الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «إن الشريعة جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط العدل، الآخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه، فإذا نظرت إلى كلية شرعية فتأمَّلْها تجدها حاملة على التوسط والاعتدال، ورأيت التوسط فيها لائحًا ومسلك الاعتدال واضحًا، وهو الأصل الذي يرجع إليه، والمعقل الذي يلجأ إليه»[(١)].

ومما ورد في ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وحديث النبي ﷺ: «**إنكم تُتَمِّمُون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله**»[(٢)].

---

(١) ينظر: «الموافقات» (٢/ ١٦٣).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٨/ ١٣٣)، والترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب ومن سورة آل عمران، رقم(٣٠٠١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٩٤).

وقوله ﷺ: «**أُعطِيتُ ما لم يُعط أحد من الأنبياء. فقلنا: يا رسول الله ماهو؟ قال: نُصرتُ بالرعب، وأُعطِيتُ مفاتيح الأرض، وسُميت أحمد، وجعل التراب لي طهورًا، وجعلت أمتي خير الأمم**»(١).

فهذه نصوص تدل على ثبوت خيرية هذه الأمة على الأمم، بما فيهم بنو إسرائيل الذين فُضِّلوا على أمم زمانهم.

وقد تعددت أوجه خيرية هذه الأمة، وورد ذكر ثلاثة منها في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠]، وباقيها مستنبط من كتاب الله تعالى ومن أحاديث رسول الله ﷺ، وسأعرض فيما يلي أهم أوجه هذه الخيرية(٢).

المطلب الأول: إيمانها بالله تعالى وجميع رسله وكتبه:

إن إيمان هذه الأمة يتميز عن إيمان الأمم السابقة بأنه إيمان شامل، فإنه إضافة إلى الإيمان بالله - وهو الأصل الذي يرجع إليه الجميع - يشمل أيضًا الإيمان بجميع الرسل والكتب دون تفريق بين أحد منهم تفريقًا يَنْتَقِصُهُم، قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١/ ٩٨)، وقال الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ: إسناده صحيح.

(٢) ينظر: «وسطية أهل السنة بين الفرق» (ص٢١٠).

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:١٥٢]، وقال سبحانه يثني عليهم: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [النساء:١٧٥]، وقال في إيمانهم به وبرسُله -عليهم الصلاة والسلام-: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ﴾ [الحديد:١٩].

وفي الحديث الصحيح لما سأل جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رسولَ الله ﷺ عن الإيمان فقال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»(١).

فإيمان الأمة الإسلامية إيمان شامل أصله الإيمان بالله، والذي أساسه المحبة مع التعظيم والخوف والإجلال ويتفرع عنه الإيمان بكل الرسل وجميع الكتب.

فآمنَتْ بجميع الرسل والكتب، مع إيمانها برسولها الخاتم، وكتابها المهيمن على جميع الكتب، ولم يقع ذلك إلا لها، فهي جامعة لكل خير موجود فيمن سبقها، وهذا الإيمان الشامل هو أساس الخيرية.

المطلب الثاني: أمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن من أهم أسباب خيرية هذه الأمة، القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولذا قدمه الله تعالى في الذكر على الإيمان به تعالى، مع كون الإيمان متقدِّمًا عليه في الوجود والرتبة، قال جلَّ شأنه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام، برقم(١).

﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠]، وذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتضمن الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، أمَّا الإيمان بالله فيلزم منه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يتضمنه.

قال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: السؤال الثاني: لم قدَّم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله في الذكر، مع أنّ الإيمان بالله لابُدَّ وأن يكون مُقَدَّمًا على كل الطاعات؟

والجواب: أنَّ الإيمان بالله أمر مشترك فيه بين جميع الأمم المحقة[(١)]، ثم إنه تعالى فضل هذه الأمة على سائر الأمم المحقة، فيمتنع أن يكون المؤثر في حصول هذه الخيرية هي الإيمان الذي هو القدر المشترك بين الكل، بل المؤثر في حصول هذه الزيادة هو كون هذه الأمَّة أقوى حالًا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من سائر الأمم[(٢)].

قلت: يؤيده قوله تعالى عن أهل الكتاب: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة:٧٩].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات الشرعية التي فرضها الله تعالى على نبيه ﷺ وعلى أمته من بعده، قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ

---

(١) قوله الأمم المحقة: يقصد به الأمم التي معها شيء من الحق وهي أصحاب الكتب السماوية تُؤمن بالخالق سبحانه وتعالى، والله أعلم.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (٨/ ٣٢٨).

بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٩]، وقال سبحانه: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٤].

فجعل الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر هم أهل الفلاح، وقد لعن الله -تبارك وتعالى- الذين لم يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر في الأمم السابقة، فقال: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة:٧٨-٧٩].

وذلك أنّ شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صمام أمان الأمة، بها يحفظ المجتمع من الغرق في مستنقعات الرذيلة، ويمنع من تفشي المعصية واستمرائها، ومن المجاهرة بالفواحش والفجور والسفور، والذي هو من أعظم أسباب حلول نقمة الله وعذابه على عباده.

كما أوجب النبي ﷺ ذلك على الأمة فقال: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[1].

فقوله ﷺ: «**فليغيره**» أمر يفيد الوجوب، والفاء تدل على التعقيب، واللام تفيد التأكيد، فهو يؤكد على وجوب سرعة تغيير المنكر حسب استطاعته: بيده، بلسانه، بقلبه، وذلك أضعف الإيمان.

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، برقم(٧٨).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] في شرح هذا الحديث: «إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، إذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقين، وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلا عذر ولا خوف...»[2].

قال أبو العباس القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده»**: «هذا الأمر على الوجوب؛ لأنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من واجبات الإيمان ودعائم الإسلام بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، ولا يُعتدُّ بخلاف الرافضة في ذلك؛ لأنّهم إمَّا مُكَفَّرُون فليسوا من الأمَّة، وإمَّا مبتدعون فلا يعتد بخلافهم؛ لظهور فسقهم، ثم إذا قلنا: إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب، فذلك على الكفَاية، من قام به أجزأه عن غيره؛ لقوله تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ﴾ [آل عمران:١٠٤]، **ولوجوبه شرطان:**

أحدهما: العلم بكون ذلك الفعل منكرًا أو معروفًا.

والثاني: القدرة على التغيير.

فإذا كان كذلك تعيَّن التغيير باليد إن كان ذلك المنكر مما يحتاج في تغييره إليها، مثل: كسر أواني الخمر، وآلات اللهو كالمزامير والأوتاد

---

(١) هو: يحيى بن شرف بن مِري بن حسن الحزامي الحوراني النووي الشافعي، أبوزكريا محي الدين، علامة بالفقه والحديث إمامًا بارعًا حافظًا متقنًا، من تصانيفه: «شرح مسلم»، و«الروضة»، و«شرح المهذب»، و«المنهاج»، و«التحقيق»، و«الأذكار» وغير ذلك. مات رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (٦٧٦هـ). ينظر: «طبقات الشافعية» للسبكي (٥/ ١٦٥)، و«طبقات الحفاظ» (ص٥٣٩)، و«شذرات الذهب» (٥/ ٣٤٥).

(٢) ينظر: «شرح النووي صحيح مسلم» (١/ ٢٩٦).

والكَبَر[١]، وكمنع الظالم من الضرب والقتل، وغير ذلك، فإن لم يقدر بنفسه استعان بغيره، فإن خاف من ذلك ثوران فتنة وإشهار سلاح تعيَّن رفع ذلك، فإن لم يقدر بنفسه على ذلك غيَّر بالقول المرتجى نفعه من لين أو إغلاظ حسب ما يكون أنفع، وقد يبلغ بالرفق والسياسة ما لا يبلغ بالسيف والرياسة، فإن خاف من القول القتل أو الأذى غيَّر بقلبه، ومعناه: أن يكره ذلك الفعل بقلبه، ويعزم أن لو قدر على التغيير لغيَّره، وهذه آخر خصلة من الخصال المتعيِّنة على المؤمن في تغيير المنكر، وهي المعبر عنها في الحديث بأنَّها أضعف الإيمان»[٢].

المطلب الثالث: كونها خير الأمم وأنفعها لهم:

إن من أهم ثمار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خيرية هذه الأمة على غيرها من الأمم كما تقدَّم قريبًا، لأن أعظم المعروف الذي تأمر به: الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ وإخلاص العبادة له وحده، وأنكر المنكر الذي تنهى عنه: تحذير الناس من الإشراك بالله.

قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «تأمرون بالمعروف أن يشهدوا أن لا إله إلا الله...، ولا إله إلا الله هو أعظم المعروف، وتنهونهم عن المنكر، والمنكر هو التكذيب، وهو أنكر المنكر»[٣].

---

(١) قال ابن منظور: الكَبَر: قيل: طبل له وجه واحد (لسان العرب: ٥/ ١٣٠).

(٢) ينظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (١/ ٢٣٣-٢٣٤).

(٣) ينظر: «جامع البيان» (٧/ ١٠٥).

فهذه الأمة لخيريتها ترى أنّه من المتحتم عليها شرعًا وفطرة أن تأخذ بيد الناس من الضلال إلى الهدى، ومن الغي إلى الرشد دون مقابل، وإنما طمعًا في رضا الله تعالى وابتغاء مرضاته، وشكرًا له على فضله وتوفيقه.

فأرسل النبي ﷺ رسلا إلى أنحاء الجزيرة العربية وإلى فارس والروم يدعوهم إلى توحيد الله بالعبادة، غايته هداية الخلق إلى طريق النجاة وإخراجهم من ظلمات الجهل والوثنية إلى نور التوحيد والإيمان.

من أجل هذا كانت هذه الأمة خير الأمم للناس وأنفعها لهم.

قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في معنى قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، قال: «خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام»[1].

المطلب الرابع: كونها أعدل الأمم وأقسطها:

أمة الإسلام هي أمة العدل، وأهلها أعدل الناس بنص حديث النبي ﷺ في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة:١٤٣]. فقال ﷺ: «**الوسط العدل**»[2].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير لهذه الآية (٢/ ٧٧)، وأخرجه البخاري في "صحيحه" -كتاب التفسير- باب كنتم خير أمة أخرجت للناس- برقم[٤٥٥٧] موقوفا.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾، رقم(٣١٦١).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الله أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به السموات والأرض، فإذا ظهرت أمارات الحق وقامت أدلة العقل وأسفر صبحه بأي طريق كان فثم شرع الله ودينه ورضاه وأمره، والله تعالى لم يحصر طرق العدل وأدلته وأماراته في نوع واحد وأبطل غيره من الطرق التي هي أقوى منه وأدل وأظهر، بل بيَّن بما شرعه من الطرق أن مقصوده إقامة الحق والعدل وقيام الناس بالقسط، فأي طريق استخرج بها الحق ومعرفة العدل وجب الحكم بموجبها ومقتضاها، والطرق أسباب ووسائل لا تراد لذواتها، وإنما المراد غاياتها التي هي المقاصد، ولكن نبَّه بما شرعه من الطرق على أسبابها وأمثالها، ولن تجد طريقًا من الطرق المثبتة للحق إلا وهي شرعة وسبيل للدلالة عليها؟! وهل يظن بالشريعة الكاملة خلاف ذلك»[1]!

فأمة الإسلام هي أمة العدل والقسط، وأعظم القسط: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، كما أن أعظم الظلم الإشراك بالله تعالى، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أخبر الله سبحانه أنه أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل، ومن أعظم القسط التوحيد، بل هو رأس العدل وقوامه، وأن الشرك ظلم عظيم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]، فالشرك أظلم الظلم، والتوحيد أعدل العدل»[2].

---

(١) إعلام الموقعين (٤/ ٣٧٣).

(٢) ينظر: الجواب الكافي (١/ ٨٩).

ويظهر العدل والقسط جليًّا في إيمان أمة الإسلام بكل الرسل والأنبياء: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥].

فالشرع مبناه على العدل، وقد حرَّم الله سبحانه الظلم على نفسه وجعله محرَّمًا بين عباده.

ومن تمام وسطية الإسلام وعدالة أهله أن جعلهم الله تعالى شهداء على الناس يوم القيامة، وهذه الشهادة من مقتضيات العدالة والقيام بالقسط، وهذا من معالم الخيرية في الأمة الإسلامية.

المطلب الخامس: نبيُّها ﷺ أفضل الأنبياء والرسل عليهم السلام:

إن فضل النبي ﷺ وشرفه على غيره من الأنبياء والمرسلين -عليهم السلام- أمر معلوم مشهور، والكلام في فضله ﷺ لا ينتهي، ولكن سنحاول بيان الأمر بإيجاز في رؤوس موضوعات:

أ- فضَّل الله تبارك وتعالى بعض الرسل والأنبياء على بعض، قال سبحانه: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ [البقرة:٢٥٣]، والرسل أفضل من الأنبياء، وأفضل الرسل أولي العزم منهم وهم الخمسة الذين ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ [الشورى:١٣]، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا﴾ [الأحزاب:٧]، والنبي محمد ﷺ هو أفضلهم، قال ﷺ: «**أنا سيد**

ولد آدم ولا فخر»[1]. ويشهد له حديث الشفاعة حين يأتي الناسُ الأنبياءَ وقد نَزَلَ بهم من الغم والكرب ما لا يطيقون كي يشفعوا لهم فكلهم يقول: لَسْتُ لها إلَّا رسول الله ﷺ فيقول: «**يا رب أنا لها**»[2].

ب- عموم رسالته ﷺ إلى الناس كافة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨]، فرسالته ﷺ تشمل جميع الأمم، وليس ذلك لأحد قبله من الرسل عليهم السلام، قال ﷺ: «**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**»[3]، فكل الأنبياء والرسل قبله كانوا يبعثون إلى أقوامهم خاصة دون غيرهم، كما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ فقال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ [نوح:١]، وقال: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف:٦٥]، وقال: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [الأعراف:٧٣]، وقال: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ [الأعراف:٨٠]، وقال: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ

---

(١) أخرجه ابن ماجه في «سننه»، كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، برقم(٤٣٠٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣٦٤٣)، وأصله في صحيح مسلم برقم(٦٠٧٩).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب التوحيد، باب كلام الرب عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، برقم (٧٠٧٢)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها برقم (١٩٣).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ: جعلت...، برقم(٣٣٥)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، برقم(٤٣٨).

شُعَيْبًا ﴾ [الأعراف:٨٥]، وهكذا مع كل الأنبياء والرسل، وقال في حق النبي ﷺ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ [سبأ:٢٨]، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، والعالمين: الإنس والجن.

ج- ختم النبوة به ﷺ:

مما يدل على تمام فضله وعلوِّ مقامه: أن جعله الله تبارك وتعالى بمنِّه وفضله خاتم الأنبياء والمرسلين، فلا تحتاج رسالته إلى نسخ أو زيادة، قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب:٤٠].

وقد قال ﷺ: «**إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي: كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلَّا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين**»(١).

يقول الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنَّما حازت هذه الأمة قَصَبَ السبق إلى الخيرات بنبيِّها محمد ﷺ؛ فإنه أشرف خلق الله وأكرم الرسل على الله، وبعثه الله بشرع كامل عظيم لم يُعْطِهِ نَبِيًّا قبله ولا رَسُولًا من الرسل، فَالعمل على منهاجه وسبيله يقومُ القليل منه ما لا يقوم العمل الكثير من أعمال غيرهم مقامه»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين، برقم(٣٥٣٥)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين، برقم(٢٢٨٦).

(٢) يُنْظر: «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٩٤).

المطلب السادس: كتابُها أفضلُ الكتب:

القرآن هو كلام الله الوحيد المحفوظ كاملًا من التحريف والتغيير والتبديل، وهو آخر الكتب السماوية المنـزلة، فهو يحمل التشريع التام لدين الله تعالى، وهو المرجع المعتمد لعقائد البشر، وهو المهيمن على باقي الكتب، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة:٤٨]، أي: هو الرقيب والمؤتمن والحاكم على كل كتاب قبله.

لذا حُرفت الكتب السابقة بأيدي هؤلاء الأحبار والرهبان اتباعًا لأهوائهم، قال الله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة:٧٩].

أما كتاب الله القرآن الكريم فإنه كتاب: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت:٤٢].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر:٢٣].

وهو الكتاب الوحيد الذي تكفَّل الله بحفظه، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩].

فهيَّأ له من أسباب الحفظ ما جعلت من يفكر في محاولة تحريفه أو تسوِّل له نفسُه الإقدام على ذلك ولو في حرف واحد، إلا ويُمْسي مفضوحًا على

رؤوس الأشهاد؛ مِن غرس محبته في قلوب الناس، وإقبال جماهير المسلمين على حفظه وضبطه صغارًا وكبارًا، ذكورًا وإناثًا، عَربًا وعجَمًا، والاعتناء برسمه وحروفه، وحفظ قراءاته وأوجهه، حتى الشاذ منها.

أما الكتب الأخرى فكان حفظها مُوكلًا إلى الأحبار والرهبان، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ﴾ [المائدة:٤٤].

إنه معجزة الله الخالدة الذي تحدَّى الله به الإنسَ والجنَّ أن يأتوا بسورة من مثله، ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء:٨٨].

هذا التحدي هو من خصائص هذا الكتاب المعجز، ولم يكن لكتاب قبله؛ لأن الله لم يجعل كتابًا قبله معجزًا، وإنما اختص كل نبي بمعجزة من جنس ما برع فيه قومه.

༄ المطلب السابع: أكثرُ الأمم استجابة للأنبياء:

ومن معالم خيرية هذه الأمَّة: أنها أكثر الأمم استجابة لنبيّها ورسولها ﷺ، قال ﷺ: «**أنا أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة**»[1]، وقال ﷺ: «**أنا أول شفيع في الجنة لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت، وإن من الأنبياء نبيًّا ما يصدقه من**

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلًا، برقم(٣٣١).

أمته إلا رجل واحد»[1]، فالذين يتبعون النبيَّ في هذه الأمة أكثر من المتبعين لأي نبي من الأنبياء من الأمم السابقة، فهذه الأمة أقرب الأمم إلى الحق، وهذا من خيريتها وفضلها على الأمم؛ لكون المؤمنين والمهتدين منها أكثر منهم في الأمم السابقة، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال رسول الله ﷺ: «**عُرِضت عليَّ الأمم، فجعل النبي والنبيّانِ يمرون معهم الرهط، والنبي ليس معه أحد، حتى رفع لي سواد عظيم، قلتُ: ما هذا؟ أمتي هذه؟ قيل: هذا موسى وقومه، قيل: انظر إلى الأفق. فإذا سواد يملأ الأفق، ثم قيل: لي انظر ها هنا وها هنا في آفاق السماء. فإذا سواد قد ملأ الأفق، قيل: هذه أمتك ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفا بغير حساب**». ثم دخل ولم يبيِّن لهم، فأفاض القوم وقالوا نحن الذين آمنا بالله واتبعنا رسوله، فنحن هم، أو أولادنا الذين ولدوا في الإسلام فإنا ولدنا في الجاهلية، فبلغ النبي ﷺ فخرج فقال: «**هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون**». فقال عكاشة بن محصن أمنهم أنا يا رسول الله؟ قال: «**نعم**». فقام آخر فقال أمنهم أنا؟ قال: «**سبقك بها عكاشة**»[2].

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب في قول النبي ﷺ: أنا أول الناس....

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، باب من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو، برقم(٥٣٧٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، رقم(٣٧٤).

المطلب الثامن: أمة لا تجتمع على ضلالة:

قد يضل بعض الأفراد، أو تنحرف بعض الطوائف عن طريق الحق، لكن لا تُجمِع ولا تجتمع الأمة على الباطل أو الضلال؛ لأنها ورثت الرسلَ في القيام بهداية البشر ودعوتهم إلى الإيمان بالله تعالى وتوحيده.

قال ﷺ: «**إن الله قد أجار أمتي أن تجتمع على ضلالة**»[١].

المطلب التاسع: أول الأمم حشرا وحسابا ودخولا الجنة:

وهذا مما خصها الله به من التكريم والتشريف أن تكون آخر الأمم زمانًا وأولها منزلة ومكانة، قال رسول الله ﷺ: «**نحن آخر الأمم وأول من يحاسب، يقال: أين الأمة الأمية ونبيها؟ فنحن الآخرون الأولون**»[٢]، وقال أيضًا: «**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة...**»[٣].

فمع كون هذه الأمة آخر الأمم زمانًا، فهي أول الأمم حسابًا ودخولًا الجنة، وذلك من فضل الله عليها وتكريمه لها.

يقول النبي ﷺ: «**نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة**»[٤].

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١-٤١) وحسنه الألباني في الصحيحة (١٣٣١).

(٢) أخرجه ابن ماجه في «سننه»، كتاب الزهد، باب صفة أمة محمد، برقم (٤٢٩٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٣٧٤).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة، برقم(٨٧٦).

(٤) تقدم تخريجه قريبًا.

المطلب العاشر: أكثرُ أهل الجنة عددا:

لما كانت هذه الأمة أكثر الأمم استجابة لنبيها حتى كان نبيها أكثر الأنبياء تبعًا، امتازت أيضًا بأنها أكثر مَن يدخل الجنة من الأمم، قال النبي ﷺ يومًا لأصحابه: «**أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قلنا: نعم. قال: أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قلنا: نعم. قال: أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة؟ قلنا: نعم. قال: والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة، وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة، وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر**»(1).

وبعدُ، كانت هذه إشارات سريعة لأبرز معالم خيرية الأمة الإسلامية من خلال قول ربنا تبارك وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠]، وحديث نبينا ﷺ: «**إنكم تُتِمُّون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله**»(2). وفي المبحث التالي بيان سمات الوسطية في الإسلام.



(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، برقم(٦٥٢٨)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة، برقم(٣٧٧).

(٢) تقدم تخريجه (ص٣٥).



المبحث الثالث

سمات الوسطية وخصائصها في الإسلام



إن الوسطية في الإسلام لا تخضع للأهواء والرغبات، فليست تنصلًا من الثوابت والمقومات، ولا تمرُّدًا على المبادئ والغايات، وإنما هي منهج حياة، بل إنها حياة في الحياة، فهي أساس كل هناء وسعادة، ورُقِيٍّ وسيادة، وأمن وأمان، واستقرار واطمِئنان؛ لذا فإن لها ضوابط شرعية، ومبادئ مرعية، بها تَتَحقَّق غاياتها السنيَّة، وتبلغ آمالها الرضية، وتُقِيم الأمة على طريق الريادة، وتهيئ لها كل أسباب القيادة، وللوسطية الإسلامية، جميل الخصائص وعظيم السمات، ما جعلتها آية من الآيات، ومعجزة من المعجزات. ونذكر من هذه السمات العظيمة ما يلي:

المطلب الأول: كونها ربانية:

إن أهم سمات الوسطية أنها إلـهية الوحي ربانية المصدر، قررتها آيات قرآنية، وأحاديث نبوية، هي من أعظم مقاصد الشريعة الإسلامية، والشريعةُ مُنَزلة من عند الله تبارك وتعالى العليم الحكيم اللطيف الخبير الذي ﴿لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ:٣]، فالله سبحانه هو العليم الذي أحاط بكل شيء علمًا،

وأحصى كل شيء عددًا، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، اتصف بصفات الكمال والجمال والجلال، وهو سبحانه الحكيم، الذي أحكم الأشياء وأتقنها، وخلقها فسوَّاها، فعدَلها، وهو اللطيف الخبير، الذي يعلم دقائق الأمور وجَلِيَّها، وظاهرها وباطنها، فأحكامه كاملة عظيمة عادلة، لايعتريها نقص ولا جور ولا قصور؛ لأنه سبحانه محيط بكل شيء.

ومن كانت هذه صفاته، وهذا جلاله وكماله، كان حَرِيًّا بكل كمال نُسب إليه مُسْتَمَدًّا منه وشرعٌ بإرادته وعِلمه وحكمته أن يكون قد بلغ في الكمال غايته، وفي الإتقان ذروته، وفي الإحكام قِمَّتَه، فأنَّى يَعْتَرِي الشريعة الاعتلال، أو يشُوبها الاختلال؟!

المطلب الثاني: كونها على هَدي خير الخلق:

لم تكن الوسطية ولن تكون مُجَرَّدَ نصوص تُقْرأ، أو آيات تُتْلَى، أو أمنيات تُرْتَجَى، بل تجسدت واقعًا مُباركًا مُصْلِحًا، وسِيرَةً عَطِرةً زكيَّة في هَدي خَير خلق الله وأشرف عباد الله نبيِّنا محمد ﷺ، الذي أثْنَى عليه الله في قوله – سبحانه-: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤] في أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته، في حلِّه وترحاله، على خير وجه وأكمل حال، وكان هَدْيه ﷺ وسطًا في كل شيء و«ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أَخَذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا»[(١)] وقد قال ﷺ:

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ يسروا ولا تعسروا، برقم(٥٧٧٥)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الفضائل، باب مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته، برقم(٦١٩٠).

«خير الحديث كتاب الله تعالى، وخير الـهَدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»[(١)].

وحياة النبي ﷺ العملية كانت وسطًا في كل شيء في عبادته ومعاملته، فكان يصوم حتى يظن أصحابه أنه لا يفطر، ويفطر حتى يظنوا أنه لا يصوم[(٢)].

وكان يقوم من الليل وينام منه[(٣)]، وحُبِّب إليه من الدنيا الطيب والنساء وجُعلت قرة عينه في الصلاة[(٤)]، وباع ﷺ واشترى واستقرض وقضى، ومات ودرعه مرهونة عند يهودي، فكان يَقضِي حياته اليومية بكل يسر وأعظم توسُّط مع علوِّ هِمَّةٍ، وكريم أخلاق، وحسن تعامل.

ومِن رَوائع هديه ﷺ في الوسطِيَّة، الدَّالة على الخيرِيَّة والأفضليَّة: ما رواه مسلم من حديث أبي رافع أن رسول الله ﷺ استسلف من رجل بَكْرًا، فقدمت عليه إبل من إبل الصدقة، فأمر أبا رافع أن يقضي الرجل بَكْرَهُ،

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، برقم(٢٠٤٢).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب التهجد، باب قيام النبي ﷺ بالليل ونومه وما نسخ من قيام الليل، برقم(١١٤١)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الصيام، باب صيام النبي ﷺ في غير رمضان، برقم(١١٥٦).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب أحاديث الأنبياء، باب أحب الصلاة إلى الله صلاة داود وأحب الصيام إلى الله صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، برقم(٣٢٣٨)، ومسلم في «صحيحه»، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا أو لم يفطر العيدين والتشريق وبيان تفضيل صوم يوم وإفطار يوم، برقم(١١٥٩).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم(١٢٣١٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣١٢٤).

فرجع إليه أبو رافع فقال: يا رسول الله، ما أجد فيها إلا خيارًا رَبَاعِيًا، فقال: «**أعطه إياه؛ فإن خيار الناس أحسنهم قضاءً**»(١).

وكان ﷺ يوصي أصحابه بالتَّوسُّط والقَصْد ويحذرهم الغلوَّ، قائلًا: «**إياكم والغلو في الدين؛ فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**»(٢).

وقال: «**لا تُطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله**»(٣).

ولَـمَّا كان صراط الله المستقيم هو تمام الوسطية -كما ذكرنا سابقًا- فإن الله تعالى قد هَدَى نبيه إلى صراطه المستقيم، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:١٦١].

بل أثنى الله -سبحانه- على سُلُوك نبيِّه ﷺ الطريق المستقيم وأمره بالثبات عليه، فقال عز من قائل: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف:٤٣].

وإذا كانت الوسطية ربانية، على هدي خير البرية، فلا يسع المؤمن إلا التمسك بها والعض بالنواجذ عليها كما قال ﷺ: «**إنه من يعش منكم بعدي**

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب المساقاة، باب من استسلف شيئًا فقضى خيرًا منه وخيركم أحسنكم قضاءً، برقم(١٦٠٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه في «سننه»، كتاب المناسك (٤/ ٢٢٨)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٣٤٧) من حديث ابن عباس، وابن أبي شيبة في «المصنف» برقم(١٤٠٩٧) وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم(١٢٨٣).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب أحاديث الأنبياء، برقم(٣٤٤٥).

فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»[1].

إن من أعظم سِمات الوسطية في الإسلام موافقتها هدي النبي ﷺ؛ لأنه أسوة المؤمنين وقدوة العالمين العاملين، والأخيار والمتَّقين، وهديه خير هدي الأنبياء والمرسلين، قال جلَّ ثناؤه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١]، فحقق ﷺ الوسطية في معناها ومبناها؛ لذا متى ما خالفت الأقوالُ والأفعالُ منهجَه خرجَتْ عن معناها، وانحرفَتْ عن مسماها، ومالَتْ إما إلى إفراط أو إلى تفريط.

المطلب الثالث: موافقتها للفطرة:

ومِنَ السِّمات الضابِطة لِمفهوم الوسطية: كونها موافقة للفِطرَةِ الإنسانِيَّة، مُوَائمَة لِلجِبِلَّة البَشريَّة، التي تأَصَّل فيها تَقصُّد التوسط والعدل، ونبذ الغُلُو والتَّطرف والجور. ولِبَسْط ذلك، وبيان دِلالاتِ الفِطرة، يُقال:

الفِطرة: هي الجبلَّة القابلة للدين الحق التي أوجد الله عليها الخلق، وهي المعرفة والخلقة التي يُخلق عليها المولود في بطن أمه.

قال العلامة ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «وقد جعل الله هذه الشريعة دين

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة»، باب ما أمر به من اتباع السنة وسنة الخلفاء الراشدين، برقم(٥٤)، والترمذي في «سننه»، باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، برقم(٢٦٧٨) وقال حديث حسن صحيح.

(٢) هو: الشيخ العلَّامة محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، مولده ووفاته ودراسته بها، ولد سنة (١٢٩٦هـ)، له مصنفات من =

الفطرة، وأمور الفطرة راجعة إلى الجبلَّة، فهي كائنة في النفوس، سهل عليها قبولها. ومن الفطرة النفور من الشدة والإعنات، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ [النساء:٢٨]»[1].

قال تعالى: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾ [الروم:٣٠]. وقال سبحانه عن إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ﴾ [الشعراء:٧٨].

قال الإمام ابن جرير الطبري في معنى الآية الأولى: «فسدِّد وجهَك نحو الوجه الذي وجَّهك إليه ربك يا محمد لطاعته، وهي الدين، ﴿حَنِيفٗا﴾ مستقيمًا لدينه وطاعته، ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾ يقول: صنعة الله التي خلق الناس عليها... معنى ذلك: فطر الله الناس على ذلك فطرة»[2]. يقصد الطاعة والاستقامة على الدين.

وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمعنى: أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يتوجَّه بحواسه لدين الإسلام الذي هو الفطرة، والفطرة بالآية جملة الدين بعقائده وشرائعه»[3].

= أشهرها «مقاصد الشريعة الإسلامية» و«أصول النظام الاجتماعي في الإسلام» و«التحرير والتنوير» في تفسير القرآن، (ت١٣٩٣هـ). ينظر: «الأعلام» للزركلي (٦/ ١٧٤)، و المجلد الأول من «مقاصد الشريعة» لابن عاشور، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة.

(١) ينظر: «مقاصد الشريعة» لابن عاشور (٣/ ١٩٣).

(٢) ينظر: «جامع البيان في تأويل آي القرآن» (٢٠/ ٩٧).

(٣) ينظر: «مقاصد الشريعة» لابن عاشور (٣/ ١٧٩).

فالفطرة: النظام الذي أوجده الله في كل مخلوق، والجبلَّة التي غرَسها سبحانه في كل إنسان من معرفته والإيمان به وقبول دعوته: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم:٣٠]، هذه الفطرة صالحة لصدور الفضائل عنها: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:٤]، وأحسن تقويم يراد به: تقويم الجسد، وتقويم العقل والروح الذي هو مصدر العقائد الحقَّة والأعمال الصالحة.

ومعنى وصف الإسلام بأنه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ [الروم:٣٠]: أن الأصول التي جاء بها الإسلام والأحكام والشرائع والأخلاق التي أمر بها ودعا إليها يقبلها العقل ويَتَعَلَّقُ بها، وتطمئن إليها النفس، وتنساق وراءها الروح انسياقًا؛ لأنّها من لدن لطيف خبير، وهذا معنى الحديث الإلـهي: «**خلقتُ عبادي حنفاء كُلَّهُم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتْهم عن دينهم، وحرَّمتْ عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتْهم أن يشركوا بي ما لم أُنزل به سلطانًا**»(١).

فالله تعالى خلق عباده محبين للتوحيد، قابلين له، مستعدين مريدين له، ذلك معنى فطرة الله التي فطر الناس عليها، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**ما من مولود إلّا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصِّرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل ترى فيها جدعاء**»(٢)؟!

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، برقم(٧٣٨٦)، وأحمد في «مسنده» برقم(١٧٥١٩).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، برقم(١٣٥٨)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، برقم(٢٦٥٨)، واللفظ له.

وإذا كانت الفطرة هي محبة الحق وقبوله وإرادته، وكان من أكبر مقاصد الشريعة وأعظم ما أمرت به ودعت إليه تحقيق الوسطية والاعتدال، كانت الوسطية حينها مما دعت إليه الفطرة وجبل الله عليه الإنسان، وحديث النبي ﷺ قال فيه: «**فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»، فذكر جميع الأديان والملل، ولم يذكر الإسلام، فدل على أن الفطرة هي الإسلام، فكل مولود يولد على الفطرة أي: على الإسلام، وإذا كانت الوسطية ربانية المصدر: كانت بالضرورة مغروسة في الفِطَرِ، تُولد مع أحدنا ويشِبُّ معها ويشيب عليها، ولكن بعض الناس تجتالهم الشياطين، وتُزيِّن لهم الانحراف عن صراط الله المستقيم.

المطلب الرابع: سلامتها من التناقض:

إن الشريعة الإسلامية التي اختارها الله تعالى لعباده، ودعا الخلق إلى التمسك بها -إذ فيها سعادتهم في الدنيا وفوزهم ونجاتهم في الآخرة- تتسم بالتوافق والتناسق والانسجام، فلا اختلاف فيها ولا تناقض ولا تضاد؛ ذلك لأن الذي شرعها هو الله سبحانه وتعالى، هو الحكيم العليم، وهو اللطيف الخبير، فربانية الشريعة جعلت من أهم سماتها أن أحكامها منتظمة، ونصوصها -قرآنًا وسُنَّةً- جاءت متوافقة منسجمة، يصدق بعضها بعضًا، ويكمّل بعضها بعضًا، قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢].

وقال أيضًا عن سنة النبي ﷺ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ [النجم:٣-٥]، وإذا كانت كذلك فإن ما ورد فيها من

مقاصد عالية، وأهداف سامية لا تَناقضَ فيه ولا اختلاف، لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا؛ وهذا معنى قول النبي ﷺ: «**قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لايزيغ عنها بعدي إلا هالك**»[1].

وإذا كان من أهم سمات الشريعة: الوسطية والاعتدال دلَّ ذلك على أن الوسطية في هذه الشريعة بلغت من الكمال والجمال ما يجعلها سالمة من النقص والعيب والخلل، منزهة عن التناقض والتضاد؛ لأنها تستمد قوتها وكمالها من قوة مصدرها ومنبعها وهي شريعة الله السماوية، وهذا موافق لمعناها لغة واصطلاحًا؛ فإن من معاني الوسطية: الخيرية والعدل، والله تبارك وتعالى لما مدح أمةَ النبي محمد ﷺ قال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣].

المطلب الخامس: ثباتها وانضباطها:

لما كانت شريعتنا الغراء سالمة من التناقض اتسمت أيضًا بالإحكام والانضباط والإتقان والثبات، والسلامة من الهفوات والهنات، فهي شامخة في أحكامها، راسخة في ثبوتها، هذه من خصائصها ومميزاتها.

يقول الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن من خصائص الشريعة الإسلامية الثبوت من غير زوال، فلذلك لا تجد فيها بعد كمالها نسخًا، ولا تخصيصًا لعمومها، ولا تقييدًا لإطلاقها، ولا رفعًا لحكمٍ من أحكامها، لا بحسب

---

(١) أخرجه ابن ماجه في «سننه»، كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، برقم(٤٣) وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم(٩٣٧).

عموم المكلفين، ولا بحسب خصوص بعضهم، ولا بحسب زمان دون زمان، ولا حال دون حال، بل ما أُثْبِت سببًا فهو سبب أبدًا لا يرتفع، وما كان شرطًا فهو أبدًا شرط، وما كان واجبًا فهو واجب أبدًا، أو مندوبًا فمندوب، وهكذا جميع الأحكام، فلا زوال لها ولا تبدل، ولو فرض بَقَاءُ التكليف إلى غير نهاية لكانت أحكامها كذلك»[(١)].

ويقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ وهو يتكلم عن ضوابط مقاصد الشريعة: «فالمراد بالثبوت أن تكون تلك المعاني مجزومًا بتحققها أو مظنونًا ظَنًّا قريبًا من الجزم، والمراد بالظهور الاتضاح، بحيث لا يختلف الفقهاء في تشخيص المعنى... والمراد بالانضباط: أن يكون للمعنى حدٌّ معتبر لا يتجاوزه ولا يقصر عنه، بحيث يكون القدر الصالح منه لأن يعتبر مقصدًا شرعيًّا قدرًا غير مشكك. والمراد بالاطِّراد ألَّا يكون المعنى مختلفًا باختلاف أحوال الأقطار والقبائل والأعصار»[(٢)].

ولما كانت الوسطية والاعتدال من أهم المقاصد التي جاءت بها شريعتنا الإسلامية، وكان من أهم ما يميز هذه المقاصد أنَّها متصفة بالثبات والوضوح والانضباط؛ كانت الوسطية من أعظم ما اتصف بذلك، وليس ذلك لأنَّ الوسطية من مقاصد الشريعة فحسب، بل لأنَّ الوسطية منهج في

---

(١) ينظر: «الموافقات» للشاطبي (١/ ١٠٩، ١١٠).

(٢) ينظر: «مقاصد الشريعة الإسلامية» لابن عاشور (ص١٨٤).

الشريعة، وليست مجرد حكم أو باب من أبواب الفقه، فهي ميزان يندرج في جميع أبواب الدين والدنيا معًا.

فتعدَّت هذه الأوصاف إلى الوسطية، فمَيَّـزَتها بالثبات والانضباط، ولا ضير فإن أصولها مقررة في الكتاب والسنة، وفهم السلف، وستظل هذه الأصول ثابتة راسخة إلى يوم الدين في ظل الشريعة الثابتة ومقاصدها التي لا يضيرها تغير الزمان والمكان.

المطلب السادس: شمولها وكمالها:

جاء في تعريف الشمول أنه: العموم والاجتماع والإحاطة[١].

أما الكمال: فهو التمام، ويقال: أَكْمَلَ الشَّيْءَ: أَتَمَّهُ وَأَجْمَلَهُ، وَالتَّكْمِيلُ وَالإِكْمَالُ: الإِتْمَامُ، قال تعالى: ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف:١٤٢][٢].

لما كانت شريعة الإسلام خاتمة الشرائع ناسخة لها مهيمنة عليها، استلزم ذلك عمومها –مِنْ هذه المَعْمُورة– كُلَّ مكان، وعلى مدى الأزمان؛ لأنَّها الشريعة العامَّة التي دَعَت جميع البشر إلى اتباعها، والإيمان بها، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ:٢٨]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:١٥٨]، ومن ثم اتسمت بالشمول

---

(١) ينظر: «معجم مقاييس اللغة» (٣/ ٢١٥)، «أساس البلاغة» (١/ ٥٢٢).

(٢) ينظر: المصادر نفسها مادة (كمل).

والكمال؛ لذلك جرت الأحكام الشرعية في أفعال المكلفين على الإطلاق وإن كانت آحادها الخاصة لا تتناهى، فلا عمل يفرض ولا حركة ولا سكون إلا والشريعة عليه حاكمة إفرادًا وتركيبًا، وهذا معنى كونها عامة شاملة(١).

فالشريعة الإسلامية تشمل جميع نواحي الحياة: الدينية، والدنيوية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والفكرية، والثقافية، والخُلقية، دون تقصير في جانب على حساب جانب آخر؛ لذلك كانت مُصْلِحَةً لكل زمان ومكان، منَزهة عن العيب والخلل والنقصان؛ لذا جعلها الله خاتمة الشرائع، وختام الشيء تمامه وكماله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة:٣]، عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في الهواء، إلَّا وهو يذكرنا منه علمًا، قال: فقال ﷺ: **ما بقي شيء يقرِّب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بُيِّنَ لكم**»(٢).

هذه الشمولية وهذا الكمال الذي حظيت به شريعة الإسلام اتسمت به أيضًا الوسطية الإسلامية، فهي منبثقة منها، صادرة عنها، فالوسطية شملت جميع نواحي الحياة: عقيدةً، ومنهجًا، وفكرًا، وعبادةً، وأخلاقًا.

---

(١) ينظر: «الموافقات» (١/ ١٠٨)، و«مقاصد الشريعة» (ص٢٣١).

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» برقم(١٦٤٧)، وابن حبان في صحيحه، كتاب العلم، باب الزجر من كتابة المرء السُنن مخافة أن يتكل عليها، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم(١٨٠٣).

المطلب السابع: براءتها من الغلو:

الإسلام دين الفطرة -كما تَقَرَّر سابقًا-، جاء لإسعاد البشرية، وليحقق لها متطلباتها الروحية، ورغباتها الجسدية من غير إفراط ولا تفريط، فهو صمام أمان تنال به البشرية جمعاء سعادة الدنيا والفوز في الآخرة؛ لذلك كل ما تنفر منه الفطرةُ ويضادها ويناقضها إلَّا والإسلام قد حَذَّر منه، فوسطية الإسلام نَهَتْ أتباعه ومعتنقيه عن الغُلوِّ والتنطُّع؛ لذا قال النبي ﷺ مُحَذِّرًا ومرشدًا: «**هلك المتنطعون**»[1]!

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم»[2].

وفي حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ -غداة العقبة وهو على ناقته-: «**الْقُطْ لي الحصى**»، فلقطتُ له سبع حصيات هن حصى الخذف، فجعل ينفضهن في كفه ويقول: «**أمثال هؤلاء فارموا**»، ثم قال: «**يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين؛ فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**»[3].

كلُّ ذلك يريد ﷺ أن يؤصِّل للوسطية ويحارب الغلو في الدين والتطرف والتزَمُّت؛ لعلمه ﷺ أن كثيرًا من النفوس تميل إلى التشدُّد وترى أنَّ في ذلك

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، برقم(٢٦٧٠)، وأبو داود في «سننه» وجوب لزوم السنة، برقم(٤٦١٠).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٦/ ٢٢٠).

(٣) أخرجه النسائي في الصغرى، كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى، برقم(٣٠٥٧)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٣٤٧) من حديث ابن عباس، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم(١٢٨٥).

دليلًا على زيادة القربى والتقوى والصلاح، وهو فهم فاسد وتصور خاطئ، والصحيح أنَّ القرب من الله ونيل تقواه يتحصل بفعل ما يرضاه سبحانه، سواء فيما كان يشق على النفس، أو فيما يريحها ويُمَتِّعها؛ لذلك لما جاء هؤلاء الثلاثة نفر الذين تَقَالُّوا عبادةَ النبي ﷺ، وقالوا: «أين نحن من النبي ﷺ؛ قد غفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر»، فقطع دابر الغلو وبيَّن لهم ﷺ أنَّه أخشاهم لله وأتقاهم له فقال: «**والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له**»[1]؛ ليبيِّن لهم أنَّ تحصيل التقوى والارتقاء في كمال العبودية إنّما هو بتحصيل مراد الله، ولو كان ذلك يريح النفس ولا يشق عليها.

ولم يترك النبي ﷺ مجالًا لمن يسأله عن شيء فيكون سؤاله سببًا في التشديد على الناس، ففي الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**دعوني ما تركتكم؛ فإنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**»[2].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمراد بهذا الأمر ترك السؤال عن شيء لم يقع؛ خشية أن ينزل به وجوبه أو تحريمه، وعن كثرة السؤال لما فيه غالبًا من التعنت، وخشية أن تقع الإجابة بأمر يستثقل، فقد يؤدي لترك الامتثال فتقع المخالفة»[3].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، برقم(٥٠٦٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن النبي ﷺ رقم (٧٢٨٨).

(٣) ينظر: فتح الباري (١٣/ ٢٦٠).

وكما أنه مَنَعَ من الإفراط والتشدد مَنَعَ أيضًا من التفريط وتضييع الحقوق، فلله على الناس حق وهو أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وللوالدين حق، وللزوج على زوجته حق، وللزوجة على زوجها حق، وللحاكم على رعيته حق، وللرعية على الحاكم حق، وقد أمرنا الإسلام بأداء كل الحقوق دون تقصير أو إفراط.

المطلب الثامن: التيسير ورفع الحرج:

إن التيسير من أهم قواعد الشريعة الإسلامية، وأصل عظيم يُرجع إليه في كثير من أمور الدين، وقد قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة:١٨٥]، وقال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ﴾ [المائدة:٦]، وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡ﴾ [النساء:٢٨]، كما علَّمنا سبحانه أن نَسْأله التَّخْفيف، ودَفْع ما لا طاقة لَنَا بِه مِن التَّكالِيف، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٦].

ولما أرسل النبي ﷺ معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلى اليمن قال لهما: «**يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا**»[1]، وقال الله تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ﴾ [النور:٦١].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف، برقم (٣٠٣٨)، ومسلم في «صحيحه» كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير، برقم(١٧٣٣).

ومِنْ أَجْلَى معالم التَيْسِير، وبَيِّناتِ رَفْع الحَرج والمشقَّة: قول الحقِّ -تبارك وتعالى-: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨]، بمعنى: وما جعل عليكم في الدين أيَّ حرج، فالدين كله يسر وسعة، وتكالِيفه مَبْنِيَّة على الرَّحمة، جَارِيَة على السُّهولة؛ لذا شرع الله الرُّخص في العبادات رفعًا للحرج وتيسيرًا على عباده، وحثَّ عليها النبيُّ ﷺ فقال: «**إن الله يحب أن تُؤتى رُخصه**»(١).

رخَّص تبارك وتعالى في قصر الصلاة الرباعية إلى اثنين، كما رخَّص في الجمع بين العصرين والعشاءين، وأسقط الصلاة عن الحائض والنفساء، ورخَّص في أكل الميتة وشرب الخمر للمضطر، ورخَّص في تأخير الصيام للمريض والمسافر والحائض والنفساء، وجعل بديل الطهارة بالماء التيمم، إلى غير ذلك -بِحمد الله ومَنِّهِ- مِمَّا يطول بيَانه.

فالممنوع شرعًا يباح عند الضرورة، والواجب قد يسقط أو يتأخر عند عدم القدرة، بل إن النطق بكلمة الكفر عند الضرورة الشديدة - كالإكراه- مما ليس فيه حرج، قال الله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل:١٠٦].

مما حدا بعلماء وفقهاء الشريعة الغراء إلى استنباط أحكام وقواعد شماء، كان من أهم مقاصدها المحافظة على الشريعة، وبيان صلاحها لكل زمان

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ١٠٨)، وصححه الألباني في «إرواء الغليل» برقم(٥٦٤).

ومكان، وأنَّ من أبرز سماتها الوسطية والاعتدال، والتي منها: المشقة تجلب التيسير، الضرورات تبيح المحظورات، الضرر يُزال[1].

ووسطية الإسلام كذلك تتسم بأنها موصوفة باليسر ورفع الحرج، فإذا جئنا إلى أي جانب من جوانب الحياة الدينية والدنيوية إلَّا ولاح لنا اليسر والسهولة ورفع الحرج في ذات الوسطية.

قال العلّامة ابن عاشور: «واستقراء الشريعة دل على أن الوسطية من مقاصد الدين، وقد جعل الله هذه الشريعة دين الفطرة، وأمور الفطرة راجعة إلى الجبلَّة، فهي كائنة في النفوس، سهل عليها قبولها؛ ومن الفطرة النفور من الشدة والإعنات، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٢٨]، وقد أراد الله تعالى أن تكون شريعة الإسلام شريعة عامة ودائمة فاقتضى ذلك أن يكون تنفيذها بين الأمة سهلًا ميسَّرًا، ولا يكون ذلك إلا إذا انتفى عنها الإعنات، فكان من أهم سِماتِها الوسطية واليسر والسماحة»[2].

﴾ المطلب التاسع: مراعاة القيم الإنسانية:

كل الرسالات السماوية انبنَتْ على العنصر الأخلاقي والتربوي إنما كان حظ الإسلام منها أوسع وأشمل وهذا البحث محصلٌ في مطلب الكمال والشمول. فذكره هنا تحصيل حاصل. والله أعلم.

---

(١) للمزيد ينظر: «الأشباه والنظائر» للسيوطي، و«الأشباه والنظائر» لابن نجيم.

(٢) ينظر: «مقاصد الشريعة» لابن عاشور (٣/ ١٩٣).

إن ديننا الإسلامي الحنيف قامت دعائمه الأساسية على أسس أخلاقية قويمة، ومُثُل عليا صافية، كيف لا وقد وصف الله نبيه الكريم بالخُلُق العظيم فقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤].

وقال الذي لا ينطق عن الهوى: «**إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق**»[١].

ولقد وضع الإسلام كثيرًا من المبادئ والأُسس التي صارت قيمًا إنسانية تحتذي بها البشرية جمعاء.

فالقيم الإسلامية سبقت الهيئات والمنظمات الإنسانية في وضع ضوابط الآداب، ومعرفة الحقوق والواجبات، وقد صارت هذه القيم معايير أساسية وقيمًا مرعية لمفاهيم الحقوق الإنسانية والبشرية، والتي لا يمكن للناس من دونها أن يعيشوا بكرامة كبشر، وهي أساس الحرية والعدالة التي تنادي بها الهيئات والمنظمات الإنسانية المعاصرة.

فقيم العدل، والحق، والخير، ومراعاة مشاعر الآخرين، وحقوق الأقارب واليتامى والمساكين والجيران، والمواطنة، وقيم التسامح والعفو والإحسان والرفقاء وحق الدفاع عن النفس، وغيرها من القيم الإنسانية داخلة في صميم الوسطية الإسلامية.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١٤/ ٥١٢) رقم(٨٩٥٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»، برقم(٢٣٤٩).

المطلب العاشر: الحكمة والتوازن:

الحكمة معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم(١)، ولاشك أن الوسطية في الإسلام من أبرز سماتها الحكمة والموازنة بين الأمور، فمن وسطية الإسلام أن نقول للمحسن أحسنت وللمسيء أسأت، ومن وسطية الإسلام أن نأخذ على يد الظالم، ومن الوسطية أن نلتمس العذر للآخرين، ومن الوسطية أن نفرِّق بين المعاند والمتأوِّل في الحكم والمعاملة، ومن الوسطية في الإسلام أن العذر بالجهل لا يرفع ضمان الحقوق والمتلفات.

ومن الحكمة في الإسلام مراعاة القصد في الأحكام والألفاظ والأقوال والأفعال، ومن الحكمة والاتزان في الشريعة ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النجم:٣٨]، ومن الحكمة والتوازن في الشريعة أن لا تكليف إلا بمقدور، وأن الضرر يُزال، وإذا ضاق الأمر اتسع، وحماية الضعفاء وذوي الاحتياجات الخاصة، ومن الحكمة والاتزان في الإسلام الرجوع إلى أهل التخصص في كل صغيرة وكبيرة، ومراعاة الكفاءة، والاقتراع عند التماثل والاشتباه، إلى غير ذلك.

فمن تأمل أحكام الشريعة وجدها تتسم بالحكمة والتوازن، وفي كثير من الأحيان تكون أمرًا نسبيًّا يخضع تحديده لعوامل عدة لابد من مراعاتها، من مصالح ومفاسد، وما كان من قبيل العام أو من قبيل الخاص، ولا يتحقق

---

(١) ينظر: «لسان العرب» مادة (حكم) (١٢/ ١٤٠).

ذلك إلا بالحكمة.

فالحكمة وضع الشيء في موضعه، وهي تحمل معنى القصد والاعتدال، فالحكمة وسط بين الإفراط والتفريط، وعلى هذا تكون مرادفة للوسطية والعدل.

والتوازن هو التوسط بين الأمور، فالتوسط بين متطلبات الروح والجسد توازن، والتوسط بين الغلو والتفريط توازن، والتوسط بين أعمال الدنيا وأعمال الآخرة توازن، فالحكمة والتوازن من أهم سمات وخصائص الوسطية في الشريعة الإسلامية.



المبحث الرابع

ضوابط الوسطية في الإسلام



تعددت مجالات الوسطية الإسلامية -كما سيأتي إن شاء الله تعالى- فشملت جميع مناحي الحياة من عقائد وعبادات، وأخلاق ومعاملات، فهي للفرد دليل وهداية، وهي للأمة حفظ ورعاية، تحقق بها كل عِزٍّ وغاية، دون تفريط أو إفراط، كما أنها للمجتمع أمان وثبات، وضمان من التطرف والإفراط، والغلو والإعنات؛ وذلك أن الوسطية مضبوطة بالضوابط الشرعية، مُراعى فيها القواعد الكلية، والمقاصد الشرعية، وفيما يلي أهم هذه الشروط والضوابط:

∞ المطلب الأول: اعتمادها على النصوص والأدلة الشرعية:

إنَّ من أصول أهل السنة والجماعة: أنَّ الله تبارك وتعالى وهب للعقل خاصية استحسان الحسن واستقباح القبيح، وأنَّ الخلق مفطورون على ذلك، قال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والقرآن دلَّ على ثبوت حسن وقبح قد يُعلم بالعقول، ويعلم أنَّ هذا الفعل محمود أو مذموم»[1].

---

(١) ينظر: «درء تعارض العقل والنقل» (٨/ ٤٩٣-٤٩٤).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّ الله سبحانه فطر عباده على استحسان الصدق والعدل والعفة والإحسان ومقابلة النعم بالشكر، وفَطرَهم على استقباح أضدادها، ونسبة هذا إلى فِطرهم وعُقُولهم كنسبة الحلو والحامض إلى أذواقهم، وكنسبة رائحة المسك ورائحة النتن إلى مشامهم، وكنسبة الصوت اللذيذ وضده إلى أسماعهم، وكذلك كل ما يُدركونه بمشاعرهم الظاهرة والباطنة، فيفرقون بين طيبه وخبيثه، ونافعه وضاره»[(١)].

بل يرى شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن هذا مما اتفق عليه جميع العقلاء[(٢)].

بيد أنَّ من الأمور ما لا يمكن للأفراد من الخلق إدراك حقيقة الوسطية فيها، فكان حتمًا ولزامًا الرجوع إلى الشارع الحكيم في ذلك إن نصًّا فنص، وإلا فبالرجوع إلى الأشباه والنظائر، فقد يبدو للمرء الشيء ويستحسنه فإذا الخير والصلاح والوسطية في ضده، وقد يَسْتقبحُ أَحدُنا الشيء ويستنكف عنه وإذا بالخير كل الخير في إتيانه وامتثاله.

فأمَّا مثال الأول: فقد وقع لأزكى البرية وخير البشرية نبينا محمد ﷺ كما في أَسْرى بدر، ففي صحيح مسلم من حديث ابن عباس عن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وهو يتحدث عن موقعة بدر، وجاء فيه: «فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «**ما ترون في هؤلاء الأسارى**»؟ فقال أبو بكر: يا نبي الله، هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ

---

(١) ينظر: «مدارج السالكين» (١/ ٢٣٠).

(٢) ينظر: «مجموع الفتاوى» (٢٠/ ٦٨).

منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «**ما ترى يا ابن الخطاب**» قلت: لا والله يا رسول الله، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تُمكننا، فنضرب أعناقهم، فتمكن عليًّا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان – نسيبًا لعمر- فأضرب عنقه؛ فإنَّ هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها، فَهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يَهْوَ ما قلتُ، فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان، قلت: يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدتُ بكاء بكيتُ، وإن لم أجد تباكيتُ لبكائكما. فقال رسول الله ﷺ: أبكي للذي عرض عليَّ أصحابُك من أخذهم الفداء، لقد عُرِض عليَّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة - «شجرة قريبة من نبي الله ﷺ-، وأنزل الله ﷻ ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنفال:٦٧] إلى قوله ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ [الأنفال:٦٩]، فأحل الله الغنيمة لهم»(١).

وهكذا في قصته ﷺ مع ابن أم مكتوم كما عند الترمذي وغيره من حديث عروة بن الزبير عن أبيه عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «أُنزل ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ [عبس:١] في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني! وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يُعرض عنه ويقبل على الآخر، ويقول: أترى بما أقول بأسًا؟ فيقول:

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم، برقم(١٧٦٣).

لا، ففي هذا أنزل»[١].

فالنبي ﷺ كان يرى أن المصلحة في أخذ الفداء من أسرى بدر، وفي الانشغال بالرجل العظيم من المشركين؛ لعلَّ الله يهدي الأسرى ويجعل فداءهم سببًا في إسلامهم، إضافة إلى التَّقَوِّي بِأموال الفداء، وكان يرى المصلحة في الانشغال بهذا العظيم من المشركين؛ لعلَّ الله يهدي بهدايته مَن تحت يديه مِن قومه، فكان الأصلح في ضد ذلك.

وأمَّا المثال الثاني فيظهر جليًّا في صلح الحديبية، وما جاء فيه من بنود ظاهرها الذلُّ والهوان للمسلمين، وهم مَن خرج لإعلاء كلمة الله، قاصدين بيت الله محرمين ملبين، حتى قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ألستَ نبيَّ الله حقًّا؟ قال: **بلى**. قال: ألسنا على الحق وعدوُّنا على الباطل؟ قال: **بلى**. قلت: فلِمَ نعطي الدنية في ديننا إذًا؟ قال: **إني رسول الله ولستُ أعصيه، وهو ناصري**. ثم أمر ﷺ أصحابه بنحر الهدي وحلق رؤوسهم ليتحلَّلُوا من العمرة»[٢].

فأعقب ذلك فتح من الله ونصر مبين، بعده صارت مكة دار إسلام، وانقطعت الهجرة منها إلى المدينة.

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة عبس، برقم(٣٣٣١)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي»، برقم(٢٦٥١).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، والمصالحة مع أهل الحرب، وكتابة الشروط، برقم(٢٥٨١ و٢٥٨٢).

فحيثما كان النص الشرعي وكانت الآية والحديث الثابت عن رسول الله ﷺ فثم العدل والخير والوسطية.

وحيث لم يكن شيء من ذلك فهنا يلحق الشبيه بشبيهه والنظير بنظيره والمثيل بمثيله، مع استصحاب سمات الوسطية التي ذكرناها سابقًا: مِن موافقة الفطرة، ورفع الحرج، واختيار الأيسر، مع العدل والحكمة.

وحيثما اجتمع في الأمر خير وشر، وصلاح وفَساد، ونفع وضر، فالوسطية هنا تكون مع الأغلب، جلبًا للخُيُور ودفعًا للشرور.

ومن اشتبه عليه علم شيء فَلْيَكِلْهُ لعالمه وأهل الحلِّ والعقد فيه، فهم أخبر بحقيقة الوسطية فيه، ولا يخبط فيه خبط عشواء، خاصة فيما يتعلَّق بالصالح العام، ومسائل الأُمَّة، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء:٨٣].

المطلب الثاني: موافقتها لمنهج السلف الصالح -رحمهم الله:

السلف الصالِح هم الصحابة الكرام، وتابعوهم بإحسان، وأئمة الأمة العظام من أعلام القرون الثلاثة الأُوَل، والتي هي خير القرون، بنصِّ حديث النبي ﷺ: «**خير الناس قَرْنِي ثم الذين يَلُونهم ثم الذين يلونهم**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، برقم(٣٦٥١)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة، برقم(٢٥٣٣).

قال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والذي ينبغي للناس: أن يعتادوا اتباع السلف على ما كانوا عليه على عهد رسول الله ﷺ؛ فإنهم خير القرون، وخير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، فلا يعدل أحد عن هدي خير الورى وهدي خير القرون إلى ما هو دونه»(١).

فالسلف هم خير الناس فهمًا لنصوص الكتاب والسنة، وهم أعلم الخلق بأحكام الشريعة؛ وذلك لقرب عهدهم بالوحي، وهُمْ أعلم الناس بمقاصد الشريعة، وكانوا أعلم الناس بلغة العرب.

فإن أجمعوا على شيء فالوسطية في إجماعهم، وإن اختلفوا فالوسطية لا تخرج عن أقوالهم؛ فإنَّه ما كان الله تبارك وتعالى لِيُخفي الحقَّ عنهم ليُعلمه غيرهم، وهم كانوا أنقى وأتقى الخلق لله.

لذلك كان من شروط وضوابط الوسطية في الإسلام: أَنْ توافق ما كان عليه السلف الصالِح في القواعد والكليات؛ لأنَّ الجزئيات لا حصر لها، فإن وقع ما يخالف منهج السلف الصالِح في ذلك فهذا دليل على أننا لم نصب الوسطية؛ إمَّا لسوء في الفهم، أو لخلل في التطبيق، أو في الأمرين معًا، فقد كانوا يأخذون من كل شيء بقسط لاميل فيه، يحرصون على التوسط والاعتدال، وكان ذلك عندهم أصلًا يُرجع إليه.

---

(١) ينظر: «مجموع الفتاوى» (١/ ٣٧٥).

والسلف هم أشد الناس اتباعًا لسنة النبي ﷺ، وأبعدهم عن الهوى وإعمال الرأي، بل كانوا يذمون أهل الأهواء والآراء؛ لأنهم ينحرفون عن وسطية الدين الإسلامي بمخالفتهم سنة النبي ﷺ واتباعهم أهواءهم، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص:٥٠]، ويؤثر عن الإمامين الحسن البصري ومجاهد بن جبر المكي[١] -رحمهما الله- أنهما قالا: «إنّما سُمِّيَ هوى لأنه يهوي بصاحبه في النار»[٢].

وقال عطاء رَحِمَهُ اللَّهُ[٣] إن فيما أنزل الله -تبارك وتعالى- على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لاتجالس أهل الأهواء؛ فيحدثوا في قلبك ما لم يكن»[٤]، وقال

---

(١) هو: مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكى مولى بنى مخزوم، تابعى مفسر من أهل مكة، كان شيخ القراء والمفسرين أخذ التفسير عن ابن عباس، تنقل فى الأسفار واستقر فى الكوفة، قيل إنه مات وهو ساجد رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١٠٤هـ). ينظر: «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٤٤٩)، «الأعلام» (٢/ ٥٢).

(٢) ينظر: «الشرح والإبانة» (ص١٤١)، «الاعتصام» (١/ ١٠٦).

(٣) هو: عطاء بن أبي رباح مولى آل أبي خيثم، الفهري، القرشي؛ واسم أبي رباح أسلم، ولد بالجَنَدَ (بلدة باليمن)، وكان مولده سنة سبع وعشرين أثناء خلافة عثمان، ولما سُئِل عن موعد مولده قال: لعامين خَلَوا من خلافة عثمان، وكان عطاء أسود أعور أشل أعرج، ثم عمي في آخر عمره، وكان من سادات التابعين فقهًا وعلمًا وورعًا وفضلًا، لم يكن له فراش إلا المسجد الحرام إلى أن مات. ينظر: «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٧٨)؛ «وفيات الأعيان» (٣/ ٢٦١)، «مشاهير علماء الأمصار» (١/ ٨١)، «الأعلام» للزركلي (٤/ ٢٣٥).

(٤) ينظر: «الشرح والإبانة» (ص١٥٥).

بشر بن الحارث رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إذا كان طريقك على صاحب بدعة فغمض عينيك قبل أن تبلغ إليه»[2]، وقال ابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «ما كان الرجل مع الأثر فهو على الطريق»[4].

وقال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ[5]: «من تعاطى الكلام تزندق»[6].

ومن خصائص السَّلف ومذهبهم الذي رَسَّخ الوسطية ووطَّدَها، واطَّرَح طرَائق الإفراط ونبَذَها: كونُهم لا يعتقدون العصمة في غير

---

(١) هو: بشر بن الحارث بن عبدالرحمن بن عطاء المروزي، الإمام، العالم، المحدث، الزاهد، الرباني، القدوة، شيخ الإسلام، أبو نصر المروزي، ثم البغدادي، المشهور بالحافي، ولد سنة اثنتين وخمسين ومائة، مات رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذي الحجة، سنة سبع وعشرين ومائتين. ينظر: «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٤٦٩)، «الأعلام» للزركلي (٢/ ٥٤).

(٢) ينظر: «الشرح والإبانة» (ص١٥٨).

(٣) هو: محمد بن سيرين الأنصاري، أبو بكر بن أبي عمرة البصري، أخو أنس ومعبد وحفصة وكريمة، مولى أنس بن مالك إمام وقته في علوم الدين بالبصرة، تابعي من أشراف الكتّاب، ولد بالبصرة، وتوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بها سنة عشر ومائة. ينظر:«سير أعلام النبلاء» (٤/ ٦٠١)، «وفيات الأعيان» (٤/ ١٨١)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ١٥٤).

(٤) ينظر: «الشريعة» للآجري (ص١٨).

(٥) هو: عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي مولاهم أبو عبد الرحمن المروزي، أحد الأئمة الأعلام، قال ابن مهدي: «الأئمة أربعة: سفيان، ومالك، وحماد بن زيد، وابن المبارك»، له مصنفات كثيرة منها: «السنن» و«التفسير» و«التاريخ» و«الزهد» و«الجهاد»، مات رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند منصرفه من الغزو سنة (١٨١هـ) بهيت بالعراق.
ينظر: «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٣٧٨)، «وفيات الأعيان» (٣/ ٣٢)، «شذرات الذهب» (٢/ ٣٦١)، «الأعلام» (٤/ ١١٥).

(٦) ينظر: «الشرح والإبانة» (ص١٦٨).

الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فكل واحد يُؤخذ من قوله ويُرد إلّا رسول الله ﷺ، ويرون أنَّه لا يُصْدر عن غير الكتاب والسنة والإجماع، ويرون أنَّ القياس الصحيح من مصادر الشريعة، وأن الشريعة التبعية لا تفرق بين المتماثلات، كما أنَّها لا تساوي بين المتغايرات، ويفرقون بين الخطأ والإثم، وبين النصيحة والتَّعْيِير، وأنَّه لا تعارض بين النقل الصحيح والعقل الصريح، وأنَّ الحكم الشرعي واحد، والفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان، وأنَّ درء المفاسد أولى من جلب المصالح، وأنَّ المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة، وأنَّ الدين جاء لسعادة البشر، يجمع لهم بين متطلبات الروح ورغبات الجسد، وأنَّه وسط لا إفراط، ولا تفريط، وأنَّ ما شرعه الله تبارك وتعالى في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ فيه خير وصلاح وسعادة البشرية، سواء في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق، وأنَّه ما فرَّط في الكتاب من شيء، غير أنَّ الخلق متفاوتون في إدراك ذلك لتفاوتهم في العلم والفهم؛ لذلكَ من أراد الوقوف على الوسطية الحقَّة فليفتش عنها عند سلف الأمة الأخيار، الأئمة الأبرار، فإنّه سيجد ما يشفي عليله، ويروي غليله، فإن لم يجد المسألة بعينها قد نقلت عنهم وحكي فيها قولهم فليقسها على نظائرها وأشباهها؛ فإنَّه واجدٌ ذلك ولابُدَّ.

خلاصة القول: إن الوسطية الحقة تمثَّلت في حياة السلف قولًا وعملًا؛ لأنهم تعلموا قبل أن يقولوا ويعملوا، فمن أراد اتباعهم فعليه بأهل العلم وأتباعهم.

المطلب الثالث: مراعاتها لمقاصد الشريعة ومآلاتها:

مقاصد الشريعة هي: «المعاني والحِكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختصُّ ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغاياتها العامة، والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها.. ويدخل في هذا أيضًا معان من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام، ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها»[١].

وقيل هي: «الغايات التي وُضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد»[٢].

وللمقاصد أهمية عظيمة، وفوائد كثيرة، فبها تظهر الأهداف السامية من أحكام الشريعة، وتبين من أفعال العباد غاياتها الجليلة من الوضيعة، فالشريعة الإسلامية أتت لتحقيق مصالح العباد في دنياهم وأخراهم، والبعد عنها بُعدٌ عن هذه المصالح، والتمسك بها إقامة لهذه المصالح.

والوسطية الإسلامية راعت هذه المصالح جميعًا، والمتأمل في أحكام الشريعة يدرك أن التوسط والاعتدال أحد أهم مقاصدها، وسمة من أهم سماتها، فهي آخذة بزمام الاعتدال والتوازن، بعيدة عن طرفي الإفراط والتفريط، وكل أحكامها تشهد بالاعتدال والتوسط والسماحة.

---

(١) وهو تعريف ابن عاشور. ينظر: «مقاصد الشريعة» (ص٥١).

(٢) ينظر: «نظرية المقاصد عند الشاطبي» (ص٧).

«فالتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط هو منبع الكمالات، وقد قال تعالى في وصف هذه الأمة أو وصف صدرها: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة:١٤٣]، روى أبوسعيد الخدري عن رسول الله ﷺ في معنى الآية: أن الوسط هو العدل، أي: بين طرفي الإفراط والتفريط، وبذلك جزم المحققون في تفسير هذه الآية»[١].

فالوسطية من أهم مقاصد الشريعة الإسلامية، ومراعاة المقاصد من أهم ضوابط الوسطية في الإسلام، فهما كوجهي العملة الواحدة.

المطلب الرابع: أن يتولى بيانها وتحديدها أهل العلم المعتبرون:

إن العلم قد ثبت في الشريعة فضله، ولاينكر فضل العلم في الجملة إلا من استحكم جهله، فالعلماء ورثة الأنبياء، ومنازلهم فوق منازل الشهداء، وللعلم قصد أصلي وقصد تابع، فالقصد الأصلي هو العمل بمقتضى هذا العلم، فكل علم شرعي أصل طلبه العمل به.

قال النبي ﷺ: «**لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء، ولا لتماروا به السفهاء، أو لتصرفوا وجوه الناس إليكم، فمن فعل ذلك فالنار النار**»[٢]!

---

(١) ينظر: مقاصد الشريعة (ص١٨٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه في «سننه» المقدمة، برقم(٢٥٤)، وابن حبان في «صحيحه» برقم(٩٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٣٧٠).

وقال ﷺ: «**من تعلم علمًا مما يبتغى به وجه الله لايتعلمه إلا ليصيب به غرضًا من الدنيا لم يجد عَرْف الجنة يوم القيامة**»[1][2].

فالمقصود الأسمى من العلم: العمل به، والمقصود الأدنى منه أن ينال صاحبه الشرف وإن لم يكن في أصله كذلك، وأن الجاهل دنيء وإن كان في أصله شريفًا، وأن قول العالم نافذ وحكمه ماض وتعظيمه واجب على جميع المكلفين؛ إذ قام لهم مقام النبي ﷺ، مع عدم اعتقاد العصمة فيه؛ لأن العلماء ورثة الأنبياء، وأن العلم جَمال، ورتبة لا توازيها رتبة، وأهله أحياء أبد الدهر... على سائر ما له في الدنيا من مناقب حميدة ومآثر حسنة، فذلك كله غير مقصود من العلم شرعًا[3]. بل المقصود الأساس هو العمل به.

فتعليم الناس أمور دينهم، وتبليغهم العلم الشرعي النافع كانت مهمة الأنبياء، ومن بعدهم العلماء، فالعلماء ورثة الأنبياء، يبصِّرون الناس بأمور دينهم، وينفون عنهم الجهل والزيغ والانحراف، ويهدونهم إلى صرط الله المستقيم، وهدي النبي القويم، ونهج الصحابة والتابعين، وهذه هي حقيقة الوسطية، فإن هم فعلوا ذلك فعلى طريق الوسطية سَلَكُوهُم، ومن الزيغ والضلال حصنوهم، وإلى الجنة ساقوهم، وعن النار حجزوهم، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣].

---

(١) أخرجه أبوداود في «سننه»، كتاب العلم، برقم(٣٦٦٤)، وابن ماجه في «سننه» المقدمة، برقم(٢٥٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»، برقم(٦١٥٩).

(٢) ينظر: «الموافقات» للشاطبي (١/ ٨٣ وما بعدها).

(٣) ينظر: «الموافقات» (١/ ٨٥، ٨٦) بتصرف واختصار.

غيرَ أنه في كثير من الأحيان، وفي مختلف المجالات، الدينية والدنيوية، العقدية والفكرية والاجتماعية والمالية، والسياسية، تشتبه الأمور، وتختلط الأحوال، وتتداخل الحقائق، وتلتبس المسائل، فلا يقوى على كشف حقيقة الوسطية فيما ادْلَـهَمَّ من ذلك إلا أهل العلم المعتبرون، الذين لهم رسوخ في العلم، وقدم صدق في الديانة، مَن عُرِف في الناس بعلمه وإمامته وديانته.

لذلك كان من أهم ضوابط الوسطية أن يتولى توضيحها وتحديدها علماء الأمة الأثبات، الذين نثق بعلمهم ودينهم، وكما قال الإمام محمد بن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن هذا العلم دين؛ فانظروا عمن تأخذون دينكم»[1]؛ لأن العلماء هم أعلم الناس بكيفية الأخذ بأسبابها، وأدرى الناس بآثارها وثمارها؛ لذلك كان لابد أن تصنع على أعينهم وتحت أيديهم، يضعون ضوابطها وشروطها، ويزنونها بميزان الكتاب والسنة بما يوافق فهم سلف الأمة.

كانت هذه أهم ضوابط الوسطية في الإسلام، والتي من خلال التحاكم إليها، والمثُول أمامها، والصدور عنها في كل صغيرة وكبيرة؛ نكون قد أصبنا كبد الوسطية في مختلف المجالات، وهذا هو موضوع المبحث القادم بإذن الله تعالى.



(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» المقدمة، باب في أن الإسناد من الدين، برقم(٢٦).

المبحث الخامس

مجالات الوسطية



إن من فضل الله على هذه الأمة أن هداها للدين الحق، فوفَّقها إلى أصحِّ العقائد وأنقاها، وفي العبادات إلى أيسرِها وأصفاها، وفي المناهج إلى أكملِها وأسماها، وفي الأخلاق إلى أشرفها وأزكاها، فهذا السرُّ الأكبر في قوة شخصيتها وبناء حضارتها، والإكسير الأعظم في أمجادها وتعاقب انتصاراتها.

ومن أعظم الثوابت والأركان في هذه الشريعة وسطيتـها، التي تتجلى في كل مجالاتها. وفيما يلي تفصيل هذا الإجمال لوسطية الإسلام في المجالات المختلفة:

المطلب الأول: وسطية الإسلام بين المِلل الأخرى:

أولاً: وسطية الإسلام في الاعتقاد:

جاء تقرير القرآن الكريم لمنهج الوسطية في العقيدة شاملًا متكاملًا، حيث إن العقيدة هي الأساس وعليها البناء، فأي انحراف فيها يسري على ما سواها، وما زاغت الأمم الأخرى في عباداتها وأمورها إلا بعدما انحرفت في عقيدتها قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة:٣٠]، وهدى الله

أهلَ الإيمان وأمة الإسلام إلى الحق بفضله وجوده وكرمه، قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة:٢١٣].

فآثار ذلك حفيظةَ الكفار من المشركين وأهل الكتاب لِـمَا اختصَّ الله به أهلَ الحق من الهدى والنور، وحسدوهم على ما آتاهم الله من فضله، كما قال سبحانه: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة:١٠٥]، وقال سبحانه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة:١٠٩]، فبدل أن ينصاعوا إلى الحق الذي أكرم الله به أهل الإيمان، وينخرطوا تحت راية أهل الإسلام، كفروا وتمَرَّدوا، وعتَوا وتجبَّروا، وحرَّفوا ما في كتبهم، وأدخلوا فيها ما ليس منها، وأنقصوا منها ما هو فيها، وانحرفوا عن الصراط المستقيم، ونال ذلك أصل الدين وأساسه المتين العقيدة والتوحيد، كما سيأتي جليًّا إن شاء الله.

١ـ العقيدة في الله تعالى:

أ ـ عقيدة اليهود في الله تعالى:

اليهود هم الذين يزعمون أنّهم أتباع موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وردت تسميتهم في القرآن بقوم موسى، وبني إسرائيل، وأهل الكتاب، وباليهود؛ اليهودية

هي ديانة العبرانيين المنحدرين من إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ المعروفين بالأسباط، أرسل الله إليهم موسى مؤيدًا بالتوراة نبيًا لهم. واليهودية نسبة يهود الشعب، وقد يكون منشأ النسبة إلى يهوذا أو أبناء يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم صارت وصفًا لليهود على سبيل التغليب[1].

ودين نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي كان يدين به أتباعه من اليهود كان الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ [المائدة:٤٤]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران:١٩]، أكرمهم الله به وفضلهم في ذلك الوقت على العالمين، لكنه كان مؤقتًا ببعثة النبي عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم إن اليهود حرفوا دينهم وغيروا ما أنزل الله، فألصقوا صفات النقص بالله تعالى، وشبهوا الخالق بالمخلوق، فقالوا: إن الله فقير، ويد الله مغلولة، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا! كما أخبرنا سبحانه في كتابه في قوله: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران:١٨١،١٨٢].

---

(١) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب (١/ ٤٩٥).

روى الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ والإمام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «دخل أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بيت المِدْرَاس، فوجد من يهود ناسًا كثيرًا قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له: فنحاص، كان من علمائهم وأحبارهم، فقال أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لفنحاص: ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمدًا رسول الله، قد جاءكم بالحق من عند الله، تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة والإنجيل؛ قال فنحاص: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر وإنه إلينا لفقير، وما نتضرع إليه كما يتضرَّع إلينا وإنا عنه لأغنياء، ولو كان عنا غنيًّا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا ويعطيناه، ولو كان غنيًّا عنا ما أعطانا الربا. فغضب أبو بكر فضرب وجه فنحاص ضربة شديدة وقال: والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله، فَأَكْذِبُونَا ما استطعتم إن كنتم صادقين، فذهب فنحاص إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا محمد انظر ماذا صنع بي صاحبك، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي بكر: **«ما حملك على ما صنعتَ؟»** قال: يا رسول الله إن عدو الله قال قولًا عظيمًا، زعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء!! فلما قال ذلك غضبتُ لله مما قال، فضربت وجهه، فجحد ذلك فنحاص

---

(١) هو: أحمد بن محمد بن سلامة، أبو جعفر الطحاوي الأزدي المصري، الإمام العلامة الحافظ الفقيه الحنفي، ابن أخت المزني، وهو صاحب التصانيف البديعة، وكان ثقة ثبتًا، ومصنفاته كثيرة، منها: «أحكام القرآن» و«شرح معاني الآثار» و«بيان مشكل الآثار» و«المختصر في الفقه» و«اختلاف الفقهاء» و«العقيدة الطحاوية» و«حكم أراضي مكة»، توفي بمصر سنة ٣٢١هـ. ينظر: «تذكرة الحفاظ» (٣/ ٨٠٨)، و«طبقات المفسرين» (١/ ٧٣)، و«وفيات الأعيان» (١/ ٥٣).

وقال: ما قلت ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران:١٨١-١٨٢]»[(١)].

يشير إلى قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة:٢٤٥]، فقال هو ومن معه من اليهود: إن الله يطلب القرض، إن الله افتقر. تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا!

قالت اليهود: يد الله مغلولة:

وهذا أيضًا جاء صريحًا في القرآن الكريم حكاية عن قولهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤].

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قالوا هذا لما رأوا النبي ﷺ في فقر وقِلَّة مال، وأنه كان يستعين بهم في الديات، فقالوا: إن إله محمد بخيل، وهذا معنى قولهم: يد الله مغلولة، فهو التمثيل كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء:٢٩]، ويقال للبخيل جَعْدُ الأنامل، ومقبوض الكف، وكَزُّ الأصابع، ومغلول اليد[(٢)].

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» لهاتين الآيتين (٧/ ٤٤١-٤٤٧)، و«شرح مشكل الآثار» (٥/ ٨٧)، وأصله في مسلم. ينظر: «فتح الباري» (٦/ ٤٤٣-٤٤٤).

(٢) ينظر: «الجامع لأحكام القرآن» للإمام القرطبي (٨/ ٨٢).

وفي المعجم الكبير من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رجل من اليهود يقال له النبَّاش بن قيس: إنَّ ربك بخيل لا ينفق؛ فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ﴾ [المائدة:٦٤][1].

وقالت اليهود: إن الله لما خلق السماوات والأرض تعب فاستراح يوم السبت:

جاء في سِفر الخروج[2] ما نصه: «اذكر يوم السبت لتقدسه، ستة أيام تعمل وتصنع جميع أعمالك، وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك لا تصنع عملًا، أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي داخل أبوابك؛ لأن في ستة أيام صنع الرب الأرض والسماء والبحر وكل ما فيها، واستراح في اليوم السابع؛ لذلك بارك الله الرب يوم السبت وقدسه...»[3].

وفي سفر التكوين: «فأكملت السماوات والأرض وكل جندها، وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمله، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله»[4].

---

(١) ينظر: «المعجم الكبير» (١٢/ ٦٧)، قال محققه الشيخ حمدي بن عبد المجيد السلفي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال في المجمع -يقصد الهيثمي- (٧/ ١٧): رِجَالُهُ ثقات.

(٢) تتكون التوراة من خمسة أسفار هي على الترتيب: سفر التكوين، سفر الخروج، وسفرالأحبار (اللاويتين)، وسفر العدد، وسفر التثنية، ويتكون كل سفر من إصحاحات، وكل إصحاح من عدد من الفصول، ويتكون كل فصل من عدد من الفقرات، انظر: «مختصر إظهار الحق»، ص(١١٤).

(٣) ينظر: سفر الخروج (٢٠/ ٨-١١).

(٤) ينظر: سفر التكوين (٢/ ١-٣).

ولقد أشار الله تبارك وتعالى إلى قولهم وردَّ عليهم فقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق:٣٨]، أي ما مسنا من تعب.

وقالت اليهود: إن الله نزل في صورة إنسان وصارع يعقوب إلى الفجر:

ففي سفر التكوين: «فبقي يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنه لا يقدر عليه، ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه، وقال: أطلقني، لأنه قد طلع الفجر، فقال: لا أطلقك إن لم تباركني، فقال له: ما اسمك؟ فقال: يعقوب، فقال: لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت، وسأل يعقوب وقال: أخبرني باسمك؛ فقال: لماذا تسأل عن اسمي؟ وباركه هناك. فدعا يعقوب هذا المكان فنيئيل، قائلًا: لأني نظرت الله وجهًا لوجه...»[1]، تعالى الله عما يقول المجرمون عُلُوًّا كبيرًا!

وقالت اليهود: إنّ آدم وزوجته اختبئا من الرب فلم يعلم مكانهما.

جاء في سفر التكوين: «سَمِعَا -أي: آدم وحوَّاء- صوت الربِّ الإله ماشيًا في الجنة عند هبوب ريح النهار، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة، فنادى الربُّ الإله آدم، وقال له: أين أنت؟ فقال: سمعت صوتك في الجنة، فخشيت لأني عريان، فاختبأت. فقال: من أعلمك

---

(١) ينظر: سفر التكوين (٣٢/ ٢٤-٣٢).

أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك ألا تأكل منها»[١]؟

فوصفوه بالجهل تعالى الله عما يقول الكاذبون علوًّا كبيرًا.

ووصفت اليهود الله بالندم:

جاء في سفر الخروج: «فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه»[٢].

وجاء في سفر العدد ما ينكر ذلك ويردُّه ففيه: «ليس الله إنسانًا فيكذب، ولا ابن إنسان فيندم»[٣].

ووصفت اليهود الله بالبكاء وذرف الدموع:

جاء في سفر إرميا: «وإن لم تسمعوا، فإن نفسي تبكي في أماكن مستترة من أجل الكبرياء، وتبكي عيني بكاءً وتذرف الدموع؛ لأنه قد سبي قطيع الرب»[٤].

وقالت اليهود: إن الله له أبناء:

جاء في سفر التكوين: «وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض ووُلِدَ لهم بناتٌ أنَّ أبناء الله رَأَوْا بنات الناس أنهن حسنات، فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا»[٥].

---

(١) ينظر: سفر التكوين إصحاح (٣/ ٨-١١).

(٢) ينظر: سفر الخروج إصحاح (٣٢/ ١٤).

(٣) ينظر: سفر العدد إصحاح (٢٣/ ١٩).

(٤) ينظر: سفر إرميا إصحاح (١٣/ ١٧).

(٥) ينظر: سفر التكوين: (٦/ ١-٢).

وحكى الله عنهم في القرآن أنهم جعلوا له ولدًا فقال: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣٠].

هذا ملخص سريع لأهم معتقدات اليهود في الله تبارك وتعالى، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا[(١)]!

ب ـ عقيدة النصارى في الله تعالى:

والنصارى هم الذين يزعمون أنّهم أتباع المسيح عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سُمُّوا بذلك نسبة إلى «نصرانة»[(٢)] قرية المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من أرض الجليل، ويطلق على ديانتهم النصرانية، ووردت تسميتهم في القرآن بالنصارى وبني إسرائيل، وأهل الكتاب، وأهل الإنجيل[(٣)].

أرسل الله تعالى عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى بني إسرائيل من بعد موسى ليهديهم إلى صراط الله المستقيم، فضَلُّوا ضلالًا كبيرًا، ولم تضل أمة من الأمم كما ضلت النصارى، وأي ضلال بعد وصف الله تعالى لهم بالضلال! كما أخبر بأنه غضب على اليهود، فقال سبحانه كما في سورة الفاتحة: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة:٦، ٧].

فالمغضوب عليهم هم اليهود، أما النصارى فهم أهل الضلال.

---

(١) للمزيد ينظر: «وسطية أهل السنة بين الفرق» (ص٢٤٤)، و«دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية» (ص٨٤-٨٨).

(٢) قرية في أرض الخليل تسمى ناصرة ونصورية دراسات في الأديان ١٦٣.

(٣) ينظر: «دراسات في الأديان، اليهودية والنصرانية» (ص١٣٣).

ولقد ابتلى الله النصارى ابتلاءً شديدًا حينما خَلَق عيسى من أم بلا أب، وبما أجراه سبحانه وتعالى على يديه من معجزات: من إحياء الموتى بإذن الله، وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله، لكنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ما فتئ يذكرهم بالله ويضيف ما أجراه الله على يديه إلى ربه تبارك وتعالى، وأنه عبد الله ورسوله، لكن أبت النصارى إلا الغلو والضلال كما أخبر الله عنهم، فانحرفوا عن جادة الطريق وأشركوا مع الله غيره، وافترقوا على فرق وأحزاب يكفر بعضهم بعضًا، ويلعن بعضهم بعضًا:

فقالت طائفة منهم: إن الله هو المسيح ابن مريم:

لقد غلت النصارى في المسيح عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حتى قالت طائفة منهم: إن الله هو المسيح ابن مريم كما أخبر تبارك وتعالى عنهم في كتابه رادًّا عليهم هذه الفرية الكفرية: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [المائدة:١٧]، ولعلَّ المرادَ بذلك قولهم بالتجسيد وأن الله ظَهر في جسد عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأنه هو هو، فصاروا أصل مقالة الحلول والاتحاد[١].

وقالت طائفة من النصارى: المسيح ابن الله:

كما أخبر الله عنهم في كتابه الكريم: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة:٣٠].

---

(١) ينظر: «مجموعة الرسائل والمسائل» (٤/ ٣٥).

وهذا ما صَرَّحت به أناجيلهم المحرفة، حيث جاء في «إنجيل مَتَّى» أنّ المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سأل بطرس: ماذا يقول الناس عنه وقال: «أنت هو ابن الله الحي»(١).

وفي إنجيل يوحنا أن المسيح قال: «فلما سمع يسوع قال: هذا المرض ليس للموت، بل لأجل مجد الله، ليتمجد ابن الله»(٢).

وقالت طائفة أخرى: إن الله ثالث ثلاثة:

كما أخبر الله تبارك وتعالى عنهم وكفَّرهم بمقولتهم هذه: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة:٧٣]، وعمدتهم في ذلك أنه تكلم الله عن نفسه بصيغة الجمع كما في سفر التكوين: «وقال الله: نَعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا»(٣)، وورد في «إنجيل متى» في عقيدة التعميد(٤): «عمدوا باسم الأب والابن والروح القدس»(٥)، وهكذا اختلفت النصارى على طوائف وفرق شتى.

---

(١) ينظر: إنجيل متى إصحاح (١٦/ ١٦).

(٢) ينظر: إنجيل يونس إصحاح (١١/ ٤).

(٣) ينظر: سفر التكوين إصحاح (١/ ٢٦).

(٤) التعميد: هو مفتاح الدخول في النصرانية، ويكون برش الماء على الجبهة أو أي جزء من الجسم، أو غمس الشخص كله في الماء، ولا يكون إلّا في الكنيسة، وعلى يد كاهن. ينظر: «دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية» (ص٢٩٠).

(٥) ينظر: «إنجيل متى إصحاح» (٢٨: ١٩).

ج ـ عقيدة المسلمين في الله تعالى:

عقيدة أهل الإسلام في الله تعالى عقيدة صافية نقية، تتهاوى أمامها اليهودية والنصرانية وجميع الديانات، بل لا مقارنة بينها وبين عقيدة أهل الإسلام في الله تبارك وتعالى البتة.

فالله سبحانه وتعالى عند المسلمين هو الخالق البارئ المصور الملك المدبر، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، الذي لا يفنى ولا يبيد ولا يكون إلا ما يريد، الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، الظاهر الباطن ملك السماوات والأرض الذي يعلم السرَّ وأخفى، أفعاله كلها رحمة وحكمة ومصلحة للخلق، ما شاء سبحانه كان وما لم يشأ لم يكن، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه، يحكم ما يشاء، ويفعَل ما يريد، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، الإله المعبود بحق وما سواه من الآلهة باطل، الموصوف بصفات الجلال والجمال والكمال، و أي وصف من صفات الكمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه فالله متَّصف به عند أهل الإسلام، إذ واهب الكمال أولى به، وأي وصف من أَوْصافِ النقص فالله مُنَـزَّه عنه، لا يلحقه منه مثقال ذرة ولا أدنى من ذلك، إلى غير ذلك مما لو استرسلنا في سرده وبيانه جاء في مجلدات ومجلدات.

هذه هي العقيدة الصافية التي زرعها النبي ﷺ في قلوب أصحابه بمقاله وفعاله، وقد قال الله عنهم: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥].

فأهل الإسلام يصفون الله تعالى بكل صفات الكمال والجلال، وينزهون الله تعالى عن صفات النقص والعيب، فلا تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل، فهو سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠].

ونختم هذا المبحث بخير مقال، سورة من كتاب الله جمعت عقيدة أهل الإيمان، وهي تعدل ثلث القرآن، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:١-٤].

٢ ـ العقيدة في الملائكة:

أ ـ عقيدة اليهود في الملائكة:

تفرقت اليهود إلى فرق، كما أن النصارى تفرقوا إلى فرق، كما أن هذه الأمة افترقت إلى فرق كما قال ﷺ: «**افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة**»(١).

وافترقت اليهود بعد أن اضطهدهم اليونان وأرغموهم على اعتناق الدين اليهودي وعبادة الآلهة اليونانية مثل «زيوس» و«ديونيسوس»، فتفرق

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب شرح السنة برقم (٤٥٩٦)، وصححه الألباني في الصحيحة، برقم (٢٠٣).

اليهود إلى فرق من نواحٍ شتى دينية وسياسية وقبلية. وأهم فرق اليهود الدينية فرقتان:

١- **فرقة شاسديم**: ومن عقيدة هذه الفرقة أنها تؤمن بالبعث وقيامة الأموات والملائكة والعالم الآخر.

٢- **فرقة الصدوقيين**: وهذه الأخيرة لا تؤمن بالبعث والآخرة والجنة والنار، وتنكر وجود الملائكة والأرواح والشياطين والعالم الآخر(١).

ومن الطوائف التي تؤمن بالملائكة - ولعلها طائفة «شاسديم» - طائفة حكى لنا القرآن الكريم عداوتها للملائكة وخاصة جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٩٧،٩٨].

وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله ﷺ المدينة فأتاه، فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، قال: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه، ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**خبرني بهن آنفًا جبريل**»، قال فقال عبد الله: ذاك عدو اليهود من الملائكة(٢).

---

(١) ينظر: «دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند» (ص ٢١٧-٢٢٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه، برقم(٣٣٢٩).

وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: «حضرت عصابة من اليهود نبي الله ﷺ يومًا، فقالوا: يا أبا القاسم، حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي... فذكره، وفيه: فحدثنا مَن وليُّك مِن الملائكة؟ فعندها نجامعك أو نفارقك. قال: **فإن وليي جبريل** عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، **ولم يبعث الله نبيًّا قط إلا وهو وليه.** قالوا: فعندها نفارقك. لو كان وليك سواه من الملائكة لتابعناك وصدَّقناك. قال: **فما يمنعكم من أن تصدقوه؟** قالوا: إنه عدونا قال: فعند ذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله عَزَّوَجَلَّ ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[البقرة:١٠١]، فعند ذلك ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ [البقرة:٩٠]»[1].

ب ـ عقيدة النصارى في الملائكة:

إذا كان مِن اليهود مَن عادى الملائكة خصوصًا جبريل عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، فقد بالغَتْ بعضُ فرق النصارى في اعتقادهم في الملائكة خصوصًا في جبريل عَلَيْهِٱلسَّلَامُ حتى رأوْا أنه منبثق من الرب.

فأما الطائفة الكاثوليكية فمن عقائدها أن روح القدس نشأ من الله الأب ومن الابن معًا، وأما الطائفة الأرثوذكسية فتذهب إلى أن روح القدس منبثق عن الأب وحده[2]، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا!

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٣١٢)، برقم(٢٥١٤)، وقال الشيخ شعيب: حسن.

(٢) ينظر: «دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند» (ص ٤٦٤-٤٧٤).

ج ـ عقيدة المسلمين في الملائكة:

بين تفريط اليهود وغلو النصارى جاءت عقيدة المسلمين في الملائكة وسطًا بينهما. فالمسلمون يؤمنون بجميع الملائكة الذين أخبر عنهم الله تعالى وأعلمنا بأسمائهم، والذين لم يخبرنا عنهم، دون غلو أو ازدراء.

وعقيدة المسلمين في الملائكة أنهم خلق مطهرون، خلقهم الله من نور، ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦].

وهم عباد الرحمن: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف:١٩].

ويؤمنون بما ورد من أسمائهم على جهة التفصيل، فمنهم جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وميكائيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وإسرافيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وملك الموت، ومالك خازن النار، وحملة العرش، إلى غير ذلك من التفاصيل.

٣ ـ العقيدة في الأنبياء والرسل:

أ ـ موقف اليهود من الأنبياء والرسل:

لا توجد أمَّة من الأمم تَنَقَّصَت وثَلَبَت أنبياء الله ورسله كما فعلت أمَّة يهود، فمواقفهم مع أنبياء الله مخزية، منها:

تفريقُهُم بين أنبياء الله ورُسُله:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟

بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء:١٥٠-١٥١].

قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أولئك أعداء الله اليهود والنصارى، آمنت اليهود بالتوراة وموسى، وكفروا بالإنجيل وعيسى، وآمنت النصارى بالإنجيل وعيسى، وكفروا بالقرآن وبمحمد ﷺ، فاتخذوا اليهودية والنصرانية، وهما بدعتان ليستا من الله، وتركوا الإسلام وهو دين الله الذي بعث به رسله.

وقال ابن جريج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اليهود والنصارى، آمنت اليهود بعزير وكفرت بعيسى، وآمنت النصارى بعيسى وكفرت بعزير، وكانوا يؤمنون بالنبي ويكفرون بالآخر، ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾، قال: دينًا يدينون به الله»[1].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الآية: «لما ذكر المشركين والمنافقين ذكر الكفار من أهل الكتاب، اليهود والنصارى، إذ كفروا بمحمد ﷺ، وبيَّن أن الكفر به كفر بالكل؛ لأنه ما من نبي إلا وقد أمر قومه بالإيمان بمحمد ﷺ وبجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. ومعنى: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [النساء:١٥٠]، أي بين الإيمان بالله والإيمان برسله، فنص سبحانه على أن التفريق بين الإيمان بالله ورسله كفر، وإنما كان كفرًا لأن الله فرض على الناس أن يعبدوه بما شرع لهم على ألسنة الرسل، فإذا جحدوا

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (٩/ ٣٥٤).

الرسل ردوا عليهم شرائعهم ولم يقبلوها منهم، فكانوا ممتنعين من التزام العبودية التي أُمِروا بالتزامها، فكان كجحد الصانع سبحانه، وجحد الصانع كفر لما فيه من ترك الطاعة ونَبْذِ العبودية.

وكذلك التفريق بين رسله في الإيمان بهم كفر، وهي المسألة الثانية لقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ [النساء:١٥٠]، وهم اليهود آمنوا بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وكفروا بعيسى ومحمد -عليهم السلام-، وقالوا لعوامهم: لم نجد ذكر محمد في كتبنا، ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٥٠] أي بين الإيمان والجحد طريقًا، أي: دينًا مبتدعًا بين الإسلام واليهودية، فأكد الله كفرهم بقوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء:١٥١]»[١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن الرب سبحانه إنما أخبر عن كون رسوله ﷺ مكتوبًا عندهم - أي: الإخبار عنه وصفته ومخرجه ونعته - ولم يخبر بأن الاسم الصريح العربي مذكور عندهم في التوراة والإنجيل، وهذا واقع في الكتابين... وهذا أبلغ من ذكره بمجرد اسمه؛ فإن الاشتراك قد يقع في الاسم فلا يحصل التعريف والتمييز... إلى أن قال: وغاية المكذب الجاحد أن يقول: هذا الوصف حق، ولكن لست أنت المراد به، بل نبي آخر، وهذا غاية ما يمكنه من المكابرة»[٢].

(١) ينظر: «الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٢٠٥-٢٠٦).

(٢) ينظر: «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى» (ص٢٩٧-٢٩٨) بتصرف واختصار.

خذلوا أنبياء الله ولم يقوموا بنصرهم:

هذا ما ذكره رب العالمين -سبحانه- في كتابه الكريم فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة:٢٠-٢٥].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: «قال الربيع والسدي وغيرهما: وإنما بعث النقباء من بني إسرائيل أمناء على الاطلاع على الجبارين، والسَّبر لقوتهم ومنعتهم، فساروا ليختبروا حال من بها، ويعلموه بما اطلعوا عليه فيها، فاطلعوا من الجبارين على قوة عظيمة، وظنوا أنهم لا قبل لهم بها، فتعاقدوا بينهم على أن يخفوا ذلك عن بني إسرائيل، وأن يعلموا به موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فلما انصرفوا إلى بني إسرائيل خان منهم عشرة، ففشا الخبر حتى اعوجَّ أمر بني إسرائيل، فقالوا: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾»(1) [المائدة:٢٤].

---

(١) ينظر: «الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٣٧٦) باختصار.

فعاقبهم الله تعالى بالتيه، قال سبحانه: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة:٢٦].

تنقصوا الأنبياء واتهموهم بالباطل:

من يقرأ التوراة التي حرفها اليهود والكتب الملحقة بها يجد أنها لا تصف أنبياء الله الموكلين بهداية الناس وتعليمهم الهدى والخير بصفات الصالحين والأتقياء، بل يجد أن العهد القديم ينسب إليهم كثيرًا من المخازي والقبائح التي يتنزَّه عنها كثير من الناس العاديين، فكيف يليق أن يُنْسَب شيء من ذلك إلى الأنبياء الذين قد اصطفاهم الله وخصهم بهذه المهمة العظيمة وهي تبليغ دينه، والذين هم قُدوة للصالحين وأئمة البر والتُّقى[١]!

موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

من ذلك اتهامهم لنبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه كان آدر[٢] وأبرص، فيما روى الشيخان في صحيحهما[٣]، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «**كان بنو إسرائيل يغتسلون عراة، وكان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يستتر كثيرًا ويُخفي بدنه، فقال قوم: هو آدر وأبرص، أو به آفة، فانطلق ذات يوم يغتسل في عين بأرض الشام، وجعل ثيابه على صخرة، ففر الحجر بثيابه**

---

(١) ينظر: «دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية» (ص٨٩).

(٢) آدر: أي عظيم الخصيتين. «النهاية في غريب الحديث» (١/ ٦٠).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب أحاديث الأنبياء، برقم(٣٤٠٤)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الحيض، باب جواز الاغتسال عريانًا في الخلوة، برقم(٣٣٩).

واتبعه موسى عريانا يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل، فنظروا إليه فإذا هو من أحسنهم خلقًا وأعدلهم صورة، وليس به الذي قالوا، فهو قوله تبارك وتعالى: ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ﴾» [الأحزاب:٦٩].

قتلهم بعض أنبياء الله:

قال الله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة:٨٧].

فقد قتلوا نبي الله زكريا وابنه يحيى -عليهما السلام-، وقتلوا حزقيال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقد أرادوا قتل المسيح عيسى ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لكن الله حفظه من كيدهم، وألقى شَبَهَهُ على غيره فقتلوه وصلبوه، وهم يعتقدون أنهم قتلوا المسيح: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:١٥٧ – ١٥٨] (١).

ب ـ موقف النصارى من الأنبياء والرسل:

إذا كان اليهود -المغضوب عليهم- قد استهانوا بالأنبياء والرسل فكذبوا فريقًا منهم وقتلوا فريقًا آخر، فإن النصارى -الضالين- غلب عليهم الغلو تجاه رسول الله إليهم عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، حتى خلعوا عليه من صفات الله تعالى، فجعلوه لله شريكًا، بل جعله بعضهم ابنًا لله، وقال آخرون: هو الله!

---

(١) ينظر: «جامع البيان» للطبري (٦/ ٢٨٦)، «محاسن التأويل» للقاسمي (٤/ ٧٣).

فرَّقت النصارى بين أنبياء الله ورسله فكفروا بالله ورسله:

وشأنهم في ذلك شأن اليهود، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء:١٥٠-١٥١].

ذكر الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: «أن النصارى ممن آمن ببعض الأنبياء وكفر ببعض، حيث آمنوا بعيسى وموسى وكفروا بمحمد ﷺ، ورسالة النبي محمد ﷺ ناسخة لما قبلها، فمن لم يؤمن به فكأنه لم يؤمن بنبيِّه؛ لأن كل الأنبياء أمروا قومهم بالإيمان بالنبي محمد ﷺ وبجميع الأنبياء»(١).

ج ـ موقف المسلمين من الأنبياء والرسل:

إذا كان اليهود قد غَلَبَتْ عليهم الاستهانة والتفريط في حق الأنبياء، والنصارى قد غلب عليهم الغلو والإفراط، فإن المسلمين أهل الوسطية والاعتدال.

المسلمون آمنوا بجميع الأنبياء والرسل:

دون تفريق بين أحد منهم -فِعْلَ اليهود والنصارى- وذلك اتباعًا لأمر الله تعالى، حيث قال سبحانه: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ

---

(١) ينظر: تفسير الطبري لهذه الآية (٩/ ٣٥٢)، وتفسير القرطبي (٧/ ٢٠٥).

﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة:١٣٦]، فهذا أمر من الله تعالى للمؤمنين بأن يؤمنوا بكل الأنبياء دون تفريق، واستجاب المؤمنون لأمر ربهم كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ الآية [البقرة:٢٨٥].

ومن أركان الإيمان عند أهل الإسلام: الإيمان بالرسل، ففي صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره**»[1].

المسلمون لا ينتقصون أحدا من الأنبياء وهم أشد الناس حُبًّا لنبيهم ﷺ:

وذلك أنَّ الأنبياء خير خلق الله، وأكرم الخلق على الله، اصطفاهم من بين خلقه، وأرسلهم مبشرين ومنذرين: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران:٣٣].

فمحبة الأنبياء عند المسلمين واجبة، ونصرتهم لازمة، وهم أشد الخلق حبًّا للأنبياء عامة، والنبي محمد ﷺ خاصة، وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**»[2].

وذلك أنَّه ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٤٠].

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام، برقم(١).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان، برقم(١٥)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ، برقم(٤٤).

وكما أنَّ محبته ﷺ في القلوب لا يعلم قدرها إلا من خلق القلوب، وأحاط بالسرائر والغيوب، فقد ترجمها أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَمَلِيًّا في واقعهم وضربوا أروع مثال على الإخلاص في الحب، والوفاء لمحبوبهم ﷺ، فالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يفدون النبي ﷺ بأموالهم وأنفسهم، بل بآبائهم وأمَّهاتهم، ولم يخذلوه قط أو يتخلفوا عن نصرته، ولئن قال أصحاب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ له: «﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ [المائدة:٢٤]، فإن أصحاب النبي ﷺ قالوا له: «اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغِماد لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه...»[1].

وقال سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «امض يا رسول الله لما أردتَ فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضتَ بنا هذا البحر فخضتَه لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا، إنا لصُبُر في الحرب، صُدَّق في اللِّقاء، لعل الله يريك مِنَّا ما تقر به عينك»[2].

ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة نزل بدار أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكانت من طابقين، فقال أبو أيوب: «اصعد يا رسول الله إلى فوق، فقال له

---

(١) ينظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٦١٥)، وأصله في صحيح البخاري برقم(٣٧٣٦)، وبرك الغماد: بلدة في أقاصي اليمن. انظر: معجم ما استعجم (١/ ٢٤٤)، صفة جزيرة العرب، ص(٢٠٤).

(٢) ينظر: المصدر السابق نفس الموضع، وأصله في «صحيح ابن حبان»، برقم(٤٧٢٢)، و«المستدرك» للحاكم، برقم(٥١٠٤) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وصححه الألباني في الصحيحة رقم (١٠٢١).

النبي ﷺ: «**السُّفْل أرفق بي؛ يغشاني أصحابي**»، فصعد أبو أيوب هو وامرأته، يقول: وكان لنا حُب[1] فانكسر، فجففته بلحافي أنا وامرأتي، والله ما لنا لحاف غيره، مخافة أن تسقط قطرة على رسول الله ﷺ، وبينما أسير إذ خطر ببالي: أأنا أمشي على سقيفة تحتها رسول الله ﷺ؟! فانجمعت أنا وامرأتي في ركن حتى أصبحنا، ونزلت إلى رسول الله ﷺ وقلت له: اصعد إلى فوق، وكنا لا نأكل حتى يأكل، فنتحرى موضع يده فنأكل، فقدمت إليه يومًا بصلًا فرجع كما هو، فقلت: يا رسول الله أحرام هو؟ قال: «**لا، ولكني أُناجي من لا تناجي**». فقلت: لا بأس يا رسول الله، أكره الذي تكره»[2].

تلك شَذَرات مِنَ الحُبِّ الصَّادِق، ووَمَضَاتٌ مِن الفِداء الوادِق حِيَال الحبيب المُقتفَى، والرسول المجتبى ﷺ، فأين هذا الحب والتعظيم عند أبناء اليهود أو النصارى لأنبيائهم؟!

المسلمون وسط في حبهم للأنبياء دون غلو أو تفريط:

إن المسلمين مع حبِّهم العظيم للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وتقديرهم حق قدرهم، إلا أنهم لم يرفعوهم فوق مقامهم، ولم يفرطوا أو ينتقصوا من شأنهم ومنزلتهم، فوصفوا الأنبياء بما وصفهم الله تعالى، فالمسيح عبد الله

---

(١) زير يوضع به الماء. انظر: «كتاب العين» (٣/ ٣١)

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» مختصرًا، كتاب الأذان، باب ما جاء في الثوم النيئ والبصل والكراث، برقم(٨٥٥)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الأشربة، باب إباحة أكل الثوم، برقم (٢٠٥٣).

ورسوله، وموسى كليم الله وبرأه الله مما قالت يهود، وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وداود وسليمان كلهم عباد الله ورسل الله، حتى نبينا محمد لم يُغالوا فيه كما غَلَتْ اليهود والنصارى، فهو عبد الله ورسوله، قال تعالى: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ [النجم:١٠].

وقال النبي ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله**»[1].

فالأنبياء والرسل ليسوا بآلهة ولا أبناء آلهة، كما ضل النصارى في عيسى ابن مريم، وليسوا فُسَّاقًا كما صورهم اليهود يشربون الخمر ويميلون عن عبادة الله تعالى، فموقف المسلمين من أنبياء الله ورسله موقفٌ معتدلٌ وسطٌ لا إفراط ولا تفريط فيه.

فهذه هي منزلة الأنبياء والرسل كما ذَكَرَها الله تعالى دون ضلال أو اتباع هوى، وهي الحنيفية، قال الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران:٦٧]، وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف:٤٠].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ [مريم: ١٦]، برقم(٣٤٤٥).

ثانيا: وسطية الإسلام في المنهج:

تعريف المنهج في اللغة والاصطلاح:

تعريف المنهج في اللغة: النون والهاء والجيم أصلان متباينان:

الأول: النهج والطريق، ونهج لي الأمر: أوضحه، والجمع مناهج.

والآخر: الانقطاع، أتانا فلان ينهج: منقطع النفس.

والمنهج: الطريق الواضح، والمنهاج كالمنهج وفي التنزيل ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[1].

تعريف المنهج في الاصطلاح:

هو: الطريق الواضح البيِّن المعتدل الذي سار عليه رسول الله ﷺ في العقيدة والعبادة والأحكام والأخلاق، وسلكه من بعده صحابته رضي الله عنهم ومن سار على طريقهم إلى يوم الدين.

وهو القائم على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وما كان عليه السلف الأخيار من أهل القرون الثلاثة المفضلة.

هذا هو المنهج الذي وضعه الله للمؤمنين، وقد افتتح كتابه بتعليم المؤمنين هذا المنهج، فقال في سورة الفاتحة: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة:٦-٧].

---

(١) ينظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (٥/ ٣٦١)، و«لسان العرب» لابن منظور مادة (نهج) (٢/ ٣٨٣).

وهذا هو المنهج الوسط، حيث بيَّن أن هذا الصراط صراط الذين أنعم الله عليهم.

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعًا على أن الصراط المستقيم: هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه. وهذا معناه في لغة العرب، قال جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]:

أميرُ المؤمنين على صِرَاطٍ ** إذا اعْوَجَّ المواردُ مُسْتَقِيم[(٢)]

فكل حائد عن قصد السبيل وسالك غير المنهج القويم فَضَالٌّ لإضلاله وجه الطريق»[(٣)].

والطريق المستقيم هو منهج الوسط، قال تعالى: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٧]. ومنهج المغضوب عليهم يمثل التفريط، ومنهج الضالين يمثل الإفراط، فهما منهجان دائران على الغلو والجفاء.

ومن أبرز معالم منهج أهل الإسلام، بل ركناه اللذان لا قيام له إلا بهما: الجمع بين العلم والعمل، فقال سبحانه وتعالى في العلم: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾ [محمد:١٩]، وقال جل شأنه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه:١١٤]، وقال عزَّ من

---

(١) هو: جرير بن عطية الخطفي، الشاعر الأموي المعروف، ولد سنة ٣٤هـ، وأجمع علماء الشعر على أن جرير والفرزدق والأخطل مقدمون على سائر شعراء الإسلام، توفي سنة (١١١هـ). ينظر: «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٩٠)، «الأعلام» (٢/ ١١٩).

(٢) ينظر: ديوان جرير (ص٥٠٧).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١/ ١٧٠).

قائل: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء:٣٦].

وقال يصف يهود في تركهم العمل بالتوراة بعد أنْ جاءتهم: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢاۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الجمعة:٥]، وقال يصف النصارى الذين يعملون بغير علم ولا هدى من الله: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ [الحديد:٢٧]، وهدى الله الذين آمنوا إلى صراطه المستقيم ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة:٢١٣].

فالمغضوب عليهم فسدت إرادتهم فعلموا الحق وعدلوا عنه، والضالون هم الذين فقدوا العلم، فهم هائمون في الضلالة لا يهتدون إلى الحق.

وكان منهج أهل الإسلام وسطًا بين المنهجين، فهو طريق العدل بين طريقين منحرفين.

ولما كانت الاستقامة هي الوسطية جاءت آيات كثيرة تدعو إلى الاستقامة؛ إذ هي طريق الأمة الوسط، وكل آية وردت في الاستقامة فهي آية

في تحقيق الوسطية والدعوة إليها[١].

فالاستقامة هي: الاعتدال، يقال: استقام له الأمر أي: اعتدل واستوى[٢].

وقد جاءت بهذا المعنى في كثير من الآيات القرآنية، ومن هذه الآيات قول الله تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ ﴾ [هود:١١٢]، وقال تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [الشورى:١٥].

وفي هاتين الآيتين معنى مهم، ففي الآية الأولى قال سبحانه: ﴿وَلَا تَطْغَوْاْ﴾ بعد أن أمر بالاستقامة، والطغيان هو مجاوزة الحد والخروج عن منهج الوسطية، وفي الآية الثانية قال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾، واتباع الهوى خروج عن الاستقامة وانحراف عن الوسطية، واتباع الهوى قد يكون بالإفراط وقد يكون بالتفريط.

فالاستقامة هي: الوسط بين الطغيان، واتباع الهوى، وهي مُنْطوية على الاعتصام بالله –سبحانه– الهادي إلى الصِّراط المستقيم.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران:١٠١]، وما الاعتصام بالله إلَّا التمسك بكتابه، والعمل بما جاء به، وإخلاص النية له.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣].

---

(١) ينظر: «الوسطية في ضوء القرآن الكريم» (ص١٠٦).

(٢) ينظر: «لسان العرب» لابن منظور مادة: (قوم) (١٢/ ٤٩٨).

هكذا وضعت لنا آيات سورة الفاتحة القاعدة والمنطلق، ورسمت المنهج وحددت معالمه، ثم تتابعت سور القرآن وآياته تقرر هذا المنهج، وهو منهج الوسطية، كما وضعه الله تعالى، وبيَّنه في آيات القرآن الكريم، وسار عليه النبي الأمين ﷺ، وصحابته الكرام، والتابعون لهم بإحسان.

ثالثًا: وسطية الإسلام في العبادات:

١ـ العبادة عند اليهود:

أرسل الله تعالى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى فرعون وبني إسرائيل، وكان الحال كما ذكر الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ [القصص:٤-٦].

فجاءهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ رسولًا من عند الله وأنقذ بني إسرائيل من بطش فرعون، وجاوز بهم البحر، ولـمَّا أصبحوا في نعمة من الله تعالى يجب عليهم شكرها إذا بهم يطلبون من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يجعل لهم إلـهًا: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [الأعراف:١٣٨].

ودعاهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى توحيد الله تعالى، وأن الذين يعبدون الأصنام عملهم باطل، وذكَّرهم بفضل الله حيث نجاهم من فرعون وعذابه

لهم وقتله أبناءهم، قال تعالى عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّ هَٰؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [الأعراف:١٣٩-١٤١]، لكنهم لم يسمعوا نصح موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلما إن تركهم وذهب إلى ربه يناجيه حتى صنعوا عجلًا وعبدوه: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾ [الأعراف:١٤٨].

فقديمًا عَبَدَ اليهودُ العجلَ وعبدوا الأصنام من دون الله، كما ذكر الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأهل الكتاب معترفون بأن اليهود عبدوا الأصنام مرات...»[(١)].

فانحرفت يهود في أعظم أصول العبادة ألا وهو إخلاص الدين لله.

٢ ـ العبادات عند النصارى:

النصارى غالون في عبادتهم مفرطون فيها، فمنهجهم في العبادة قائم على الروحانية وتمجيدها، فابتدعوا رهبانية قاسية على النفس، ظنًّا أن الشخص كلما ضيق على جسمه سمت روحه وزادت طاعته وعبادته.

---

(١) ينظر: «الجواب الصحيح» (٣/ ٢٤٧)، «وسطية أهل السنة» (ص٢٤٦).

وإذا كان اليهود قد أفرطوا في المادية، فإن النصارى أفرطوا في الروحانية، فحرم رهبانهم الزواج على أنفسهم، وكبتوا غرائزهم، وعذبوا أنفسهم، فكانوا يعدون طهارة الجسم منافية لنقاء الروح، ويتأثمون من غسل الأعضاء، وأزهد الناس عندهم وأتقاهم أبعدهم عن الطهارة وأوغلهم في النجاسات والدنس، يقول الراهب أتهينس: «إن الراهب أنتوني لم يقترف إثم غسل الرجلين طول عمره، وكان الراهب أبراهام لم يمس وجهه ولا رجله الماء خمسين سنة». وقال أحدهم يومًا متأسفًا: «وا أسفاه! لقد كنا في زمن نعد غسل الوجه حرامًا، فإذا بنا الآن ندخل الحمامات[١]!

وكان الرهبان يتجولون في البلاد ويختطفون الأطفال ويهربونهم إلى الصحاري والأديرة، وينتزعون الصبيان من حجور أمهاتهم ويربونهم تربية رهبانية والحكومة لا تملك من الأمر شيئًا.

ومن ثم زادت الحياة جمودًا وزهد الناس في البشاشة، فكان الرهبان الذين تفيض قلوبهم حنانًا ورحمة وتفيض عيونهم من الدمع أن قست قلوبهم، فيتركون أمهاتهم وأزواجهم وأولادهم عالة يتكففون الناس ويتوجهون قاصدين الصحراء»[٢].

ومن ثم أصبحوا يزيدون في العبادات، ويقسون على أنفسهم فيها، ويحملون أنفسهم ما لا تطيق.

---

(١) ينظر: «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» (ص ١٦٨ - ١٦٩).

(٢) ينظر: «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» (ص ١٥٢).

٣ ـ العبادة في الإسلام:

بين مادية اليهود ورهبانية النصارى جاءت العبودية في الإسلام مراعيةً مقتضيات الفطرة، والتناسق البديع بين متطلبات الروح والجسد، بلا غلو في التجرد الروحي، ولا إغراق في الارتكاس المادي، فلا رهبانية ولا مادية، بل وسطية واعتدال، كما قال سبحانه: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا﴾ [القصص:٧٧].

لذلك لم يعبد المسلمون الأصنام كما فعلت يهود، ولم يطلب الإسلام من المسلم أن يكون راهبًا في دير أو يذهب إلى الصحراء كما فعل النصارى، وإنما نأى الإسلام بأتباعه عن الكبوات والنَـبَوَات والهزات والهفوات التي تُخِلُّ بغاية الوجود الإنساني، تحقيقًا للتوازن بين متطلبات الروح والجسد.

إن بعض المسلمين أراد أن يتشدد في عبادته، فرد النبي ﷺ عبادته، فقد روى البخاري في صحيحه أن سعيد بن المسيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: سمعت سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: «رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل، ولو أذن له لاختصينا»[١].

وفي الصحيح أيضًا أن النبي ﷺ قال: «**وفي بضع أحدكم صدقة.** قالوا: يا رسول الله: أيأتي أحدنا شهوته ويكون له أجر؟! قال: **نعم، أرأيتم لو وضعها**

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب النكاح، باب ما يكره من التبتل والخصاء، برقم(٥٠٧٣)، وأخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت إليه نفسه، برقم(١٤٠٢).

في حرام أيكون عليه وزر؟ قالوا: نعم. فقال: فكذلك إذا وضعها في الحلال يكون له أجر»[١].

هذه هي الموازنة بين الروح والجسد، بين الدنيا والآخرة، فلا إفراط ولا تفريط، بل وسطية واعتدال، والدنيا عند المسلم وسيلة تبلغه الآخرة.

رابعا: وسطية الإسلام في المعاملات:

أ ـ المعاملات عند اليهود:

يزعم اليهود أن الله تعالى أمرهم بالربا وأباحه لهم، فلذلك استحلوه، وقالوا: «لم يحرم إلا فيما بيننا»، فقد جاء في سفر الخروج: «إن أقرضت فضة لشعبي الفقير الذي عندك فلا تكن كالحرابي، لا تضعوا عليه ربا»[٢]، وجاء في سفر التثنية: «لا تقرض أخاك بربا، ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء ما مما يقرض بربا، للأجنبي تقرض بربا، ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكي يباركك الرب إلهك»[٣].

فاحترف اليهود الربا منذ عهدهم الأول واعتَبرُوه مهنة، ووضعوا لها النصوص المتعددة، فقد جاء في التلمود التأكيد على أنه غير مصرح لليهودي

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على نوع من المعروف، برقم(٢٣٧٦).

(٢) ينظر: سفر الخروج إصحاح (٢٥/ ٢٢)، سفر اللاويِّين إصحاح (٢٥/ ٣٥-٣٧).

(٣) ينظر: سفر التثنية إصحاح (٢٣/ ١٩-٢٠).

أن يقرض الأجنبي إلّا بالربا، ولكن نظرًا لما جبل عليه اليهود من حب المال فقد تحايلوا -وتلك سجية فيهم- حتى على تحريم الربا فيما بينهم[1].

ب ـ المعاملات عند النصارى:

خَلَع النصارى على أحبارهم ورهبانهم ثوب العصمة والتقديس، بل والربوبية، كما قال الله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ [التوبة:٣١]، فكانوا يحرمون الحلال ويحلون الحرام ويأكلون أموال الناس بالباطل، قال الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة:٣٤]، فتسَلَّط رجال الدين من الكنيسة على الناس، واضطهدوهم، وأكلوا أموالهم بالباطل باسم الضرائب والإتاوات تارة، وباسم صكوك الغفران تارة أخرى، حتى ظهرت إثْرَ ذلكَ العلمانيةُ المنادية بفَصْل الدين عن الدولة، رافضةً تسلُّط رجال الدين والكنيسة على حياة الناس وشؤونهم الخاصة، فأصبحوا بعد ذلك لايحلون حلالًا ولايحرمون حرامًا، وصار الربا من أعظم مصادر كسب المال عندهم، كل ذلك باسم العلمانية.

---

(١) ينظر: تخجيل من حرَّف التوراة والإنجيل (ص٨٧-٨٨).

ج ـ المعاملات في الإسلام:

فهي قائمة على قواعد وضوابط شرعية مقصدها مصلحة الفرد والمجتمع، فحرَّم الشارع الحكيم الربا بجميع أنواعه على الفرد والجماعة، بين المسلمين وبين غيرهم، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة:٢٧٥-٢٧٦].

وعلماء المسلمين ليسوا قديسين ورهبانًا، ولا يأكلون أموال الناس بالباطل، فالمعاملات في الإسلام قائمة على قواعد وضوابط وسط، لا إفراط فيها ولا تفريط، وليست متروكة لأحد من البشر يُكيِّفها كما يهوى ويحب، بل وضعها أحكم الحاكمين، ويلتزم بها عامة المسلمين.

خامسا: وسطية الإسلام في النظام السياسي:

على مدار التاريخ ظهرت العديد من الأنظمة السياسية، فمنها ما قام على الطغيان والاستبداد، واستعمال لغة القوة، وإحياء النظرية الفرعونية ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤]، ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾[غافر:٢٩].

ومنها ما اتَّسم بالفوضوية والانفلات باسم الحرية والديمقراطية والليبرالية، حيث المبادئ والأصول قابلة للتجديد والتغيير، بل والانقلاب والنقض بحسب رأي الأكثرية.

أما الإسلام فمع عدم تنصيصه على طريقة معينة للحكم، إلا أنَّ ما جمعه النظام السياسي في الإسلام من المميزات الشاملة في وسائل الحكم والإدارة، ولا تُوجد في نظام حكم آخر. **ومن أهم ما تميز به النظام السياسي في الإسلام:**

١- أن الأمة هي التي تختار ولي الأمر من خلال البيعة، لكن هذا الاختيار لا يعطي الحاكم الشرعية، وإنما الذي يعطيه الشرعية هو الحكم بما أنزل الله ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].

٢- للحاكم أو ولي الأمر شروط لابُدَّ من توافرها، قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإمام لابُدَّ أن يكون من أهل العدل والإحسان والفضل، مع القوة على القيام بذلك، وهو الذي أمر النبي ﷺ أصحابه ألا ينازعوا الأمر أهله، فأما أهل الفسوق والجور والظلم فليسوا للإمامة بأهل؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٢٤]»[1]، والعهد أي: الإمامة.

٣- الحكم في الإسلام أمر تعاقدي بين الحاكم وبين عامة الناس ويمثلهم أهل الحل والعقد، وهو عقد مفتوح لا أمد له، فقد يستمر مدى الحياة دون الحاجة إلى تجديد أو تمديد، من خلال انتخابات دورية لا داعي لها طالما أن الحاكم ملتزم بشروط البيعة الخاصة والعامة التي استلم الحكم بناءً عليها.

٤- أن المسؤولية في نظام الحكم في الإسلام تقع على عاتق الحاكم والمحكوم، فكما أنَّ على الحاكم واجبات فكذلك على المحكوم واجبات، وكما

---

(١) تفسير القرطبي: ٢/ ١٠٩.

أن للحاكم حقوقًا فكذلك للمحكوم حقوق، ومحل بحث هذه المسائل على التفصيل كتب الأحكام السلطانية والسياسة الشرعية[1].

فنظام الحكم في الإسلام يجمع محاسن الأنظمة الوضعية الأخرى، ويتفادى مساوئها، وهذا تمام الوسطية في النظام السياسي، فالوسطية -كما سبق- تعني التوسط كما تعني الخيرية.

سادسا: وسطية الإسلام في النظام الاقتصادي:

الإسلام ليس دين عبادة فقط، لكنه دين شامل يدعو إلى الخير في الأمر كله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩]، ومن ثم شرع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ أن الدنيا دار عمل وامتحان، وأن الآخرة دار الحساب، وأن الدنيا تفنى والعمل ينتهي وأن الآخرة هي خير وأبقى، ومع ذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص:٧٧]، فالدنيا وسيلة والآخرة غاية، وكما قال أحد الصالحين: «اجعل دنياك مطية لآخرتك».

وقد قامت أنظمة تنظم المعاملات المالية بين الأفراد والمجتمع، كان خيرها وأقومها النظام الإسلامي، وأشهر هذه الأنظمة:

أولًا: النظام الرأسمالي:

ويقوم هذا النظام على حرية الفرد في معاملاته المالية، فهو حُرٌّ فيما يستثمر أمواله، وفيما يملك، يعمل ما يروق له من الأعمال التجارية، يزرع ما يشاء، وينتج ما يشاء بأي كمية يريد.

---

(١) ينظر: «الأحكام السلطانية» لأبي يعلى و«الأحكام السلطانية» للماوردي، و«السياسة الشرعية» لشيخ الإسلام، و«الطرق الحكمية» لابن القيم، ومن المعاصرين «الإمامة العظمى» للدكتور عبد الله الدميجي.

فكان لهذه الحرية المطلقة (الفوضوية) للفرد سلبيات عظيمة الخطر، من أهمها الاحتكار الفردي للسلع والمنتجات، فإذا فقدت من الأسواق نزل بها وباعها بأضعاف ثمنها، فيجني من وراء ذلك مالًا كثيرًا.

فتكدست رؤوس الأموال في يد طبقة معينة هم الملّاك، والطبقة الأخرى -العمال- لا حول لهم ولا قوة، فهم يعملون ليل نهار، والمالك يجني ثمار عملهم وحده، فيزداد الغني غنًى، ويزداد الفقير فقرًا. هذا ملخص النظام الرأسمالي الذي يعتمد على المصلحة الشخصية والحرية الفردية في الملكية.

ومن عيوب هذا النظام:

١- **الأنانية**: حيث يتحكم فرد أو أفراد قلائل بالأسواق تحقيقًا لمصالح ذاتية دون نظر لمصالح المجتمع.

٢- **اتخاذ الربا** طريقًا لتنمية المال الخاص والعام، مما جرَّ على العالم الويلات تلو الويلات.

٣- **الاحتكار**: حين يحتكر الـمُتَحكِّمون في السوق البضائع ليبيعونها بعد ذلك بأسعار مضاعفة.

٤- **ابتزاز الأيدي العاملة**، حين تصبح هذه الأخيرة خاضعة لمفهوم العرض والطلب، مما يجعل العامل بالإمكان الاستغناء عنه في أي وقت ممكن.

٥- **الاستعمار والحروب**، حينما أصبحت الرأسمالية فكرة وفلسفة لبعض الدول فراحت تبحث عن مستعمرات لمقاصد مادية بحتة واستيلاء على

الثروات والخيرات[١].

ثانيًا: النظام الاشتراكي:

وقد جاء النظام الاشتراكي[٢] ردة فعل على النظام الرأسمالي الذي أهدر حق العمال، فجاء ليعطي العمال حقوقهم من أصحاب رؤوس الأموال، ولكن لا نقول انتقل المال من الفرد إلى المجتمع، إنما نقول تغير شكل الظلم في المجتمع، فقد قام هذا النظام على فكرة إلغاء الملكية الفردية، وتأميم الممتلكات الصناعية والتجارية لصالح المجتمع، والأفراد يعملون لخدمة المجتمع مقابل رواتب مالية، فانتقلت الملكية من الفرد إلى المجتمع (الحكومات)، والمجتمع هو المسيطر والـمُسيِّر لكل شيء، فلا يكاد يوجد للفرد حقوق تذكر من التملك أو اختيار العمل، ومن ثم ذبلت شخصية الفرد وذابت، فقلَّ إبداعه وعطاؤه وانتماؤه؛ لأنه يتقاضى راتبًا مقابل العمل،

---

(١) ينظر: «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» (٢/ ٩٢٠-٩٢٤).

(٢) **النظام الاشتراكي**: نظام اقتصادي اجتماعي، يقوم على الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج الأساسية، من أجل تلبية حاجات المجتمع على الوجه الأمثل. والقاعدة الاقتصادية الأساسية في هذا النظام هي إلغاء التقسيم الطبقي في المجتمع، وإلغاء استغلال الإنسان للإنسان، بهدف تحقيق العدل والمساواة بين أفراد المجتمع. وقد تعددت المذاهب والنظريات التي تناولت الفكر الاشتراكي، إلا أن النظرية الماركسية اللينينية وحدها هي التي نقلت هذا الفكر إلى الواقع، وكانت الأساس الذي قامت عليه أنظمة اشتراكية سادت بلدانًا عدة في القرن العشرين، ولذلك فإن البحث في أسس النظام الاشتراكي ومرتكزاته يعني في جوهره نظرة الماركسية اللينينية إلى هذا الموضوع.

فلا حاجة له في أن يبدع في عمله أو يتقنه فهو يعمل لغيره، وبدأ أصحاب النظام يكتشفون هذه العيوب، فأعلنوا عن الحوافز والمكافآت ما يعني تملك الـمُجِدِّ في عمله شيئًا من إنتاج عمله.

ثالثًا: النظام الإسلامي:

جاء النظام الإسلامي وسطًا بين النظامين الرأسمالي والاشتراكي، فهو آخذ بمصلحة الفرد ومصلحة المجتمع في وقت واحد.

فكفل للفرد حقه في العمل والتملك دون تعدٍّ على حرية الآخرين أو الإضرار بهم، ومن ثم قرر مبدأ توزيع الثروة من خلال الحث على التصدق، وإهلاك المال في الحق، وإخراج الزكاة، والوصية بثلث المال، وبعد موت الفرد يقسم ماله من خلال الإرث، وبالتالي حل الإسلام مشكلة تكدُّس المال، كذلك حرم الاحتكار والربا والغش، وحدد طرقًا معينة لجمع المال، هي الوسائل الشرعية المباحة، لا يجوز جمع المال إلا من خلالها.

فالنظام الإسلامي حمى المجتمع من تعدي الفرد عليه بالاكتساب غير المشروع أو تكدس رأس المال في يده، مما يضر بباقي أفراد المجتمع، حيث ضيق سبل اكتساب المال وعدد له المصارف وحثه عليها.

كذلك حمى الفرد من تعدي المجتمع عليه وتأميم ممتلكاته، وترك له حرية العمل، وجعل الفرد والمجتمع يتعاونان معًا لتحقيق المصلحة العامة،

مصلحة الجماعة التي لا ضرر فيها ولا ضرار، فكان النظام الإسلامي الاقتصادي وسطًا عادلًا بين نظامين جائرين.

وهذا يكشف لنا حرص الإسلام على الرقي بالعلاقة بين الفرد والمجتمع، فقد رأينا في النظام الرأسمالي الحرية المطلقة للفرد، فهو صاحب الحرية في الأمر كله، يطلق لنفسه العنان في الأهواء والشهوات والأخلاق والعمل وكل التصرفات ليس لأحد عليه سلطان، وفي مقابل هذه الحقوق الكثيرة له فليس عليه واجبات، وليس ملزمًا بأي شيء تجاه المجتمع.

في مقابل هذه الحرية الفردية -الفوضوية- نشأت فكرة تقديس الملكية الجماعية وتضييق نشاط الفرد، وفرض قوانين ونظم تحكم حرية الفرد، ولا تترك له أي وسيلة اختيار، بل ربما تجبره على أفعال معينة، فكان هذا النظام الاشتراكي الشيوعي يتعامل مع أفراد المجتمع كالتعامل مع الآلة، فالأفراد مجرد أداة لخدمة المجتمع وتحقيق أهدافه، فالرأي للمجتمع والحق للمجتمع، فتحول الأمر من التفريط إلى الإفراط ومن التقصير إلى الغلو والتشدد، ولكن جاء الإسلام بالوسطية فَوَفَّق بين الفرد والجماعة، وقرر أن غاية حياة الفرد من الإسلام إنما هي غاية الجماعة بعينها، فهما كل لا يتجزأ.

سابعا: وسطية الإسلام في النظام الاجتماعي:

من أعظم ما يميز النظام الاجتماعي في الإسلام اتصافه بالوسطية والاعتدال، والإحكام والاتزان، فلم يدع شاردة ولا واردة إلا أتى عليها بالبيان والرعاية والشمول.

فشرع أحكامًا تحكم وجود المسلم على اختلاف الحِقب الزمانية التي تتخلَّل أطواره الحياتية مِن صرخةِ الوضع إلى أَنَّـة النزع مستوفية كافَّة احتياجاته المتنوعة عبر كل الأبعاد وبكل المناظر، من ذلك:

١- **حق الرضاع**: قال تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة:٢٣٣].

٢- **وحق الحضانة**، ففي سنن أبي داود وغيره، من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده عبد الله بن عمرو أن امرأة قالت: يا رسول الله: إن ابني هذا كان بطني له وعاء، وحجري له حواء، وثديي له سقاء، وإنَّ أباه طلقني وأراد أن ينتزعه مني. قال: «**أنت أحق به ما لم تنكحي**»(١).

المطلب الثاني: وسطية أهل السنة بين الفرق:

تعريف الفِرق لغةً واصطلاحًا:

الفِرق مفردها فرقة ومادتها فَرَقَ خلاف جَمَعَ، والفِرْق: القِسم أو الفِلْق من الشيء إذا انفلق منه، ومنه قول الله تعالى: ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء:٦٣]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾[البقرة:٥٠].

أي جعلناه فرقًا وأقسامًا، ويقال: فرق وتفرق أي ذهب كل إلى مذهب ومال إلى قول، وجمل أفرق: ذو سنامين، وفَرَق لي الطريق فروقًا: تشعب،

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الطلاق، باب من أحق بالولد، برقم(٢٢٧٦)، وقال الألباني: هذا إسناد حسن في «صحيح سنن أبي داود»، برقم(١٩٦٨).

وفارق الشيء: باينه، والاسم الفُرقة والفِرْقة، والفريق أي: الطائفة من الشيء المتفرق، والفِرقة طائفة من الناس، والجمع فِرق وأفراق[1].

أما الفِرق في الاصطلاح، فتعني: طوائف من الناس فارقت أهل السنة وخالفتهم في أصول الدين والإيمان، وانحرفت عن عقيدة السلف الصالح، ومن أشهر هذه الفرق: الخوارج[2]، والشيعة[3]، والمرجئة[4]، والجهمية[5]،

---

(١) ينظر: أساس البلاغة (٢/ ٢٠ – ٢١)، لسان العرب، مادة «فرق» (١٠/ ٢٩٩ – ٣٠٠).

(٢) الخوارج: فرقة من أهل الأهواء، خرجوا على جماعة المسلمين وطاعة أمير المؤمنين على بن أبي طالب بعد قبوله التحكيم في أيام الفتنة، وكفَّروا عددًا من الصحابة، منهم: علي، وعثمان، والحكَمَينِ، وأصحاب الجمل، ومن رضي بالتحكيم. ولا يعترفون بالإمامة لأحد من الصحابة سوى أبي بكر وعمر. ينظر: الملل والنحل (١/ ١١٣).

(٣) الشيعة: هم الذين شايعوا عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصًا ووصية، إما جليًا وإما خفيًا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيرهم، أو بتقية من عندهم، وقد أُطلق عليهم الإمامية لأنهم جعلوا من الإمامة القضية الأساسية التي تشغلهم، وسموا كذلك بالاثني عشرية لأنهم قالوا باثني عشر إمامًا، دخل آخرهم السرداب بسامراء، على حد زعمهم، وهم خمس فرق: كيسانية وزيدية وإمامية وغلاة وإسماعيلية، وبعضهم يميل في أصولهم إلى الاعتزال، وبعضهم إلى السنة، وبعضهم إلى التشبيه. ينظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٤٦-١٤٧)، الموسوعة الميسرة لمانع الجهني (١/ ٥٥).

(٤) المرجئة: هم القائلون: لا تضر مع الإيمان معصية ولا تنفع مع الكفر طاعة. وكانوا يؤخرون العمل عن النية والقصد، وهم أصناف منهم: المرجئة الجبرية: وهم القائلون بالإرجاء في الإيمان والجبر في الأعمال، والمرجئة القدرية: وهم القائلون بالإرجاء في الإيمان وفي القدر على مذاهب القدرية المعتزلة، ومرجئة الخوارج، والمرجئة الخالصة. ينظر: الملل والنحل (١/ ١٣٨)، موسوعة الأديان والمذاهب (٢/ ١٤٥-١٤٦).

(٥) الجهمية: هم أتباع جهم بن صفوان، تلميذ الجعد بن درهم، ظهرت بدعة الجهم بترمذ، =

والمعتزلة[(١)]، والأشعرية[(٢)].

قال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة هم وسط في فرق الأمة كما أنَّ الأمة هي الوسط في الأمم»[(٣)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأهل السنة وسط في النِّحَل كما أن أهل الإسلام وسط في الملل، تُوقد مصابيح معارفهم من شجرة مباركة زيتونة، لا شرقية

= وقتله مسلم بن أحوز المازني بمرو، في آخر ملك بني أمية، وافق المعتزلة في كثير من اعتقاداتهم، وزاد عليهم أشياء أخرى، مذهبه في الصفات التعطيل والنفي، وفي الإيمان القول بالإرجاء: وهو أن الإيمان مجرد الإقرار بالقلب، ولا يدخل القول والعمل في مسمى الإيمان عنده، ومذهبه في القدر القول بالجبر، وله آراء كثيرة ضالة واعتقادات فاسدة، تجعله - بمجموعها - وأتباعه معطلة جبرية مرجئة. انظر ص١٩٩-٢٠٠ من كتاب الفرق بين الفرق، لعبد القاهر البغدادي.

(١) المعتزلة: أتباعُ واصلِ بن عطاءٍ، الذي اعتزل مجلس الحسنِ البصريِّ، وقرَّر أن الفاسق في منزلة بين منزلتين، لا مؤمنٌ ولا كافرٌ، وهو مخلَّد في النار، ومذهبهم في الصفات التعطيل كالجهميّة، وفي القدر كالقدريّة، ينكرون تعلق قضاء الله وقدره بأفعال العبد، وهم فرق شتَّى، لهم عقائد فاسدة مخالفة لمنهج السلف. ينظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ٤٣)، وينظر: «الفِصَل» لابن حزم (٤/ ١٤٦ – ١٥٣).

(٢) الأشعرية: تنسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، الذي كان معتزليًّا ورجع عن مذهبهم وأسس ما عليه الأشاعرة اليوم، ثم منَّ الله عليه وآبَ إلى مذهب السلف، وألَّف كتابه : «الإبانة عن أصول الديانة» في الرد عليهم، من أبرز مخالفاتهم لأهل السنة: موقفهم من صفات الله عَزَّوَجَلَّ، حيث يثبتون منها سبعًا فقط، مجموعة في قولهم :

لـه الحياة والكلام والبصـر سمـع إرادة وَعـلـم واقـتـدر

ينظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٩٤)، الفِصَل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٥/ ٤٩).

(٣) ينظر: «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٦٨).

ولا غربية، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور، يهدي الله لنوره من يشاء»[1].

ولقد سَبَر الدارسون لتلك الطوائف الغَائصون في علم الفرق تلك الأسباب والدَّوافع فرأوا أنَّها تنقسم إلى قسمين:

(١) أسباب ذاتِيَّة داخلية: ومن أهمها:

أ- اتباع الهوى: فإنه أصل كل انحراف ومفارقةٍ للحق قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص:٥٠]، وقال سبحانه: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:٢٣].

ب- الجهل: وهو داء عضال وسُمٌّ قتَّال، وأصل كل ابتداع وانحراف.

ج- الغلو والإفراط: فالغلو لا يأتي إلا بِشَرٍّ، حتى وإن كان في العبادات، وذلك أنَّ الغلو من أعظم الأسباب التي تحمل الناس على القول على الله بلا علم، والابتداع في الدين، بل في أصل الدين، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾[النساء:١٧١].

د- تقديم العقل على النقل، وجعله حكمًا عليه في كثير من الأحكام التي لا مجال للعقل فيها، كالغيبيات ومسألة القدر وفي كثير مما استأثر الله بعلمه، فيعمدون إلى لَـيِّ أعنَاق النصوص دون دليل أو مستند شرعي، فيحرفون

---

(١) ينظر: «بدائع الفوائد» (١/ ٢٩٩).

الكلم عن مواضعه، ويضربون النُّصُوص بعضها ببعض، ويأتون بأقوال وأفكار ما أنزل الله بها من سلطان، مما فتح الباب للاختلاف والتفرق أمام كثرة الفهوم والتأويلات والردود.

(٢) **أسباب خارجية**: ومن أهمها:

أ- تأثر المسلمين بالأمم المجاورة والإعجاب بثقافاتها وأفكارها، وكان هذا نتيجة اتساع الفتوحات الإسلامية وسياحة المسلمين في البلدان المفتوحة لنشر الدين وتعليم أهل تلك البلاد الإسلام، ودخول كثير من العجم البلاد الإسلامية ونقل بعض عاداتهم وأفكارهم إلى المسلمين.

ب- دخول بعض المغرضين من اليهود والمجوس في الإسلام تظاهرًا به، لا عن عقيدة وإيمان، وذلك بقصد الدس والكيد، ومن هؤلاء عبد الله بن سبأ[(١)] اليهودي، الذي فعل ما فعل من الفتن والقلاقل في أوساط المسلمين.

ج- ترجمة كتب الفلسفة والمنطق وغيرها من الكتب لأصحاب الآراء المنحرفة التي تعتمد على الشك في الأشياء أو نسبية الحقائق، أو على الحواس أو على العقل البحت مصدرًا للمعرفة، فظهرت السفسطة والأفكار الضالة

---

(١) هو: عبد الله بن سبأ، رأس الطائفة السبئية، وكانت تقول بألوهية علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أصله من اليمن، قيل كان يهوديا وأظهر الإسلام، رحل إلى الحجاز فالبصرة فالكوفة، ودخل دمشق في أيام عثمان ابن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأخرجه أهلها، فانصرف إلى مصر، وجهر ببدعته، ونقل ابن عساكر عن الصادق: لما بويع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قام إليه ابن سبأ فقال له: أنت خلقت الأرض وبسطت الرزق! فنفاه إلى ساباط المدائن، حيث القرامطة وغلاة الشيعة. وكان يقال له «ابن السوداء» لسواد أمه، توفي نحو ٤٠هـ. ينظر: «الأعلام» للزركلي (٤/ ٨٨).

والجدل العقيم، الذي هو جدل من أجل الجدل، لا من أجل العلم أو الوصول إلى الحق.

هذه أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور الفرق في المجتمع الإسلامي. وفيما يلي بيان لعقائد هذه الفِرق ووجه وسطية أهل السنة بين هذه الفِرق.

أولًا: وسطية أهل السنة في الإيمان:

الإيمان في اللغة: مِن آمن يؤمن إيمانًا، فهو مؤمن وهي مؤمنة وهم مؤمنون وهن مؤمنات، والإيمان مصدر آمن أي صَدَّق، فالإيمان هو التصديق والإقرار، وفي القرآن الكريم يقول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا ﴾ [يوسف:١٧]، أي: بمصدق لنا[1].

---

(١) ينظر: الصحاح للجوهري (٥/ ٢٠٧١)، مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ١٣٣ – ١٣٤)، لسان العرب لابن منظور (١٣/ ٢١)، مادة (أمن) وتكلم الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الإيمان في اللغة وقال: «إنه ليس مجرد التصديق، واعتبر أنَّ هذا من أعظم الأسباب التي أدت ببعض الفرق إلى الانحراف في هذا الباب، و بيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ الإيمان لا يرادف التصديق في لغة العرب من أربعة وجوه، **خلاصتها**:

١ – أن من أخبرك بشيء تقول له: صدقتك وصدقته، ولا تقول: آمنتك وآمنته، بل آمنت لك وآمنت له. كما قال سبحانه: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞ﴾ [العنكبوت:٢٦]، وقال: ﴿أَنُؤۡمِنُ لَكَ﴾ [الشعراء:١١١].

٢– أن التصديق يكون للخبر غيبًا كان أو مشاهدة، أمَّا الإيمان لا يستعمل إلا في الخبر عن الغائب، فالشاهد إذا أخبر بشهادته يقال له صدقناه، ولا يقال له آمنَّا له.

٣– أن التصديق في اللغة يقابل بالتكذيب، أمّا الإيمان فإنما يقابل بالكفر.

٤ – أن في الإيمان معنى لا يوجد في التصديق، هو الأمان الذي هو ضد الخوف.

ثم قال: على فرض أنَّ الإيمان يرادف التصديق ففي الشرع يطلق التصديق على الأعمال كما يطلق =

وفي الشرع: «هو التصديق بالقلب والقول باللسان والعمل بالجوارح»[١]، فمن شهد وعمل ولم يعتقد فهو منافق، ومن شهد ولم يعمل واعتقد فهو فاسق، ومن أخلَّ بالشهادة فهو كافر.

والإيمان على خمسة أوجه:

إيمان مطبوع وهو إيمان الملائكة.

وإيمان معصوم وهو إيمان الأنبياء.

وإيمان مقبول هو إيمان المؤمنين.

وإيمان موقوف وهو إيمان المبتدعين.

وإيمان مردود وهو إيمان المنافقين.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن هذا الباب أقوال السلف وأئمة السنة في تفسير الإيمان، فتارة يقولون: هو قول وعمل، وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية، وتارة يقولون: قول وعمل ونية واتباع السنة، وتارة يقولون: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح. وكل هذا صحيح»[٢].

= على فعل القلب واللسان، كما في الصحيح «والفرج يصدق ذلك أو يكذبه»، وأنه ولو كان الإيمان في اللغة هو التصديق لكنه في الشرع تصديق مخصوص، كما أن الصلاة في الشرع دعاء مخصوص، والحج قصد مخصوص، والصيام إمساك مَخْصُوص، فدخلت الأعمال في مسمى الإيمان وصارت حقيقة فيه، فلا عبرة بما تعارف عليه أهل اللغة » للمزيد ينظر: «مجموع الفتاوى» (٧/ ٢٩٠-٢٩٧).

(١) ينظر: التعريفات للجرجاني (ص٦٠)، شرح أصول أهل السنة والجماعة للالكائي (ص١٥٩٠).

(٢) ينظر: «مجموع الفتاوى» (٧/ ١٧٠)، (٧/ ٣٨٧).

وأشهر الفرق المخالفة لأهل السنة في هذا الباب هم:

المرجئة: فهم يخرجون العمل من الإيمان، فالإيمان عندهم هو مجرد تصديق القلب، أو قول اللسان، أو ما في القلب واللسان على اختلاف طوائفهم، والعمل ليس شرط صحة في الإيمان، وبالتالي فهو عندهم لا يزيد ولا ينقص، والمؤمنون عندهم متساوون في الإيمان، ولا تفاضل في إيمانهم، وبعضهم يقول: إن إيماننا كإيمان جبريل وميكائيل!!

وعندهم لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة، ولازم قول المرجئة الانسلاخ من حدود الله وتمييع أحكام الشريعة؛ لذلك قال إبراهيم النخعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تَركتَ المرجئةُ الدينَ أرق من ثوب سابري[1].

هذه خلاصة عقيدة المرجئة في الإيمان.

قابل هذا المعتقد معتقد آخر هو قول **الخوارج والمعتزلة**: فهم يسلبون أهل الكبائر مسمى الإيمان، والإيمان والإسلام عندهم بمعنى واحد، فإذا خرجوا عندهم من الإيمان خرجوا من الإسلام.

لكن **الخوارج** تقول: هم كفار؛ لأن مرتكب الكبيرة عندهم كافر في الدنيا مخلد في النار في الآخرة، ومن ثم يستحلون دماء المسلمين، ويرون السيف على ولاة الأمور.

---

(١) «السنة» لعبد الله بن أحمد (١/ ٣١٣/ ٦١١). السابري: الرقيق البالي. ينظر : لسان العرب مادة : (سبر) (٤/ ٣٤٠).

أما **المعتزلة** فأنزلوهم منزلة بين المنزلتين، فلا هم مسلمون ولا هم كفار، ويخلدونهم في النار في الآخرة.

فجاءت عقيدة **أهل السنة** وسطًا بين هذه العقائد، فالإيمان عندهم قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والقول يكون بالقلب واللسان، والعمل يكون بالقلب والجوارح، ويقصدون بقول القلب: التصديق، وبعمل القلب: المحبة والخوف والرجاء والإخلاص وغيرها من أعمال القلوب. ولا تجزئ المعرفة بالقلب إلا أن يكون معه النطق باللسان للقادر على الكلام، ولا يجزئان حتى يتبعهما عمل الجوارح، فإذا وجدت هذه الثلاث كان مؤمنًا.

بهذا قال علماء السلف من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، واستدلوا على ذلك بآيات من كتاب الله تعالى وأحاديث من سنة النبي ﷺ، منها: قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [الأنفال:٢].

ومن الأحاديث قول النبي ﷺ: «**الإيمان بضع وستون شعبة، أفضلها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»[١]، وغيرها كثير من الأحاديث التي استدل بها أهل السنة على أن الإيمان قول وعمل، وأنه يزيد وينقص.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، برقم(٩)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب عدد شُعب الإيمان وأفضلها وأدناها، برقم(٣٥)، واللفظ له.

أما مرتكب الكبيرة عند أهل السنة فإنه لا يخرج من الإيمان ما لم يستحِل، ولا يكفر كما قالت الخوارج، ولا يخلد في النار كما قالت الخوارج والمعتزلة؛ لأن الآيات والأحاديث دلَّت على بقاء وصف الإيمان لهم، يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى ﴾ [البقرة:١٧٨]، وقال تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا ﴾ [الحجرات:٩].

فقد سماهم الله مؤمنين رغم الاقتتال وبغي بعضهم على بعض، وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**تعالوا بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وفَّى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله فأمره إلى الله، إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه**»(١).

ولا يستحقون وصف الإيمان المطلق الكامل كما قالت المرجئة، فهم مؤمنون ناقصو الإيمان، أو مؤمنون بما معهم من إيمان، فاسقون بمعاصيهم وكبائرهم، وهم تحت المشيئة، من شاء الله عذبه ومن شاء غفر له، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء:٤٨، ١١٦]، والمقصود من مات على ذلك من غير توبة، ولا يكفِّرون أحدًا بذنب ما لم يستحِلَّهُ.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار برقم(١٨)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها، برقم(١٧٠٩).

وقد أقيمت على عهد رسول الله ﷺ حدود الزنا والسرقة وشرب الخمر، ولم يقل فيهم أحد من الصحابة إنهم كفروا، ولم يقطع النبي ﷺ الموالاة بينهم وبين المسلمين.

هذا هو معتقد أهل السنة في الإيمان، وهذه هي وسطيتهم بين الفِرَق التي أعملت عقلها، واتبعت هواها، فتمسكت بما يوافق مشربها من الأدلة، فضلت وأضلت وانحرفت عن منهج السلف رحمهم الله تعالى، وأهل السنة ظفروا بالحق حيث أعملوا جميع الأدلة، ولم يضربوا النصوص بعضها ببعض.

ثانيا: وسطية أهل السنة في الأسماء والصفات:

قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٠].

ضلَّت في هذا الباب العظيم طائفتان: أهل التعطيل الجهمية ومن وافقهم، وأهل التمثيل المشبهة. وهدى الله الذي آمنوا من أهل السنة لما اختلف فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء.

فأمَّا الجهمية: فقد عطلوا الأسماء عن معانيها وجحدوا حقائقها، وقالوا: «إنَّها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معانٍ، فيطلقون عليه اسم: السميع والبصير والحي والرحيم والمتكلم والمريد، ويقولون: لا حياة له ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا إرادة تقوم به»[1]، ويدخل ضمن هؤلاء المعتزلة: الذين

---

(١) ينظر: «بدائع الفوائد» (١/ ٢٩٨)، «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٨-٢٠).

يثبتون الأسماء وينفون الصفات، والأشاعرة الذين يثبتون الأسماء وينكرون بعضًا من الصفات، فيشمل الجميع وصف التعطيل حيث إنهم عَطَّلُوا الله تبارك وتعالى عما سمَّى ووصف به نفسُه، وسماه ووصفه بها رسولُه ﷺ.

ومنهم **غلاة الجهمية** الذين ينفون عن الله الأسماء والصفات. وهؤلاء كلهم ضالون مضلون.

وأمَّا المشبهة[١]: وهم القائلون بأن بصر الله كبصري، ويده كيدي، ونحو ذلك، تعالى الله عما يقولون علُوًّا كبيرًا[٢]!

ومذهبهم باطل بدلالة السمع والعقل والحس والفطرة، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

ومعلوم بضرورة العقل أن الخلق متفاوتُون في أوصافهم مع أنَّه يجمعهم وصف الخلق والحدوث والإمكان، فمن باب أولى الخالق سبحانه وتعالى.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهذا الإلحاد في مقابلة إلحاد المعطِّلة، فإن أولئك نفوا صفة كماله وجحدوها، وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه، فجمعهم الإلحاد، وتفرقت بهم طرقه، وبرَّأ الله أتباع رسوله ﷺ وورثته القائمين بسنته عن ذلك كله، فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه، ولم يجحدوا صفاته، ولم

---

(١) المشبِّهة: أول ما عُرِف التشبيه عن غلاة الروافض الذين سَمَّوا عليًّا إلـهًا وشبهوه بالإله، والمشبهة طائفتان: طائفة شبهت ذات الخالق بذات المخلوق، وأخرى شبهت صفات الخالق بصفات المخلوق. «الفَرْق بين الفِرَق» (ص٢١٤).

(٢) ينظر: «مجموع الفتاوى» (٣/ ٨٧).

يشبهوها بصفات خلقه، ولم يعدلوا بها عما أنزلت عليه لفظًا ولا معنى، بل أثبتوا له الأسماء والصفات، ونفوا عنه مشابهة المخلوقات؛ فكان إثباتهم بريئًا من التشبيه، وتنْزيههم خَلِيًّا من التعطيل، لا كمن شبَّه حتى كأنه يعبد صنمًا، أو عطَّل حتى كأنه لا يعبد إلا عَدَمًا »[١].

وأمَّا أهل السنة والجماعة:

فإنَّ مذهبهم في الأسماء والصفات إثبات ما أثبت الله لنفسه من الأسماء والصفات، وما أثبته له رسوله ﷺ من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل، وأنَّ الله موصوف بصفات الجلال والجمال والكمال، ما من صفة كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه فالله أولى بها، وما من صفة نقص فالله منَزَّهٌ عنها، وأنَّهم يثبتُون الألفاظ بما دلَّت عليه من معاني، مع اعتقادهم أنَّهم لا يحيطون علمًا بكمال ومنتهى صفات الله تبارك وتعالى، ويرون أنَّ الله أعلم بنفسه، ورسوله ﷺ أعلم بربه من سائر الخلق، وما كان الله ليذكر في كتابه ولا رسوله ﷺ في سنته ما لا يُفهَم معناه أو يخالف ظاهره.

ثالثًا: وسطية أهل السنة في القضاء والقدر:

معنى القضاء والقدر لغة: قضى يقضي قضاءً فهو قاضٍ إذا حكم وفصل، والقضاء انقطاع الشيء وتمامه، وكل ما أحكم عمله أو أُتم فقد قُضي، والقضاء من قضى الشيء أي صنعه وقدَّره، ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ

---

(١) ينظر: «بدائع الفوائد» (١/ ٢٩٩).

سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ [فصلت:١٢]، أي: خلقهن وصنعهن وأحكم خلقهن، وهو بمعنى العمل والصنع والتقدير[١].

والقَدْرُ والتقدير: تبيين كميَّة الشيء، يقال: قَدَرْتُه وقَدَّرتُه. والقدير والقادر من صفات الله عَزَّوَجَلَّ يكونان من القدرة ويكونان من التقدير[٢].

معنى القضاء والقدر اصطلاحًا: القدر هو: ما يقدِّره الله عَزَّوَجَلَّ من القضاء ويحكم به من الأمور، والجمع أقدار، وقدر الرزق أي قَسَمه[٣].

وعليه فالقَدَر يسبق القضاء؛ لأنَّ القدر تبيين وكتابة كمية الشيء وصفاته ووقت حصوله وطريقته وأسبابه، والقضاء إيجاده وإنفاذه وإيقاعه، فيكون العطف في القضاء والقدر ليس المراد به الترتيب ولكن لأنه أسهل على اللسان.

فالقضاء والقدر: مجموعة الأحكام والأحداث الصادرة عن علم الله وقدرته ومشيئَتِهِ[٤].

والإيمان بالقضاء والقدر أصل من أصول الإيمان، كما جاء في حديث جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما سألهُ النبيُّ ﷺ عن الإيمان، فقال ﷺ: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره**»[٥].

---

(١) ينظر: «أساس البلاغة» (٢/ ٨٦)، «لسان العرب» مادة (قضى) (١٥/ ١٨٦).

(٢) ينظر: «أساس البلاغة» (٢/ ٥٦)، «لسان العرب» مادة (قدر) (٥/ ٧٤ – ٧٥).

(٣) ينظر: «مفردات القرآن» للراغب، «لسان العرب» مادة (قدر) (٥/ ٨٤).

(٤) ينظر: «وسطية أهل السنة بين الفرق» (ص٣٦٢).

(٥) تقدم تخريجه (ص١٠٧).

فالقضاء والقدر: ركن من أركان الإيمان، من لم يؤمن به فليس بمؤمن، ومذهب السلف أن كل شيء يحدث بتقدير الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩].

واختلفت الطوائف والفرق في هذا الاعتقاد على أقوال:

الجبرية: وهي طائفة غَلَتْ في تقدير الله للأفعال، وأدى بهم هذا الغلو إلى أن قالوا: إن الله هو الذي يفعل كل شيء ويقدر كل شيء، وأن الإنسان مجبور على أقواله وأفعاله، لا يقدر منها على شيء، فهو كالريشة في مهب الريح.

وأول من قال بهذا هو الجهم بن صفوان[1]، لذا عرف أتباعه باسم «الجهمية»، وكان يقول: إنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا لله وحده، وأنه هو الفاعل لكل الأفعال، وأن الناس إنما تُنسب إليهم أفعالُهم على المجاز كما يقال: تحركت الشجرة ودار الفلك وزالت الشمس، وإنما فَعَلَ ذلك بالشجرة والفلك والشمس الله سبحانه، فالأفعال كلها من صنع الله، والعبد لا فعل له على الحقيقة ولا قدرة له على الفعل أصلًا، فالإنسان عندهم لا يقدر على شيء ولا يوصف بالاستطاعة، وإنما هو مجبور في أفعاله لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار، وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات.

---

(١) هو: أبو محرز جهم بن صفوان السمرقندي، الضال المبتدع، رأس الجهمية، قال عنه ابن حجر العسقلاني: هلك في زمان صغار التابعين، وقتل سنة (١٢٨هـ). «لسان الميزان» (٢/ ١٤٢).

وإذا كان الله هو الخالق الفاعل في الحقيقة، والإنسان مجبور على أفعاله لا قدرة له ولا إرادة، فكل ما وقع في الكون يكون محبوبًا مرضيًّا له، سواء في ذلك الإيمان والكفر، والطاعات والمعاصي، إذ كل ذلك واقع بإرادته ومشيئته!!

ومن ثم فقد سوَّى الجهمية بين الإرادة والمحبة والرضا.

والعباد عندهم ليسوا بحاجة إلى العمل، ولا إلى الأخذ بالأسبابِ؛ لأن ما قدر عليهم سوف يأتيهم، لذا تركوا العمل احتجاجًا بالقدر، وإذا عملوا أعمالًا مخالفة للشرع احتجوا بالقدر على وقوعها وأنها من صنع الله، ولما أشكل عليهم مخالفوهم فقالوا: كيف يعاقب الله العاصي وهو مجبور على معصيته، وكيف يثيب الطائع وهو مجبور على طاعته؟! فيكون أعطى من لا يستحق، وعاقب من لا يستحق، وهذا عين الظلم؟!

قالوا: هذا ليس بظلم؛ لأنَّ الظلم تصرف المالك في غير ملكه، وهذا تصرف من المالك في ملكه يفعل به ما يشاء.

وأُجيبوا بأنَّ هذا من أبطل البَاطل؛ لأنَّ لازمه أنَّ الله تبارك وتعالى ليس متصفًا بصفات الكمال والجلال[1].

وفي مقابل هذا القول ظهر قول مضاد له وهو القول بنفي القدر:

---

(١) ينظر: «الفَرْق بين الفِرَق» (ص١٩٩)، «شرح الطحاوية» لابن أبي العز (ص٧٩٦-٧٩٧)، «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ٨٠-٨٩)، «شفاء العليل» لابن القيم (ص٥١)، «القول المفيد على كتاب التوحيد» (١/ ٤١٥).

القدرية: نفى أصحاب هذا القول علم الله تعالى بالأشياء قبل وقوعها، وأنه لا علم له بأفعال العباد، وأن العبد هو الذي يقوم بفعله، وهو المتحكم في تصرفاته وأحواله، وكان أول من قال بهذا الكلام هو معبد الجهني[1].

روى الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ[2] في صحيحه:

عن يحيى بن يعمر رَحِمَهُ اللَّهُ[3] قال: «كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني... ثم ذكر يحيى أنه لَقِيَ عبدَ الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال له: يا أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قِبَلَنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفَّرون العلم... وإنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أُنُف، فقال له ابن عمر: إن لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو

---

(١) هو: معبد بن عبد الله بن عكيم الجهني، كان صدوقًا في الحديث ثم تكلم في القدر، قتله الحجاج بن يوسف الثقفي سنة (٨٠ هـ).

(٢) هو: مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابوري، أبو الحسين: حافظ، من أئمة المحدثين، ولد بنيسابور سنة (٢٠٤هـ)، ورحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق، وتوفي رَحِمَهُ اللَّهُ بظاهر نيسابور، أشهر كتبه (صحيح مسلم) جمع فيه اثني عشر ألف حديث، كتبها في خمسة عشر سنة، وهو أحد الصحيحين المعول عليهما عند أهل السنة في الحديث، وقد شرحه كثيرون، ومن كتبه (المسند الكبير) رتبه على الرجال، و(الجامع) مرتب على الأبواب، وغيرها، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة ٢٦١هـ. ينظر: «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٥٥٧)، و«طبقات الحنابلة» (١/ ٣٣٥).

(٣) هو: أبو سليمان، يحيى بن يعمر، الليثي البصري، من علماء التابعين في الحديث والفقه ولغات العرب، روى عن عثمان وعلي وعمار وأبي ذر وأبي هريرة وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهو أول من نقط المصاحف، ولاه الحجاج قضاء مرو، وكان يقضي بالشاهد واليمين. ينظر: «تهذيب التهذيب» (١١/ ٢٦٦)، «النجوم الزاهرة» (١/ ٢١٧).

أن لأحدهم مثل أُحد ذهبًا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر»[١].

ومعبد الجهني إنما تلقى هذه المقالة عن رجل نصراني يُسمى «سنسويه» كان قد أسلم ثم تنصر مرة أخرى[٢].

وقد سوَّى أصحاب هذا القول بين إرادة الله ومشيئته وبين محبته، وجعلوها شيئًا واحدًا، فكل ما أراده الله وشاءه فقد أحبه ورضيه، وعليه فالكفر والفسوق والعصيان لا يحبها الله ولا يرضاها، فلا يريدها ولا يشاؤها، فأخرجوها من محيط إرادته وعموم مشيئته[٣].

وكلا الطائفتين على طرفي نقيض، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم، وخير الأمور أوسطها، حيث عقيدة أهل السنة في القضاء القدر:

عقيدة أهل السنة في القضاء القدر:

جاءت عقيدة أهل السنة في القضاء القدر وسطًا بين القولين السابقين، فهم يؤمنون بالقدر كله خيره وشره، ويؤمنون بعلم الله بالأشياء قبل وقوعها، ومن أدلتهم على تقدم علم الله سبحانه وتعالى قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ [لقمان:٣٤]، وقوله سبحانه وتعالى:

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام، برقم(١).

(٢) ينظر: القدر للفريابي (٢٠٥). القضاء والقدر للأشقر (١٦).

(٣) ينظر: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٤/ ٦٣٧)، «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ٨٦)، «وسطية أهل السنة بين الفرق» (ص٣٥٩)، «عقيدة أهل السنة والجماعة» (ص٢٢٩).

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد:٢٢]، وقول النبي ﷺ: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة**»[(١)].

وإذا كان **الجهمية** نسبوا الأفعال كلها إلى الله، **والقدرية** نسبوا الأفعال كلها إلى العبد، ونفوا علم الله بها قبل وقوعها، فإن أهل السنة الـمُتَّبِعِين للسلف والأئمة يقولون: إن فعل العبد فعل له حقيقة، ولكنه مخلوق لله وليس هو نفس فعل الله، ويفرقون بين الخلق والمخلوق، والفعل والمفعول، فالمسلمون هم المصلون القائمون القاعدون حقيقة، وهو سبحانه المقدر لهم ذلك الذي شاءه منهم وخلقه لهم[(٢)].

فالله خالق أفعال العباد على الحقيقة؛ لأن العباد خلق له وأفعال المخلوقين مخلوقة، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦].

فلم ينفوا فعل العبد أصلًا، ولم يجعلوا العباد خالقين لأفعالهم من دون الله تعالى، ومع أَنَّه سبحانه وتعالى نص على أَنَّه خلق العباد وخلق أعمالهم فقد نسب الأعمال إليهم فقال: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦] فسبحان من هذا هو كلامه.

فهدى الله أهلَ السنة إلى الحق، والحق هو إعمال النصوص والجمع بينها، وعدم ضرب بعضها ببعض، وعدم تأويلها تأويلات عقلية فاسدة دون دليل شرعي.

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب القدر، باب حجاج آدم موسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، برقم(٢٦٥٣).

(٢) ينظر: «شفاء العليل» لابن القيم (ص٥٢)، «وسطية أهل السنة» (ص٣٨٠).

ثم فرَّق أهل السنة بين إرادة الله ومشيئته وبين محبته ورضاه، فهما لَيْسَتَا بمعنى واحد، بل بينهما فرق كبير، **فإرادة الله نوعان:**

١- **إرادة شرعية دينية:** وهي التي تتضمن معنى المحبة والرضا، منها قول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٢٧-٢٨]، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥].

٢- **إرادة قدرية كونية:** وهي التي بمعنى المشيئة، ومنها قول الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة:٢٥٣]، ومنها قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام:١٢٥].

ومن ثم فإن الله وإن قدر المعاصي من حيث العِلم وَالقدرة والإرادة الكونية فلا يعني هذا أنه يحبها ويرضاها، بل يبغضها ويكرهها وينهى عنها، فأهل السنة يفرقون بين إرادة المحبة وإرادة المشيئة.

فأهل السنة جمعوا ما في قول الطائفتين من الحق فقالوا به، ولم يوافقوا أيًّا منها فيما انحرفوا فيه عن الحق.

رابعا: وسطية أهل السنة في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أناس اصطفاهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ، وليبلغوا لنا أحكام وشرائع الدين، فهم أفضل الخلق بعد الأنبياء، وقد قال رسول الله ﷺ:

«النجوم أَمَنَةٌ للسماء فإذا ذهب النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما توعد»[١].

إن بركة أصحاب النبي ﷺ باقية في الأمة، وآثارهم وفضلهم ماضٍ فيها خالدٌ إلى يوم الدين، ذلك أنهم نقلوا لنا شرع ربنا، وحياة نبينا ﷺ، ثم إنهم خير الناس بشهادة أصدق الناس رسول الله ﷺ حيث قال: **«خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»**[٢].

وكان الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يرجعون إلى النبي ﷺ في أمورهم كلها صغيرها وكبيرها، ثم رضوا من بعده بإمامة أبي بكر، ثم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ثم بعد ذلك بدأت الفتنة وبدأ الافتراق الذي أخبر عنه النبي ﷺ، وطعن بعضهم في أصحاب النبي ﷺ، وعلى النقيض غالى بعضهم في الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وبين الإفراط والتفريط كان أهل السنة والجماعة الذين استقاموا وثَبَتُوا على الطريق المستقيم، وهذا بيان لِبعض معتقدات تلك الفرق التي ضَلَّت في صحابة رسول الله ﷺ، وبيان وسطية أهل السنة بينهم.

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمنة لأصحابه وبقاء أصحابه أمنة للأمة، برقم(٦٦٢٩).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، برقم(٣٦٥١)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة، برقم(٢٥٣٣).

أولًا: الشيعة:

الشيعة في اللغة: هم القوم الذين يجتمعون على الأمر، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شِيَع، ومعنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضًا ولَيْسُوا كلُّهم متفقين، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ [الأنعام:١٥٩]، كل فرقة تكفر الفرقة المخالفة.

ثم غلب هذا الاسم على من يتولى عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأهل بيته رضوان الله عليهم أجمعين، حتى صار اسمًا خاصًّا لهم(١).

الشيعة في الاصطلاح: وفرقة الشيعة هم الذين اتبعوا أميرَ المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على سبيل الولاء والاعتقاد لإمامته بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٢)، ثم إنهم تعصبوا له ونفوا الإمامة عمن تقدمه في الخلافة كأبي بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على خلاف بينهم.

يقول الإمــام الشهرستــاني رَحِمَهُ اللَّهُ(٣): «الشيعة هم الذين شايعوا

---

(١) ينظر: «تهذيب اللغة» (٣/ ٤١)، «لسان العرب» مادة (شيع) (٨/ ١٨٨).

(٢) ينظر: «أصول مذهب الشيعة» (ص٤١).

(٣) هو: محمد بن عبد الكريم بن أحمد، أبو الفتح الشهرستاني: من فلاسفة الإسلام، كان إماما في علم الكلام وأديان الأمم ومذاهب الفلاسفة، يلقب بالأفضل، ولد في شهرستان (بين نيسابور وخوارزم) (سنة ٤٧٩هـ)، وانتقل إلى بغداد سنة (٥١٠هـ) فأقام ثلاث سنين، وعاد إلى بلده، وتوفي رَحِمَهُ اللَّهُ بها سنة (٥٤٨هـ). قال ياقوت في وصفه: (الفيلسوف المتكلم، صاحب التصانيف، كان وافر الفضل، كامل العقل، ولولا تخبطه في الاعتقاد ومبالغته في نصرة مذاهب =

عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصًّا ووصية، إما جليًّا وإما خفيًّا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده. وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين، لا يجوز للرسل -عليهم السلام- إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله. ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبًا عن الكبائر والصغائر»[1].

وقد غالى طوائف من الشيعة في حب علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وآل البيت، بل إن بعضهم ذهب به الغلو إلى القول بأنه هو رسول الله إلى الناس، إلا أن الوحي أخطأ ونزل على محمد بن عبد الله كما يزعمون، وبعضهم أخذته العزة بالإثم وتمادى به الأمر حتى قال بألوهية علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقد ظهرت بدايتهم في عهده فأحرق بعضهم ونفى بعضهم. ثم إنهم تطاولوا على الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- حتى كفروهم جميعًا بزعم أنهم تركوا بيعة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولم يستثنوا منهم إلا سبعة كذبوا عليهم وزعموا أنهم يوالون آل البيت، وباقي الصحابة عندهم ملعونون، يتقربون إلى الله -كما يزعمون- بسبهم ولعنهم!

= الفلاسفة والذب عنهم لكان هو الإمام. من كتبه (الملل والنحل)، و(نهاية الإقدام في علم الكلام) و(الإرشاد إلى عقائد العباد) وغيرها. ينظر: «سير أعلام النبلاء» (٢٠/ ٢٨٦)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢١٥).

(١) ينظر: «الملل والنحل» (١/ ١٤٦)، «أصول مذهب الشيعة» (ص٥١).

هذا ملخص عقيدة الشيعة في الصحابة رضي الله عنهم أجمعين. وكان على النقيض منهم فرقة أخرى وهم الخوارج.

الشيعة يُقابلون بالنواصب في باب الصحابة.

ثانيًا: الخوارج:

الخوارج: هم الذين خرجوا عن جماعة المسلمين كما تقدَّم، وعلى طاعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد قبوله التحكيم في أيام الفتنة.

وكفَّروا عددًا من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وعلى رأسهم علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا والحكمَينِ، وأصحاب الجمل، ومن رضي بالتحكيم، وصوب الحكمين أو أحدهما. وهم لا يعترفون بالإمامة لأحد من الصحابة إلا لأبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ثم ينكرون إمامة عثمان ويقولون بإمامة علي قبل التحكيم، ثم ما لبثوا أن خرجوا عليه بعد التحكيم وكفروه، وكفروا عثمان، بل قالوا عن عثمان: إنه شر فتنة من الدجال، وأنه كفر بما أنزل الله. ولهم في ذلك حكايات باطلة كلها إفك وزور وبهتان عظيم.

فهؤلاء الخوارج يكفِّرون علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والشيعة غالوا في حُبِّه، وهؤلاء يقولون بإمامة أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والشيعة ينكرون إمامة أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وبين هذا وذاك جاء أهل السنة والجماعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أهل الوسطية والاعتدال في اعتقادهم في الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

ثالثًا: وسطية اعتقاد أهل السنة في الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ:

عقيدتهم في الصحابة جاءت عقيدة وسطًا بين الفِرق، فلم يُغالوا فيهم، ولم يُنقصوهم حقهم، يعرفون لأبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مكانته ومنزلته فهو أعلم الصحابة وأفقههم كما قال أبو سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «كان أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أعلمنا»[(١)]، وكان الصحابة أنفسهم يقدمون أبا بكر وعمر وعثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، فعن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: «كنا نُخَيِّر في زمن النبي ﷺ، فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ»[(٢)]، كما يعرفون أن العشرة الذين بشرهم النبي ﷺ بالجنة هم: المقدمون، ثم أهل بدر. والصحابة كلهم عدول ثقات، ومع ذلك فهم بشر يصيبون ويخطئون. ويعرفون لعلي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حقّه ومنزلته، وأنه أمير المؤمنين، وزوج ابنة رسول الله ﷺ، وأبو الحسن والحسين، رجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، ومع ذلك لا يقدمونه على أبي بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

وأجمع أهل السنة على إيمان المهاجرين والأنصار من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وأجمعوا على أن من شهد مع رسول الله ﷺ بدرًا من أهل الجنة، وكذلك كل

---

(١) أخرجه البخاري في «صَحيحه»، كتاب المناقب، باب قول النبي ﷺ «سُدُّوا الأبواب إلا باب أبي بكر»، برقم(٣٦٥٤)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق، برقم(٢٣٨٢).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ، برقم(٣٦٥٥).

من شهد معه أُحدًا، و كل من شهد معه بيعة الرضوان بالحديبية[١].

فأهل السنة والجماعة هم أهل الحق الذين توسطوا في محبة النبي ﷺ وفي محبة أصحابه رضي الله عنهم أجمعين، لم يغالوا في أحد منهم ولم يتنقصوا أحدًا منهم، ولم يقولوا بقول الروافض[٢] الذين غالوا في حب علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولم يقولوا بقول النواصب[٣] الذين عادوا آل البيت وأبغضوهم، ولم يقولوا بقول الخوارج الذين كفروا الصحابة، وإنَّما أخذوا بالاعتدال والوسطية، فأحبوهم دون غلو، وعرفوا أنهم بشر يخطئ ويصيب.

خامسا: وسطية أهل السنة في آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

كما شملت وسطية أهل السنة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فإنها أيضًا شملت آل بيت النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فجاء اعتقادهم – قولًا وعملًا – في آل البيت وسطًا لا

---

(١) ينظر: الفَرْقُ بين الفِرَق (ص٤٥، ٤٦).

(٢) **الرافضة**: كل من تبرأ من الشيخين أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ومن تبرأ من الصحابة رضوان الله عليهم. وسموا بذلك لأنهم رفضوا زيد بن الحسين عندما رفض أن يسب الشيخين ومنعهم من ذلك.
انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ٣٥٦، ٤٠٨)، والملل والنحل(١/ ١٥٥)، حقيقة البدعة وأحكامها (١/ ١١١).

(٣) **النواصب**: مصطلح إسلامي يطلق على من يعادون علي بن أبي طالب وأهل بيته، ويؤذونهم بالقول أو الفعل، وقد اتفق أهل السنة والاثنا عشرية في أن النواصب تقول بفسق علي بن أبي طالب، ولكنها لا تقول بكفر علي بن أبي طالب كالخوارج، ثم الاثنا عشرية قامت بتوسيع مصطلح النواصب ليشمل كل خصومهم سواء كانوا من النواصب (الذين يعتقدون بفسق علي بن أبي طالب)، أو من الخوارج (الذين يعتقدون بكفر علي بن أبي طالب). ينظر: التنقيح في شرح العروة الوثقى (٣/ ٦٩)، التهذيب (٤/ ٥٣).

غلو فيه ولا شطط، ففي الصحيح عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحبُ إليَّ أَنْ أَصِل من قرابتي»[١].

وعن عمر بن الخطاب أنه قال للعباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «والله لإسلامك يوم أسلمتَ كان أحبَّ إليَّ من إسلام الخطاب -يعني والده- لو أسلم؛ لأنَّ إسلامك كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب»[٢].

فأهل السنة عقيدتهم في آل البيت الحب الذي لا غلو فيه، والبراءة من الإساءة إليهم أو تنقصهم.

يقول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «والذين ضلوا في أهل البيت طائفتان:

الأولى: الروافض؛ حيث غلو فيهم، وأنزلوهم فوق منزلتهم، حتى ادعى بعضهم أن عليًّا إله.

الثانية: النواصب، وهم الخوارج الذين نصبوا العداوة لآل البيت، وآذوهم بالقول والفعل»[٣].



(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ومنقبة فاطمة عليها السلام، برقم (٣٧١٢).

(٢) إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (٥/ ٢٤١) وصححه الألباني في الصحيحة، برقم(٣٣٤١).

(٣) ينظر: «مجموع فتاوى ورسائل» ابن عثيمين (٤/ ٣٠٧).

المبحث السادس

أهمية الوسطية خاصة لشباب الأمة وفتياتها

إن الحديث عن الشباب مُعْجِب ريَّان، تهفو إليه كل نفس، فمرحلة الشباب ثَرَّة بالعطاء والفتوة والحماسة، حفيلة بخلال البر ونوائب الحق وتبعات الواجب وصور البطولة ومكارم الإيثار ومواطن الصبر الجميل.

وما من شك أن الشباب هم الذين آزروا عود الإسلام في قديم العهد وحديثه حتى أورق واستوى على سوقه، فهم بحق قلب الأمة النابض وشريانها المتدفق عطاءً ونماءً، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف:١٣]، فهذا علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحمل الراية يوم بدر وهو ابن عشرين سنة، وأسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقود الجيش وهو ابن ثمانية عشر عامًا، وحَبْر الأمة عبدالله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كان عمره ثلاث عشرة سنة يوم مات النبي ﷺ، وزيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان عمره إحدى عشرة سنة حين قدم النبي ﷺ إلى المدينة، فكان كاتبًا للوحي، ومصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الشاب الداعية الذي ترك الدنيا بمتاعها ابتغاء وجه الله تعالى.

أهـدي الشبـاب تحيـة الإكبـار ** هـم كنْزنـا الغَـالِي وسِرُّ فَخَـارِ

هل كـان أصـحاب النـبيّ محمـد ** إلّا شبـابًا شامـخ الأفكـار

المطلب الأول: تربية النشء على الوسطية والاعتدال:

إن التربية في الإسلام بناء الإنسان في جميع مراحل حياته منذ لحظة ولادته حتى وفاته، إيمانًا وتوحيدًا، عقيدةً وعقلًا وعلمًا وفكرًا؛ ليؤهله هذا كله إلى القيام بأعباء التكاليف الربانية، من إقامة الفرض وعمارة الأرض.

والإنسان كائن مركب من روح وجسد، وكما اعتنى الإسلام بالجسم وأولاه اهتمامًا كبيرًا وأمرنا بالحفاظ على سلامته والاعتناء به لينعم الإنسان بصحته ويعيش صحيحًا سليمًا، فقد أمرنا أيضًا بالاهتمام بالجانب الروحي حتى يوازن الإنسان بين متطلباته الجسدية والروحية، فالإنسان مخلوق وسط بين عالم الملائكة وعالم الحيوان، ومن ثم فإن تربية النشء لابد أن توازن بين هذين الجانبين؛ لأن الموازنة بينهما هي وسطية في حد ذاتها.

أولًا: التربية الروحية:

التربية الروحية نسبة إلى الرُّوحِ، والروح: النَّفْس، والجمع أرواح، غير أن الروح مذكر والنفس مؤنثة، وتأويل الروح أنه ما به حياة النفس وهو الذي يعيش به الإنسان، وقيل: الروح إنما هو النَّفَس الذي يتنفسه الإنسان وهو جارٍ في جميع الجسد[1].

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الروح: «إنه جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في

---

(١) ينظر: «لسان العرب»، مادة (روح) (٢/ ٤٥٥ - ٥٦٧).

جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون والنار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي ذلك الجسم اللطيف مشابكًا لهذه الأعضاء وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة الإرادية، وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن وانفصل إلى عالم الأرواح»[(١)].

وعليه تكون التربية الروحية هي: تعهد هذا الجسم النوراني العلوي، والمحافظة على سلامته بالتمسك بأسس الإسلام وتعاليمه؛ لأن واضع هذه الأسس هو رب العالمين جل وعلا، وهو وحده الذي يعلم ماهية هذا الجسم: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء:٨٥]. وإذا صحت هذه التربية الروحية فإنها تجعل الإنسان مرتبطًا بربه، وعلى بصيرة من أمره، يسير على صراط الله المستقيم، ولا تصح هذه التربية إلا إذا ارتكزت على أسس تحقيق الوسطية، والتي من أهمها:

١- التَّربية على الوسطية في العقيدة:

إن الإيمان بالله تعالى يربِّي الروح ويَمْلَؤُها طمأنينة ويدفع عنها اليأس والقنوط، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد:٢٨]، فالإيمان بالله يُنَقِّي الروح من الشوائب، والميول المنحرفة، ويَرْقى بالشخصية المسلمة نحو الكمال والسمو في التصور

---

(١) ينظر: «الروح» (ص٢٧٦).

والسلوك، فهو غذاء للروح ووقاية له من أمراض القلق والخوف والأهواء والشهوات والشبهات. والعقيدة الإسلامية هي الأساس الأول لتربية الروح على طاعة الله تعالى، وحبه وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه؛ لذلك فهو مطلب ضروري وحاجة أساسية لا يستغني عنها الإنسان[1].

إن للعقيدة أثرها البالغ على تربية الروح وتزكيتها لتصل إلى أعلى درجات الطهر والرفعة، فينشأ الناشئ على التصديق بكل ما جاء من عند الله، يرجع إلى هذه الأسس عند الملمات والمدلهمات، ومن ثم تَقْوَى روحه ونفسه أمام الأحداث، إيمانًا منه بأن الله تعالى قدر كل شيء وأحصى كل شيء علمًا، وذلك من خلال عقيدته وإيمانه باليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

فالعقيدة وما تشتمل عليه من الإيمان بالله وبألوهيته وربوبيته وبأسمائه وصفاته وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، تربِّي الروح تربية تظهر آثارها واضحة بالوسطية في الفكر والسلوك والمنهج دون شطط أو زيغ أو ضلال.

٢- **التَّربية على الوسطية في العبادة:** إن الإيمان بالله تعالى: اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالأركان. وعمل القلب هو العقيدة، وعمل الأركان هو العبادة، ولابد للمسلم أن يوازن بين العملين وتعتبر العبادة تربية عملية للروح يتم من خلالها تطبيق وتنفيذ الجانب النظري[2].

---

(١) ينظر: «الوسطية في التربية الإسلامية» (ص١٠٧).

(٢) ينظر: «الوسطية في التربية الإسلامية» (ص١١٠).

والعبادة هي خضوع لله على وجه التعظيم، فمن أطاع الله وتوجه إليه بالعبادة وشغل سمعه وبصره ولسانه وقلبه بما أمر الله فهو الذي يعمل على تربية روحه وتطهيرها مما يعلق بها أحيانًا من أدران الشبهات والشهوات؛ لأن العبادة توثق الصلة الدائمة بين الإنسان وبين ربِّه، لذلك شرعها الله تعالى على أوقات، منها ما هو يومي، ومنها ما هو أسبوعي وسنوي.

إن تربية النشء على العبادة الصحيحة التي شرعها الله تعالى تربية لهم على منهج الوسطية التي جاء بها الدين الإسلامي، وبُعْد عن الغلو والتطرف، ومحاربة للمفاهيم الباطلة والأفكار المنحرفة، وتحقيق للتوازن بين متطلبات الفرد المادية والروحية بما يتفق وفطرته السليمة التي فطره الله عليها؛ فيتحقق فيه معنى قول الله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا﴾ [القصص:٧٧].

ثانيًا: التربية الفكرية:

الفكر في اللغة: الفكر هو تردد القلب في الشيء، يقال: تفكر إذا ردد قلبه معتبرا، ورجل فِكِّير أي كثير الفكر، وهو إعمال الخاطر، والتفكر هو التأمل، وتقول: ما دار فكري حول كذا، أي ما خطر ببالي، والفكرة: قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم، وقال بعضهم: الفكر مقلوب عن الفرك، لكن يستعمل الفكر في المعاني، وهو فرك الأمور وبحثها طلبًا للوصول إلى الحقيقة[1].

---

(١) ينظر: «لسان العرب» (٥/ ٦٥)، «أساس البلاغة» (٢/ ٣٢)، «مقاييس اللغة» (٤/ ٤٤٦).

إن قضية الوسطية في الفكر من أهم القضايا التي ينبغي العناية بها، لاسيما في أوقات الفتن؛ إذ بها تتفاوت مراتب الخلق في إصابة الحق، فالفكر القويم المعتدل تحوز به الأمم السيادة وتنطلق إلى آفاق الريادة، وتهنأ المجتمعات بالشباب، وتأمن الغلو والانحراف والتباب، وإنْ انحرف هذا الفكر عن سنن الجادة والاعتدال فإنها تكون الكارثة والمهلكة -عياذًا بالله- سواء في ذلك الأفراد أو المجتمعات.

يقول العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبده، بل ما أُعطي عبد عطاءً بعد الإسلام أفضل ولا أجل منهما، بل هما ساقا الإسلام، وقيامه عليهما، وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم، وطريق الضالين الذين فسدت فهومهم، ويصير من المنعم عليهم الذين حسنت أفهامهم وقصودهم، وهم أهل الصراط المستقيم، الذي أُمِرْنا أن نسأل الله أن يهدينا صراطهم في كل صلاة، وصحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد، يميز به الصحيح والفاسد، والحق والباطل، والهدى والضلال، والغي والرشاد»(١).

إن للتربية الصحيحة دورًا كبيرًا في تعزيز الاعتدال في الفكر والسلوك.

فأساس الوسطية في الفكر - والتي يجب غرسها في النشء- تقديم الوحي (الكتاب والسنة)، واتباع أهل العلم، فمن تمسك بِهِمَا أفلح ونجا،

---

(١) ينظر: «إعلام الموقعين» (١/ ٨٧).

ومن حاد عنهما هوى وضل وانحرف عن الحق وزلَّ، وهما أصل صحة الفهم وحسن القصد.

وهو الهدف السامي الذي ينشده الجميع في الأجيال الناشئة، ويعمل على ذلك دون تهاون في هذه القيم الإسلامية، والأخلاق القرآنية.

فـــرب صـــغير قـــوم علـــموه ** ســـما وحمـــى المســـومة العرابـــا

وكـــان لقومـــه نفعًـــا وفـــخرا ** ولـــو تركـــوه كـــان أذى وعـــابا

فعلِّـم مـا اسـتطعت لعـل جـيلا ** سيأتي يحدث العجـب العجابـا[1]

ثالثًا: التربية الجسدية:

الجسد في اللغة: يقال الجسد لجسم الإنسان، ولا يقال لغير الإنسان جسد من خلق الأرض، الجسد: البدن، تقول: تجسد كما تقول في الجسم: تجسم، وكل خلق لا يأكل ولا يشرب من نحو الملائكة والجن مما يعقل فهو جسد، وكان عجل بني إسرائيل لا يأكل ولا يشرب، قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ [طه:٨٨]، فالجسد الذي لا يَعْقِلُ ولا يُميِّز، والجمع أجساد[2].

فالتربية الجسدية هي: الرعاية الشاملة للنمو الجسمي مع مراعات دوافعه الفطرية والغريزية؛ لتحقيق التوازن بين المتطلبات المختلفة للإنسان، فجسم الإنسان لا يمكن فصله عن الروح والعقل؛ لذلك فإن الإسلام ينظر

---

(١) الأبيات لأحمد شوقي كما في صيد الأفكار (٢/ ٣٧٣). ومجمع الحكم والأمثال (٧/ ٢٩٥).

(٢) ينظر: «لسان العرب» (٣/ ١٢٠ – ١٢١)، «محيط المحيط» مادة (جسد).

إلى الإنسان على أنه كُلٌّ لا يتجزأ ووحدة مترابطة متكاملة، وتربيته السليمة تكون شاملة للروح والجسد معًا[(١)].

ولكي نربي النشء تربية جسدية سليمة لابد أن تكون هذه التربية قائمة على الأسس والمبادئ الإسلامية، هذه المبادئ التي تقوم على الوسطية والاعتدال والتي تحقق للفرد التوازن المطلوب بين متطلباته الـمتعدِّدة، وأهم هذه المبادئ:

١ - الوسطية في العناية بالجسم:

عُنِي الإسلام بالرعاية الجسمية من خلال الاهتمام باللياقة البدنية والتوعية الغذائية والنظافة الشخصية؛ لما في ذلك من تنشيط للجسم وتجديد لخلاياه ومحافظة على سلامته وقوته، فالذي يتأمل المقصد الشرعي من أحكام الطهارة يعلم مدى حرص الإسلام على سلامة البدن والنفس، فالله تبارك وتعالى أوجب الوضوء لصحة الصلاة، والنبي ﷺ أوجب الغسل يوم الجمعة على كل محتلم[(٢)]، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢]، ويقول: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر:٤]، والنبي ﷺ حدد لنا خصال الفطرة التي تقوم على نظافة الجسم والبدن فقال ﷺ: «عشر من

---

(١) ينظر: «الوسطية في التربية الإسلامية» (ص١٦٠).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الجمعة، باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم، برقم(٨٥٥)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الجمعة، باب وجوب غسل الجمعة على كل بالغ من الرجال وبيان ما أُمروا به، برقم(١٩٩٤).

الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظافر، وغسل البراجم، ونتف الإبط وحلق العانة، وانتقاص الماء»[1].

فالمسلم نظيف في جميع أحواله في بدنه وثيابه، يحافظ على جسمه وبدنه من الأمراض والأسقام والأدواء؛ ليعود ذلك كله عليه بالقوة والنماء.

والعبادة تحتاج إلى قوة بدنية، فالصلاة تحتاج إلى قوة لما بها من قيام وقعود وركوع وسجود، والصيام يحتاج إلى قوة لما به من مشقة الجوع والعطش وكف النفس عن الشهوات، والحج يحتاج إلى قوة لما به من مشقة في الطواف والسعي والهرولة والوقوف بعرفة والمبيت بالمزدلفة، والجهاد في سبيل الله يحتاج إلى قوة وشجاعة، قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال:٦٠]، وكان النبي ﷺ يسابق بين الخيل ويشجع أصحابه على المسابقة والرماية فقد خرج ﷺ على قوم يَنْتَضِلُون فقال: «ارموا بني إسماعيل؛ فإن أباكم كان راميًا، وأنا مع بني فلان. فأمسكوا أيديهم فقال: ما لهم؟ قالوا: وكيف نرمي وأنت مع بني فلان؟! قال: ارموا وأنا معكم كلكم»[2].

فالإسلام يتعامل مع الجسم باعتباره إطارًا ماديًّا لقوى الإنسان الروحية والعقلية؛ لذلك اهتم بالصحة الجسمية اهتمامًا كبيرًا، بحيث يؤدي كل عضو

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، برقم(٦٢٧).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الجهاد والسير، باب التحريض على الرمي، رقم (٢٨٩٩).

من أعضاء الجسم وظيفته في تناسق وانسجام، وإلا فما فائدة الحواس إذا لم ينتفع بها الإنسان؟

٢- الوسطية في تَلْبِيَة مطالب الغرائز:

إن أهم ما يميز الدين الإسلامي أنه دين الفطرة، وهو يعطي كل جانب من جوانب الطبيعة الإنسانية حقه من الرعاية والاهتمام بالقدر الذي يحتاج إليه دون زيادة أو نقصان، ومن طبيعة الإنسان أن الله تعالى فطره على حب الشهوات، قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران:١٤].

ومن هذا المنطلق فإن قمع شهوات الجسد ومحاربة رغباته أمر غير وارد في دين الإسلام، كما أن ترك الجسد يلبي شهواته ورغباته دون حدود أو قيود أمر غير وارد أيضًا في منهج الإسلام التربوي للجسد؛ لأن هذا المنهج وضع على التوسط في الأمور كلها فلا إفراط ولا تفريط[1].

فللجسم أن يحصل على حاجاته ومتطلباته الأساسية من طعام وشراب ونظافة وراحة... إلخ، عملًا بقول الله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص:٧٧] وقول النبي ﷺ: «إن

(١) ينظر: «الوسطية في التربية الإسلامية» (ص١٦٧).

لزوجك عليك حقًّا، وإن لبدنك عليك حقًّا، فأعطِ كل ذي حق حقّه»[1].

هذا هو المنهج الإسلامي المنهج الوسط الذي تعامل مع الإنسان روحًا وجسدًا وحافظ على التوازن بينهما، وهو في تعامله مع غرائز الإنسان يختلف عن تعامل رهبان النصارى مع هذه الغرائز، حيث اعتبروا هذه الغرائز قذرًا ودنسًا يجب البعد عنه والتطهر منه، وكلما بَعُدَ عنها الإنسان ارتقت نفسه، وسمت روحه، فالتربية الجسمية عندهم تقوم على محاربة رغبات الجسد وإماتة غرائزه.

وعلى النقيض من هذا الحال جاء حال الماديين الذين تعاملوا مع الجسد على أنه لحم وعظم يعيش فقط من أجل الطعام والشراب والنكاح، دون نظر إلى سُمو روحه وإعمال عقله وفكره، فالإنسان عندهم يرجع إلى أصل حيواني، فكان حالُهم كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد:١٢].

فجاء الإسلام بتعاليمه وسطًا بين المادية والرهبانية، أحل الله لنا مُتَع الدنيا دون إسراف أو تقصير، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأعراف:٣٢].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الأدب، باب حق الضيف، برقم(٥٧٨٣)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا...، برقم(١١٥٩).

رابعًا: العناية بقضايا المرأة:

إن من أهم الجوانب التي تولاها الإسلام بالعناية والرعاية، وأحاطها بسياج منيع من الصيانة والحماية، ورسم لها خير منهج، لما لها من الأهمية والمكانة الجانب المتعلق بالمرأة وشئونها ومسئوليتها في الأمة، ومكانتها في المجتمع، وما لها من حقوق وما عليها من واجبات.

فرفع عنها الآصار والأغلال التي كانت في الجاهلية، فقد كانت محرومة من الميراث، بل الميراث لمن يحمل السيف ويحمي البيضة، بل نفس المرأة كانت ميراثًا يرثه أكبر أولاد زوجها من غيرها، وكانت تعتد عن وفاة زوجها حولًا كاملًا، وتحد عن زوجها شرَّ حِداد، فتلبس شَرَّ ملابسها وتسكن شر الغرف، وتترك الزينة والتطيب والطهارة فلا تمس ماء ولا تقلم ظفرًا ولا تزيل شعرًا، فإذا انتهى العام خَرجت بأقبح منظر، وأنتن رائحة، وكانت تعار للاستبضاع من أجل الولد، ويأتيها العشرة من الرجال، فإن وضعت ألحق الولد بأحدهم[1]، إلى غير ذلك مما تقشعر منه الأبدان وتذهل له العقول.

في حين أن الإسلام جعل لها حقًّا في الميراث ترث وتورث، ولها حق الكسب والتملك، ولها حق اختيار الزوج والقبول والرفض، وشرع لها من الأحكام ما يحمي عرضها، ويحفظ لها مالها، فشرع لها حق النفقة والسكنى والمهر، وحق الخلع، وحرم أكل مالها بالباطل، واستغلال ضعفها، وحَرَّم على

---

(١) ينظر: «تكريم المرأة في الإسلام» (ص٤-٦).

وليِّها عضلها ومنعها من الزوج الكفؤ، كما قال تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا﴾ [النساء:٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾[النساء:١٩].

وقال جل في علاه: ﴿فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾[البقرة:٢٣٢].

ونهاها الشارع عن التبرج والخضوع بالقول، ورغَّبها في القرار في البيت، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣]، وقال سبحانه: ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ [الأحزاب:٣٢].

إلى غير ذلك من الأحكام، مما جعل المرأة الغربية المنصفة تقول إن المرأة المسلمة ملكة في بيت زوجها.

بينما تسعى حركات التغريب في المجتمع الإسلامي بأفكارها وأهدافها إلى محو الهُوية الإسلامية، وصبغ المجتمع بالصبغة الغربية، في عاداته وسلوكه وطباعه، بما في ذلك تغريب المرأة العربية المسلمة لتعيش حياة المرأة الغربية، في لباسها وعاداتها، تاركة وراءها التقاليد العربية، والتعاليم الإسلامية.

لقد جعلوا الحجاب عادة جاهلية، والعُرْيّ والتفسخ رقيًّا ومدنيةً، والعمل في الاختلاط حرية شخصية، وغير ذلك من الأفكار التي تَنِدُّ عن العقل الإسلامي والمجتمع العربي، تحت شعارات براقة، مما يزيد العبء على كاهل الأسرة في تربية النشء التربية القويمة التي تظهر لهم خفايا التغريب

وإشكالاته، وتظهر لهم أن هذه الدعاوى هي في حقيقتها دعاوى فتاكة هدامة، فينشأ جيل من الشباب والفتيات على وعي بقضايا المرأة المسلمة، يحفظ لها حقوقها التي أقرها الشرع المطهر، حيث اعتبرها شريكة الرجل، شقيقة له في الحياة؛ لأنها الأم الرؤوم المشفقة، والزوج الحنون المؤنسة، والأخت الكريمة، والبنت البارة، بل هي المدرسة الحقيقية لإعداد الأجيال، وصناعة الرجال.

والشريعة الإسلامية وضعت الرجل والمرأة على قدم المساواة والعدل في معظم التكاليف والأحكام الشرعية، وجعلت التقوى هي معيار ما يتميز به أحدهما عن الآخر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات:١٣].

وأن الجزاء في الآخرة يتحقق بالمساواة بين الجنسين، فيحاسب النساء على ما عملهن، كما يحاسب الرجال على ما اكتسبوا، قال تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [غافر:٤٠].

وإنَّما جاءت الفروق في بعض الأحكام والتعاليم مراعية الفروق الكائنة بين الرجل والمرأة من الناحية الروحية والنفسية والعاطفية والبنية الفيسيولوجية، والتي تُعتبر المساواة فيها من أكبر الظلم والاعتداء.

قال تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ﴾ [الزخرف:١٨].

هكذا ينشأ فتياننا وفتياتنا على وعي بقضايا المرأة وأبعادها نشأة وسطية، فلا يغالون فيها ولا يقصرون معها.

المطلب الثاني: أسس التربية السليمة لتحقيق الوسطية:

إن الإسلام يريد تطهير الإنسان ظاهرا و باطنا، و العبادات و الشرائع كلها تتضافر لتزكية النفوس وتطهير القلوب وحماية الإنسان من الرذائل، وإعداده ليكون دائمًا موصولًا بالله تعالى، يعلم أنه يسمعه ويراه، ويعلم عنه كل صغيرة وكبيرة، وأنه سوف يقف بين يدي ربه يحاسبه عن كل ما جنت يداه، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، ليرتقي بذلك في سلم الكمال.

هذه المراقبة وهذا الشعور يكتسبه الإنسان من خلال تربيته تربية إسلامية سليمة، هذه التربية التي تقوم على أسس ومبادئ، والتي من أهمها:

أولا: بيان أهمية الوسطية للشباب والفتيات:

إن الله تبارك وتعالى لما شرع العبادات جعل لكل عبادة ثوابًا، ولكل عمل جزاءً، هذا الجزاء والثواب هو الذي يحرك العبد وينشطه لأداء العمل على وجهه الذي أمره الله تعالى به، فمعرفة الجزاء تحفز على العمل.

وكذلك لو تربى النشء على معرفة أهمية الوسطية والاعتدال، وأنهما ضمانات لازمة لنعمة الأمن والاستقرار في البلاد، وأنهما من خصائص الإسلام ووسام شرف الأمة الإسلامية، لنشأ ينشد هذه الوسطية ويعمل على تحقيقها، فمعرفة نتيجة العمل تحفز على أدائه.

وإذا كان الإسلام يدعو إلى الوسطية، فإنه يحذر كل التحذير من كل ما يتعارض معها من غلو أو تقصير، فكل منهما معول هدم للأمن بفروعه، وعلى رأسه الأمن الفكري للفرد والمجتمع، لأن كُلًا منهما جنوح عن

الصراط المستقيم في الاعتقاد والتفكير، وخروج عن تعاليم الإسلام ومقاصده، وبتحقيق الوسطية نأمن الانحراف الفكري ومهالكه، وننعم بالأمان والاستقرار.

هذه هي وسطية الفكر الإسلامي بعيدًا عن التطرف الفكري وفكر التطرف، والوحي الإلهي لا يلغي دور العقل الإنساني، وإنما ترك له مجالات عديدة يثبت فيها ذاته ويبرز قدراته.

إننا في حاجة ماسة لتفعيل الفكر الإسلامي، لأنه فكر وسط بين الفكر المادي الحِسِّي والفكر الروحي الوجداني.

إن الفكر المادي الغربي قائم على نظرية المادية القائمة على وسائل الإدراك الحسية، ويعتني بالناحية التطبيقية التجريبية، ملغيًا جانب العقل وجانب الروح والوجدان.

وهناك مدرسة أخرى تمجد العقل وتقدسه، وجعلته حكمًا على كل شيء، ووصلت به إلى درجة تكذيب الضرورات الحسية، بحجة أنّ الحس يُخْطِئُ ويهم.

والفكر الروحي الهندوسي قائم على الرياضات الروحية الوجدانية، حتى تسمو -كما يقولون- أنفسهم عن الحياة الحيوانية الغريزية، وهم يمجدون الطبيعة ويعيشون في الأماكن المهجورة والأديرة والمعابد البعيدة وفي الجبال.

لكن الفكر الإسلامي يدعو إلى إعمال العقل والحس والروح معًا، كل ذلك في حدود الشرع وليس بإطلاق، فالشرع حكم على الجميع فيما يتوهم

فيه التعارض ولا تعارض في واقع الأمر، كما أنه وازن بين المادية الحسية والحياة الروحية.

ومن ثم لا يمكن لأي إنسان أن يضل أو يزيغ، لو أعمل عقله في حدود ما أمره الله -تبارك وتعالى.

ولله در الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] حيث قال: «إن للعقل حد ينتهي إليه، كما أن للبصر حدًا ينتهي إليه»[2].

فعلى العقول أن لا تستقل بإدراك مصالحها دون الوحي، لأن الأفكار المنحرفة إنما تنشأ من إعمال العقل بعيدًا عن الشرع.

هذه أهم أسس ومبادئ التربية السليمة للوصول بالشباب إلى منهج الوسطية والاعتدال في الفكر والعبادات والمعاملات.

ثانيا: غرس العقيدة الصحيحة في نفوس الشباب والفتيات:

وعقيدة الإنسان هي ما يعتقده من أفكار ومبادئ وقناعات يعقد عليها قلبه، ويعتمد عليها، وينبعثُ منها في سلوكه وأفعاله. هذه العقيدة لابد أن تؤسس على كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ حتى تكون عقيدة صحيحة

---

(١) هو: أبوعبدالله، محمد بن إدريس بن العباس بن شافع، القرشي، المطلبي، الإمام الجليل، صاحب المذهب المعروف، من أشهر مصنفاته : الأم، والرسالة، وأحكام القرآن، مات سنة ٢٠٤هـ . ينظر: «الثقات» (٩/ ٣٠)؛ «طبقات الفقهاء» للشيرازي (١/ ٦٠)؛ «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» (٤/ ١٦٣).

(٢) أخرجه: ابن أبي حاتم في «آداب الشافعي ومناقبه» (ص٢٧١).

سليمة، تضمن للإنسان الوسطية والأمن، اللذان لا يتوفران إلا مع الإيمان بالله تعالى قولًا وعملًا، لأن طريقه طريق الأمن والسلامة، ومنهجه هو المنهج الوسط العدل المستقيم، الذي لا عوج فيه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣].

وقد قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور:٥٥].

فالأمن الحقيقي الشامل لا يتحقق إلا بالإيمان بالله تعالى واتباع سنة نبيه ﷺ. والعقيدة الصحيحة القائمة على كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، من الإيمان بالله، واليوم الآخر، والجزاء والحساب، والقضاء والقدر....إلخ هي وحدها الداعم والضامن لذلك كلّه، لأنّها تقرب كل خير وتُبعد كل شر. شعارها: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١] وقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٧-٨].

وهذه العقيدة تأتي من خلال تعلم العلم الشرعي والاهتداء بنور الكتاب والسنة

ثالثا: ترغيبهم في العلم الشرعي:

قال الله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج:٥٤].

إنّ من أهمّ روافد الأمن الفكري التزود بالعلوم الشرعِيَّة، التي ترشد إلى طريق الهداية والصلاح الذي جاء به القرآن الكريم، وهو الحق المبين، الذي لا يأتيه الباطل، وتدعوا إلى الوعي الفكري الناضج، وسلوك الطريق القويم، وأداء الطاعات، وفعل الخيرات، واجتناب المحرمات، ويحقق العلم الشرعي فضيلة الجمع بين التقوى والعلم، ليؤدي أغراضه التربوية في بناء المجتمع الآمن، والاستقامة السلوكية.

لذا كان السلف يحرصون على تعليم أبنائهم العلم الشرعي صغارا وكان الحسن البصري يقول: «قدموا إلينا أحداثكم فإنهم أفرغ قلوبًا وأحفظ لما سمعوا». وفي المثل: التعلم في الصغر كالنقش على الحجر.

إن الارتباط وثيق بين العلم وتحقيق الاعتدال الفكري، لدى أفراد المجتمع المتأهلين بالعلم الشرعي، ومن القضايا المنهجية المهمّة في هذا المجال ضرورة أخذ العلم من العلماء الربانيين لأنهم صمام الأمن الفكري، فبحسن توجيههم وبيانهم يتحقق الفهم الصحيح للنصوص وقواعد الاستدلال، لاسيما في النوازل والمستجدات، قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣]، وهنا تَتبين خطورة التعالم والمتعالمين، والقائلين على الله بغير علم، والخائضين في أمور الشريعة إفتاءً وتحليلًا وتحريمًا، وهم ليسوا منها في ورد ولا صدر، مما كان سببًا في الانحراف الفكري، وحلول الفوضى الفكرية، لدى كثير من فئات المجتمع، والله المستعان.

رابعا: إشراكهم في الأعمال النافعة.

إن استثمار أوقات الشباب وملء فراغهم بالبرامج النافعة التي تعود عليهم وعلى مجتمعهم بالنفع في أمور دينهم ودنياهم، وتحذيرهم من مجالسة أصحاب الأفكار المنحرفة، أو السفر إلى بقاع موبوءة، ضرورة مُلِحَّة.

كما يتحتم على أولياء أمورهم متابعة تحركاتهم ومراقبة تصرفاتهم، وما يطرأ عليها من جنوح أو تغيير بإيجاد آلية للحوار البنّاء، وفقًا للضوابط الشرعية والامكانات الاجتماعية والأسرية، فالفراغ داء قاتل وهو للحيرة والضياع مَدَبّ، والانحدار في الجريمة والانحراف مَهَبّ، فلا يكاد الشاب يتعلق بما يظنه حقيقة حتى تهتبله أيادي الفكر المتطرف، أو قرناء السوء والمنكر والدمار.

وليس هذا من باب تقييد الحريات، أو التدخل في الأمور الشخصية كما هو شعار الثقافة الغربية الذي أدَّى بها إلى الانحلال الخلقي، والتمزق الأسري، والتفكّك الاجتماعي، بل من باب الرحمة والشفقة بالشباب الذي تحدوه روح المغامرة والاكتشاف مع ما لمرحلة المراهقة من أثر في ذلك، مِمَّا يجعله في بعض الأحيان؛ بل في كثير منها يختار غير الطريق السوي، فهنا يأتي دور الإرشاد والتوجيه وإن كان فيه شيء من القسوة، لكن من باب قول أبي تمام:

فَقَسَا لِتَزْدَجِرُوا وَمَنْ يَكُ حَازِمًا ** فَلْيَقْسُ أَحْيَانًا وَحِينًا يَرْحَمُ[1]

---

(١) ينظر: ديوان أبي تمام (ص٢٠٧).

إنّ للعمل الصالح المتمثّل في القيام بالعبادات على علم صحيح شرعي آثارًا كبيرة في حياة المسلم، منها: انشراح الصدر، وراحة البال، وسعة الرزق، وسلامة الإنسان وارتياحه، واطمئنانه، وشعوره بالأمان.

وقد جاء في القرآن آيات كثيرة، وفي السنة النبوية أحاديث عديدة، تدلّ على تلك الآثار، وعلى أن تقوى الله عَزَّوَجَلَّ والأعمال الصالحة يترتب عليها سعادة الدنيا وسعادة الآخرة، ويأمن بإذن الله من الانحراف الفكري.

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب:٧٠]، وهذه عبادة، ثم ذكر الأثر المترتب على ذلك بقوله: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧١].

فإن إصلاح الأعمال الدنيوية، ومغفرة الذنوب في الآخرة من الآثار المترتبة على العبادة الصحيحة، فقد اشتملت هذه الآية الكريمة، على ذكر آثار تترتب على العبادة في الدنيا وفي الآخرة، ففي الدنيا إصلاح الأعمال والتوفيق والسداد، وأن يسير الإنسان إلى الله عَزَّوَجَلَّ على بصيرة، وفي الآخرة مغفرة الذنوب، وتكفير السيئات.

وأصرح منها قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه:١٣٢]، وقوله جلَّ في علاه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذريات:٥٦-٥٨].

هذا فيما بين العبد وبين ربّه، أمّا مجال العمل الخيري من رعاية الأيتام، والقيام على المساكين، ومساعدة المرضى، ونصح المساجين، وإعانة المحتاج، والأرامل، ودور العجزة، وما إلى ذلك من وجوه البر التي تشعر النفس بالمشاركة فيما يعود على البشرية بالسعادة، إضَافة إلى أنّها من مصادر سعادة العبد وطمأنينته وراحة باله واتّزانه، فهي كذلك من أهم الأسباب التي تبث الألفة وتنشر المحبة، وتُقوي اللُّحْمَة بين أفراد المجتمع الواحد.

ومما سبق يتبيّن أنّ الطاعات والأعمال الصالحة سبب لتحقيق الاستقرار والأمن الفكري، والذي يؤدي إلى الاعتدال والوسطية، وأنّ المعاصي والمحرمات سبب في غرق سفينة المجتمع، فالفكر المنحرف معصية لله، وللمعاصي شؤم خطير على المجتمعات، تجعلها تخرج عن منهج الوسطية إلى الغلو أو التفريط.

خامسا: تربيتهم على الرجوع إلى العلماء وولاة الأمر عند النوازل:

وهذا هو ديدن المسلم ودينه الذي أمره به ربه سبحانه قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾ [النساء:٨٣].

إنّ طاعة ولاة الأمر من العلماء والأمراء، والرجوع إليهم في الملمات والنوازل، والأخذ عنهم، والاستضاءة بعلمهم وفهمهم واستنباطاتهم

ونظراتهم: هو السبيل لتحقيق أمن الجماعة بجميع فروعه، وعلى رأسه تحقيق الاستقرار الفكري للفرد والمجتمع. وتحقيق وحدة الأمة واستقرار الدولة وتفرغها لأداء واجباتها في الإعمار والبناء والنماء والتصدي لكيد الأعداء.

ومن أجل هذه الغايات السامية أوصى رسول ﷺ جماعة المسلمين بطاعة أمرائهم وولاة الأمر منهم في جميع الظروف والأحوال، فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة**»[1].

وفي صحيح مسلم عن عرفجة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه**»[2].

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ﴾ الآية [النساء:٨٣].

«هذا تأديب من الله لعباده، عن فعلهم هذا غير اللائق، وأنه ينبغي لهم، إذا جاءهم أمر من الأمور المهمّة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول ﷺ وإلى أولي الأمر منهم أهل الرأي

---

(١) أخرجه: البخاري في «صحيحه» كتاب الآذان، برقم [٦٩٨]، وابن ماجه في «صحيحه» كتاب الجهاد برقم [٢٩٧٠].

(٢) أخرجه: مسلم في كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع برقم[١٨٥٢].

والعلم النصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور، ويعرفون المصالح وضدّها، ولهذا قال: ﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾ [النساء:٨٣]، أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة، وعلومهم الرشيدة»[1].

(١) ينظر: «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (١/ ١٩٠).

المبحث السابع

تحقيق الوسطية : السبل والثمار والآثار



لقد حظي الإنسان في ظل الإسلام بتكريم لا مثيل له، وتشريف لا نظير له، وذلك أن الإنسان مخلوق تجتمع فيه الروح والجسد، ولكل منهما طاقات ومتطلبات تؤخذ مجتمعة متوازنة، لم ولن يتم ذلك إلا في ظل الإسلام الحق؛ لذلك أخفقت كل المحاولات البشرية والنظم الأرضية في إسعاد الإنسان بعيدًا عن الشريعة الإسلامية، فكأنما يحرثون في الماء أو يقاتلون طواحين الهواء، والعاقل من تمسك بدينه بعيدًا عن الأهواء والأدواء.

المطلب الأول: سبل تحقيق الوسطية:

إن الإسلام جاء ليرفع عن الناس الآصَارَ والأغلال، وإن من مقاصد الشريعة الإسلامية التيسير ورفع الحرج، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨]، والشريعة الإسلامية جاءت تدعو إلى السماحة واليسر والتوسط في الأمور كلها، ولكن كيف نحقق الوسطية التي دعا إليها الدين الإسلامي؟

إن الدين الإسلامي هو دين الوسطية، والأمة الإسلامية هي الأمة الوسط، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة:١٤٣]، وقد جاءت الشريعة الإسلامية بمنهج قويم وسط، مَن سار عليه حقق الوسطية التي جاءت بها الشريعة الغراء، **هذا المنهج يعتمد على أمور أهمها:**

أولاً: الاعتصام بالكتاب والسنة:

الاعتصام: الاستمساك، والعصمة في كلام العرب: المنع والحفظ، واعتصم فلان بالله: إذا امتنع به، واستعصم أي: أبى، ومنه قول امرأة العزيز عن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ فاستعصم أي: تأبّى عليها ولم يجبها إلى ما طلبت، والعاصم: المانع والحامي، والاعتصام: الاستمساك بالشيء، تقول: اعتصم أي: تشدد واستمسك بالشيء[١].

والاعتصام بالكتاب والسنة: الامتثال والتمسك بهما؛ لقول الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران:١٠٣]، والمراد بالحبل الكتاب والسنة على سبيل الاستعارة، والجامع كونهما سببًا للمقصود وهو الثواب والنجاة من العذاب[٢].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران:١٠٣]: «قيل: بحبل الله أي: بعهد الله كما في الآية بعدها

---

(١) ينظر: «أساس البلاغة» (١/ ٦٥٧)، و«لسان العرب» (١٢/ ٤٠٣) مادة «عصم».

(٢) ينظر: «فتح الباري» للإمام ابن حجر (١٧/ ٥٢).

﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٢] أي بعهد وذمة، وقيل: يعني القرآن»[١].

وقد جاءت نصوص كثيرة دالة على وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة والعمل بما أنزل الله تعالى وبما جاء به رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء:٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الحشر:٧]، وقال سبحانه: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

ومن مشكاة النبوة قولُه ﷺ: «**إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**»[٢].

وإذا كانت الانحرافات ناتجة عن مخالفة الكتاب والسنة، فإن علاج هذه الانحرافات يكون بالعودة إلى الكتاب والسنة؛ فإنهما الفرقان بين الحق والباطل، وطريقُ النجاة وَسَط سُبُلِ الغي والضلال؛ لذا عني السلف -رحمهم الله- بالكتاب والسنة، وتمسكوا بهما، وتبعهم الأئمة والعلماء، فكان

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٨٩).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة»، باب ما أمر به من اتباع السنة وسنة الخلفاء الراشدين، برقم(٥٤)، والترمذي في «سننه»، باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، برقم(٢٦٧٨) وقال حديث حسن صحيح.

من الأصول المتفق عليها أنه لا يقبل من أحد قط قولًا يعارض صحيح المنقول؛ لأن خير الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ.

قال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكل مَن دعا إلى شيء من الدين بلا أصل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فقد دعا إلى بدعة وضلالة، والإنسان في نظره مع نفسه ومناظرته لغيره إذا اعتصم بالكتاب والسنة هداه الله إلى الصراط المستقيم؛ فإن الشريعة مثل سفينة نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق»[١].

ثانيًا: التمسك بمنهج السلف الصالح رحمهم الله:

والسلف الصالح يقصد بهم: الصحابة الكرام وأئمة الأمة العظام من أعلام القرون الثلاثة الأُوَل، والتي هي خير القرون؛ لحديث النبي ﷺ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»[٢]، فهم أهل السنة المتمسكون بعروتها، القائمون على حدود الله، يأخذون من كل شيء بقسط لا ميل فيه، أشد الناس اتباعًا للسنن، وأبعدهم عن الهوى والفتن، يبغضون أهل الأهواء، ويعملون بوحي السماء، أئمة الهدى ومصابيح الدجى، كانوا على الهدى المستقيم، كما قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «من كان مستنًّا فليستن بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا خير هذه الأمة، أبرها قلوبًا،

(١) ينظر: «درء تعارض العقل والنقل» (١/ ٢٣٤)، «مشكلة الغلو في الدين» (ص٨٤٨).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، برقم(٣٦٥١)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة، برقم(٢٥٣٣).

وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا. قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم؛ فهم كانوا على الهدى المستقيم»[(١)].

فالتزام مذهب السلف فيه تحقيق السلامة من الانحراف؛ ذلك أنه ما من مظهر من مظاهر الغلو إلا وقول السلف ظاهر في إنكاره ومخالفته؛ لذا اشتد قولهم في أهل البدع والأهواء والفرق المنحرفة؛ لأنهم انحرفوا عن صراط الله المستقيم ومنهجه القويم، إما إلى غلو أو إلى تقصير، لذا قال الإمام أحمد ابن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروتها، والمعروفين بها، المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا هذا، وأدركت من علماء الحجاز والشام وغيرهما عليها، فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب عليها فهو مخالف مبتدع وخارج عن الجماعة، زايل عن منهج السنة وسبيل الحق»[(٢)].

فالمسلم إما أن يتبع السلف الصالح فيتمسك بالسنة ويصل إلى مرضاة الله تعالى، أو يتبع هواه فيضل الطريق كما ضل أهل الأهواء والبدع فخرجوا عن جماعة المسلمين وصار أمرهم إلى فرق وأحزاب؛ لذا أطلق العلماء لفظ أهل السنة في مقابل أهل البدع، وحثوا على التمسك بها واتباع علمائها، وفي ذلك يقول الإمام الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ[(٣)]: «اصبر نفسك على السنة، وقف حيث

---

(١) ينظر: «شرح السنة» للإمام البغوي (١/ ٢١٤).

(٢) ينظر: «السنة» للإمام أحمد (ص٣٣).

(٣) هو: عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْمِد الأوزاعي، من قبيلة الأوزاع، إمام الديار الشامية في الفقه والزهد، وأحد الكتاب المترسلين، ولد في بعلبك عام (٨٨هـ)، ونشأ في البقاع، وسكن بيروت، =

وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح؛ فإنه يسعك ما وسعهم»[(١)].

«فإذا تأمل اللبيب الفاضل هذه الأمور تبين له أن مذهب السلف والأئمة في غاية الاستقامة والسداد والصحة والاطراد، وأنه مقتضى المعقول الصريح، والمنقول الصحيح، وأن من خالفه كان مع تناقض قوله المختلف الذي يُؤفك عنه من أُفك، خارجًا عن موجب العقل والسمع، مخالفًا للفطرة...»[(٢)].

ثالثًا: العناية بالعلم الشرعي، والرجوع إلى العلماء:

تعلم فليس المرء يولد عالمًا ** وليس أخو علم كمن هو جاهل[(٣)]

﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف:٦٦] قالها موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للخضر لما سأله رجل من بني إسرائيل هل تعلم أحدًا أعلم منك؟ قال موسى: لا. فأوحى الله عَزَّوَجَلَّ إلى موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: بلى عبدنا خضر. فسأل موسى السبيل إليه، فجعل الله له الحوت آية وقيل له: إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه. وكان يتبع أثر الحوت في البحر»[(٤)].

= وتوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بها عام (١٥٧هـ)، وله كتاب «السنن» في الفقه، و«المسائل».

ينظر: «الوفيات» (١/ ٢٧٥)، و«حلية الأولياء» (٦/ ١٣٥)، و«الشذرات» (١/ ٢٤١).

(١) ينظر: «شرح اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٥٤)، «الشريعة» للآجري (ص٥٨).

(٢) ينظر: «مجموع الفتاوى» (٥/ ٢١٢، ٢١٣).

(٣) ينظر: «ديوان الشافعي» (١/ ٨٨).

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب العلم، باب ما ذكر في ذهاب موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في البحر إلى الخضر، برقم(٧٤).

والشيء الوحيد الذي أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يَسْتزيد منه هو «العلم»، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤].

وفي المقابل لما أراد أن يذم الكافرين نفى عنهم العلم ونسبهم إلى الجهل، قال سبحانه: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف:٥]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ [الزمر:٦٤].

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الدنيا كلها ظُلْمة إلا مجالس العلماء، وموت العالم ثُلْمة في الإسلام، لا يسدها شيء ما طرد الليل والنهار»(١).

فالعلم شرف عظيم بل قد ذهب العلم بالشرف؛ لذا جعله النبي ﷺ موطن الحسد، فقال ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالًا فسلط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها**»(٢).

والحسد في الحديث هو الغبطة، وهو أن يرجو أن يكون له مثل ما لغيره من غير أن يتمنى زوال تلك النعمة عن أخيه، والمقصود بالعلم: العلم الشرعي، علم الكتاب والسنة الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عباداته ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته، وما يجب له من القيام بأمره، وتنزيهه عن النقائص»(٣)، فالعبد لو عرف علوم الدنيا من فيزياء وكيمياء

---

(١) ينظر: «جامع بيان العلم وفضله»، باب جامع في فضل العلم، (١/ ٢٣٦، ٥٩٥).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب العلم، برقم(٧٣)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب صلاة المسافر، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، برقم(٨١٦).

(٣) ينظر: «فتح الباري» (١/ ١٤١).

وهندسة وطب ولم يعرف ربه فكأنه لم يعرف شيئًا، «فالعلم الممدوح في القرآن والسنة هو العلم الذي ورثته الأنبياء»[1]. والوسطية تتحقق بالرجوع إلى العلم الشرعي الذي هو علم الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة؛ لأنهما يحملان منهج الوسطية في تعاليمهما، ودين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه.

رابعًا: السمع والطاعة لولاة الأمر:

طاعة ولاة الأمر تعني الانقياد لهم وتنفيذ أوامرهم، وأولو الأمر هم الأمراء والعلماء، وقد أمرنا الله تعالى بطاعتهم قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء:٥٩].

فطاعة أولي الأمر واجبة بعد طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ، وطاعة أولي الأمر مقيدة بطاعة الله تعالى، فإن أمروا بمعروف كانت الطاعة فريضة يثاب فاعلها ويعاقب تاركها، وإن أمروا بالمنكر فلا تجب طاعتهم؛ لأن النبي ﷺ قال: «**لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف**»[2]، وقال أيضًا: «**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»[3].

---

(١) ينظر: «مجموع الفتاوى» (١١/ ٣٩٦).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق برقم(٧٢٥٧)، مسلم في «صحيحه» كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية الله، برقم(١٨٤٠).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الأحكام، برقم(٧١٤٤)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب

فطاعة ولي الأمر واجبة على المسلم سواء أحب أو كره، وهذا ما قاله الصحابي الجليل عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث قال: دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا: أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا، وألَّا ننازع الأمر أهله قال: «**إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان**»[1].

فقوله: ألا ننازع الأمر أهله: دليل على منع الخروج على الحاكم الشرعي، وهو قول عامة أهل العلم، فطاعة ولي الأمر وترك منازعته هي سنة الرسول التي سَنَّها لنا وأمرنا باتباعها، وهي الفرق بين أهل السنة وأهل الأهواء والبدع، فأهل السنة يتبعون سنة النبي ﷺ، وأهل البدع يتبعون أهواءهم ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

خامسًا: لزوم الجماعة:

إن الجماعة والاجتماع من أعظم صفات المسلمين، وأوجب واجبات الإسلام، فهي أصل من أصول الدين، وهي حبل الله المتين؛ لذا تحقق بها الأسلاف الكرام في ذواتهم، ودعوا إليها في مجتمعاتهم، ونصوا عليها في مصنفاتهم ففي سنن الترمذي وغيره من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «خطبنا عمر بالجابية فقال: أيها الناس إني قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا فقال: «**أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يفشوا**

الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، برقم(١٨٣٩).

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الأحكام، برقم(٧١٩٩)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، برقم(١٧٠٩).

الكذب، حتى يحلف الرجل ولا يستحلف، ويشهد الشاهد ولا يستشهد، ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان، عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن»[(١)].

قال الإمام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ونرى الجماعة حقًّا وصوابًا، والفرقة زيغًا وعذابًا»[(٢)].

وقد اعتمد علماء السلف في القول بوجوب الجماعة على نصوص الكتاب والسنة الدالة على ذلك، ومن هذه النصوص قول الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران:١٠٣]، وقول النبي ﷺ: **«تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصتم به: كتاب الله»**[(٣)].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)]: «أمرهم بالجماعة ونهاهم عن الفرقة، وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهي عن التفرق والأمر بالاجتماع والائتلاف»[(٥)].

فالخير كل الخير في لزوم الجماعة، حيث لا تجتمع الأمة على ضلالة، بل تجتمع على هَدْي الكتاب والسنة، وهما أصل الوسطية ومصدرها.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن، باب لزوم الجماعة، برقم(٢١٦٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع»، برقم(٢٥٤٦).

(٢) ينظر: «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (ص٧٧٥).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ برقم(١٢١٨).

(٤) تقدمت ترجمته (ص٢٩).

(٥) ينظر: «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ١٠٢).

سادسًا: التحلي بمكارم الأخلاق:

حسن الخلق ومحاسن الشيم وفضائل الصفات من أعظم الغايات وأجل المقاصد التي جاء الإسلام من أجل تعزيزها وغرسها في نفوس أتباعه، ولا أدلّ على ذلك من أن الله تعالى رفع شأن حسن الخلق حين امتدح نبيه ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]، ونوَّه ﷺ بقدر الأخلاق ومكارمها حين قال ﷺ: «إنما بعثتُ لأتمم صالح الأخلاق»(١).

وقال ﷺ: **«ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة»**(٢).

وفي سنن الترمذي من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإنَّ أبغضكم مني مجلسًا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيقهون.** قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيقهون؟ قال: **المتكبرون**»(٣).

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه ** فكن طالبًا في الناس أعلى المراتب(٤)

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في «مسنده» (١٤/ ٥١٢) برقم (٨٩٥٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٦).

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» (٤ / ٣٦٣) رقم(٢٠٠٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (٨٧٦).

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة، باب معالي الأخلاق، برقم(٢٠١٨)، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (٧٩١).

(٤) ديوان علي بن أبي طالب (٢٠).

لقد عمق الـمُثُل الفاضلة والأخلاق الحميدة وحث عليها، وجعلها صِمَام أمن وأمان لصاحبها من الانحلال الأخلاقي، وحياة الفوضى والعبث، والسقوط في مهاوي الضلال، وجلب التعاسة والشقاء لنفسه وأهله.

سابعًا: الدعوة إلى الله:

الدعوة إلى الله هي قطب الدين الأعظم، والوظيفة العظمى للأنبياء والصالحين، كل ذلك لما اشتملت عليه من الفضل العظيم، والخير العميم، والمصالح الكثيرة في العاجلة والآجلة، ولما يترتب على تركها من استشراء الباطل، وانتشار الفساد، وغلبة المعاصي وهيمنتها، الجالبة لسخط الله، المنذرة بمقت الله وعاجل عقوبته على الأفراد والأمم، فللَّه كم هي فوائدها العظيمة، ومصالحها الجسيمة!

بالدعوة إلى الله تعالى تظهر إشراقات الدين ومحاسنه، وتبرز وسطيته في عباداته وشعائره، والدعوة إلى الله تعالى من أهم سبل تحقيق الوسطية، وذلك ببيان محاسن الدين ونشر فضائله وسماحته، والتواصي بالحق والصبر، والنصح بالتقوى والخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما فعل الرسل -عليهم السلام- مع أقوامهم.

وكذلك من خلال أسلوب الداعي وأخلاقه ومعاملته، فالداعي إلى الله تعالى يحتاج إلى لين الأقوال، وسحر البيان، وعذب الكلام، وأن يجعل موعظته مأخوذة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ففيه وعد ووعيد ومواعظ كثيرة ونبأ الأولين والآخرين، وهو بهذا يتأسى بإمام المرسلين وسيد الداعين

نبينا محمد ﷺ، فقد طُبع على رائق الكلام، وبَديع اللفظ والنِّظَام، بِنَثْرٍ مُحْكَم السَّبْكِ، بديع النَّسْجِ، تنهال المعاني على فؤاده انهيالًا، وتَنْثَالُ المُفردات على لسانه انثيالًا، دون تكلُّفٍ أو تعسف، فحديثه عَذْبٌ مصَفًّى، وشَهْدٌ مُوَفًّى، لا نَذْرٌ ولا هَذْر. كان ﷺ حُلْو المنطق عَذْب اللسان طَلْق الجنان، رائع البيان، كيف لا وهو القائل: «**إن من البيان لسحرًا**»[١].

فالكلام الحسن تطرب له الآذان، وتميل له الأنفس، وتهتز له الأبدان، فيسري في النفوس عذبًا رقراقًا، فيعمل في الأرواح عمل السحر، ولكنه السحر الحلال الذي يبلغ بصاحبه عظيم الآمال؛ لذا:

ينبغي لصاحب الكلام ** تأنق في البدء والختام

فالدعوة إلى الإسلام دعوة إلى الأصل، وإلى غريزة مركوزة في نفس كل إنسان، وفيها النجاة للداعي والمدعو؛ وذلك لحديث أم المؤمنين زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما قالت للنبي ﷺ: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم، إذا كثر الخبث**»[٢]، فلابد في الأمة من علماء يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويدعون إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، والنبي ﷺ كان خير داع إلى الله ومنفذٍ لأمر الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الخطبة، برقم(٥١٤٦).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم (٣٥٩٨)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب اقتراب الفتن وفتح ردْم يأجوج ومأجوج، برقم(٧٤١٦).

المطلب الثاني: ثمار تحقيق الوسطية وآثارها:

الآثار جمع أثر، والأثر: ما بقي من رسم الشيء، وخرج في أثره وعلى أثره أي: بعده وفي الحال، والأثر: النتيجة والحاصل من الشيء، أثَّر فيه أي: ترك فيه أثرًا، وآثره: اختاره وفضله، استأثر بالشيء: استبدَّ به وخصَّ به نفسه، الأثارة: البقية من العلم وهي الأَثَرة، والمأثرة والمأثور أي: المكرمة، ومآثر العرب: فضائلها ومكارمها[1].

وآثار تحقيق الوسطية لا تعد ولا تحصى، وكلها آثار طيبة ينعم بها الفرد والمجتمع، ويسعد بها الجميع في الدارين في الدنيا والآخرة، ولكننا نذكر أهمها فيما يلي:

أولًا: رضا الله تبارك وتعالى:

وهذا منتهى آمال الموحدين، وغاية مقصود العارفين أن يرضى عنهم رب العالمين.

فرضا الله تعالى هو منتهى آمال الموحدين، الذين امتلأت قلوبهم بالإيمان، بخلاف المنافقين فإنهم يرضون الناس في سخط الله، يقول الله تعالى: ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة:٦٢].

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة (١/ ٥٣ – ٥٤)، القاموس المحيط، ص(٣٤١) مادة(أثر).

إن رضا الله تبارك وتعالى من أعظم ثمار تحقيق الوسطية، بل هو أعظمها على الإطلاق؛ لأن الوسطية لا تتحقق إلا بتطبيق شرع الله تبارك وتعالى، وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه، والعمل بكتابه واتباع سنة رسوله ﷺ، والرجوع إلى أهل العلم في كل صغيرة وكبيرة، والتمسك بالجماعة وطاعة ولاة الأمر، والبعد عن التفرق وتجنب أسبابه من اتباع الهوى والتعصب والغلو، والتمسك بمنهج السلف الصالح من الصحابة الكرام، والتابعين لهم بإحسان من الأئمة والعلماء الربانيين في الاتباع والبعد عن الابتداع، والبعد عن الأفكار الضالة التي تعتمد على العقل دون دليل شرعي من الكتاب والسنة، والأخذ على أيدي المنحرفين، والأمر بالمعروف والعمل به، والنهي عن المنكر والبعد عنه.

هكذا تتحقق الوسطية في ظل تطبيق الشريعة الإسلامية، وسطية يرضاها الله تعالى ويرضى بها عنا، رضًا يدخلنا به جنته، ويحُلُّ علينا به رضوانه، ويجنبنا به غضبه وسخطه. آمين.

ثانيًا: تحقيق العبودية:

بالوسطية الحقة يعبد الله تبارك وتعالى العبودية الحقَّة التي لا يتخللها غلو ولا جفاء، ولا إفراط ولا تفريط، عندما تسود الوسطية في المجتمعات.

يجد الناس لذة العبادة في الصيام والقيام والركوع والسجود، كما يجدونها في زيارة المرضى وصلة الرحم والإحسان إلى الفقراء وخدمة المجتمع، وحسن الخلق، وقضاء حوائج الناس، وإتقان العمل ومراقبة الخالق، وإيتاء الحقوق، وبر الوالدين، وكفالة اليتيم، وذوي الاحتياجات.

ثالثًا: تحقيق الأمن والاستقرار للأمة:

تحقيق الأمن مقصد شرعي من مقاصد الشريعة الإسلامية، حيث جاءت الشريعة بحفظ النفس والمال والعرض والدين والعقل، وهذا الحفظ لا يتحقق بدون أمن واستقرار، كما أن تحقيق الأمن مطلب فطري، وحاجة إنسانية مُلِحَّة، لا تستقيم الحياة بدونها، وهو سبب رئيس في تقدم الأمم ورفعتها، وإن انعدم أو قل سيطر على النفوس الهلع والفزع والخوف، وساءت المصالح، وانحصرت الهمم بدفع الخوف وتأمين النفس والبحث عن استقرارها.

والإسلام دين الرحمة والأمن والأمان، حيث أولاه عناية خاصة وأهمية بالغة، وعدَّه مطلبًا شرعيًا وقاعدة أساسية لا يستغني عنها الفرد أو المجتمع.

وقد تمثل ذلك في كثير من الآيات والأحاديث، منها قول الله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗا ﴾ [النور:٥٥].

فالأمن والأمان ثمرة تحقيق الوسطية في المجتمع، والوسطية ثمرة الإيمان، وتطبيق شرع الله تعالى والتمسك بأوامره والبعد عن نواهيه.

رابعًا: تحقيق سيادة الأمة وريادتها:

إن من أهم ثمار تحقيق الوسطية عودة الأمة الإسلامية لمكانها القيادي، ودورها الريادي بين الأمم؛ لأن تحقيق الوسطية يعني تحقيق الأفضلية والخيرية.

ولقد كانت أمة الإسلام قائدة الأمم لما كانت الوسطية منهجًا عمليًّا في حياة أبنائها، فكانت لها الصدارة قرونًا عديدة، وأزمنة مديدة، وأقامت حضارة لم يعرف لها التاريخ مثيلًا، ولا تزال معالمها قائمة في كثير من البقاع من مختلف البلاد والأصقاع.

ولما تخلت عن الوسطية والاعتدال ساد الظلام أرجاءها، وعمَّ التخلف أنحاءها، اكتنف المسلمين سقوطٌ لا يزالون يعانون أثره من الاستضعاف والتخلف، والجنوح عن ركب الحضارة، والاضطلاع بالدور الأشم في قيادة هذا الركب.

ولن يعود للأمة تليد مجدها، ورائع عزها إلا بالعودة إلى الوسطية مبنى ومعنى، قولًا وعملًا، عبادة وخلقًا، فبالوسطية تتحقق للأمة الإسلامية السيادة والقيادة، والسؤدد والمجد الرفيع، قال عزَّوجلَّ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور:٥٥]، وقال جلَّ شأنه: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٥-١٠٦].

خامسًا: تحقيق السلام والأمن العالميين:

الأمن والسلام نعمتان من أكبر نعم الله على عباده، ومن محاسن هذه الشريعة الغراء أنها جاءت بحفظ الأمن وتحقيق السلام للأفراد

والمجتمعات، فالأمن مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالإيمان بهذه الشريعة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢].

إن كلمة الأمن تشترك في أصلها اللغوي مع كلمة الإيمان، فالأمن والإيمان والمؤمنون كلمات تدل على معنى الراحة والسكينة وتوفر السعادة والاستقرار.

وهذه المعاني هي نفسها أو قريبًا منها ما تحمله كلمة السلام.

كل هذه المعاني تتحقق بتفعيل الوسطية -مفهومًا ومنهجًا- فالوسطية هي تمام البعد عن الإرهاب والتطرف، والوسطية هي التمسك بأحكام الشريعة وتشريعاتها، وهي تحقيق الإيمان الذي يعني الأمن والسلام، والراحة والسكينة.

فأمَّة الإسلام أمَّة الوفاء، والصدق، أمة العهد والميثاق، أمَّة الأمن والأمانة، وهذه من أبرز صفات الوسطية في الإسلام، قال جل في علاه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة:١]، وقال تبارك اسمه: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَـٰقَ﴾ [الرعد:٢٠]، فمن عامل أمة الإسلام بصدق ووفاء لم يجد منها إلا البر والوفاء والإخاء.

سادسًا: انتشار الإسلام وظهور جمالياته وإشراقاته:

الإسلام دين الفطرة، ولا يحتاج غير المسلم كثير عناء لإقناعه بالإسلام، بل إن أخلاق المسلمين في كثير من الأحيان تكون خير دعوة للإسلام.

وفي التاريخ على هذا دلائل وشواهد، فالإسلام لم يدخل بلاد الهند إلا عن طريق حسن معاملة المسلمين لغيرهم في تجاراتهم، ولما رآه الهنود من صدق المسلمين وأمانتهم ووفائهم بالعهود، وما اشتملت عليه أخلاقهم من مكارم ومآثر.

فالتحلي بمكارم الأخلاق والتمسك بأحكام الشريعة الغراء، وتحقيق الوسطية قولًا وعملًا تكون أبلغ من كثير من الخطب الرنانة، والكلمات المؤثرة في الدعوة إلى دين الإسلام، وإبراز محاسن الدين، وإظهار عظيم شمائله، وبديع أحكامه، وروائع تشريعاته، وروائق إشراقاته التي طالما أسرت كل من يطالعها.

كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ [فصلت:٣٤].

إن إبراز الإسلام بصورته الوضَّاءة المشرقة من أعظم وأكبر أسباب قبول الناس له، ودخولهم فيه أفواجًا.

ومن أعظم الأسباب المعينة على ذلك إظهار ما تميز به ديننا العظيم من وسطية واعتدال في جميع جوانب الحياة الدينية والدنيوية، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾ [البقرة:١٤٣]، وقال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النحل:١٢٥].

فيكفي الناس دعوة وإقناعًا أن يقفوا على الصورة المشرقة الرقراقة لهذا الدين كما أراده الله تبارك وتعالى.



المبحث الثامن

معوقات تحقيق الوسطية وطرق علاجها



معوقات الوسطية هي الأشياء التي تحول وتمنع وجود الوسطية بين الناس اعتقادًا ومنهجًا وتطبيقًا، ويمكن أن نلخص هذه المعوقات في مطالب، أهمها:

المطلب الأول: الجهل:

الجهل نقيض العلم، وفلان جهول: ليس عنده من العلم شيء، والجاهلية: زمن ما قبل الإسلام[1]، والجهل: هو اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه، وهو على ثلاثة أضرب:

١- خلو النفس من العلم، ومنه قول الله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ [البقرة:٢٧٣].

٢- اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه، ومنه قول الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام:١١١].

٣- فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل، ومنه قول الله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ [يوسف:٨٩].

---

(١) ينظر: «مقاييس اللغة» (١/ ٤٣٥)، «لسان العرب» (١١/ ١٢٩) مادة (جهل).

ولقد ذم الله تعالى الجهل في القرآن، بل وجعله من صفات أهل الكفر، قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾[الزمر:٦٤].

ونسب كثيرًا من الصفات الذميمة إلى الجاهلية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [الفتح:٢٦]، وقوله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران:١٥٤].

فالجهل من أقبح الصفات، ولا يرضى إنسان أن ينسب إلى الجهل ولو كان جهولًا، فكفى بالجهل عارًا أن يفر منه من هو أهله، فهو مصيبة من أعظم المصائب، وبلية ليس مثلها بلية، وعلة أعيت من يداويها، ورغم ذلك فالعلاج موجود وهو العلم الشرعي من أحكام الكتاب والسنة.

والطبيب موجود وناصح، وهو العالم الرباني العارف بالداء والدواء.

والجهل داء قاتل وشفاؤه ** أمران في التركيب متفقان

علم من القرآن أو من سنة ** وطبيب ذاك العالم الرباني (١)

أولًا: أسبابه:

تعددت أسباب الجهل وتنوعت، وفيما يلي أهم هذه الأسباب:

١- **الانصراف عن العلم النافع**: لأن الصواب لا يكون إلا بالعلم، فإن ذهب العلم ذهب الصواب وانتشر الخطأ والجهل؛ لذا قال رسول الله ﷺ:

---

(١) ينظر: «نونية ابن القيم» (١/ ٢٦٥).

«**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»[1]، وقال أيضًا: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»[2]، فالعلم هو الدواء الناجع لمرض الجهل، ولأنه ينير طريق العبد وهو سائر إلى ربه، والانصراف عن العلم انصراف عن تقوى الله وعن سبيله الذي أمرنا باتباعه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣]، وذهاب إلى حبائل الشيطان ومعاطنه؛ لأن العلم حصن من وساوس الشيطان، فمن ترك الحصن وقع في الأسر.

٢- **اتباع الهوى**: فالإنسان إذا لم يكن متبعًا للشرع اتبع هواه، قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ [القصص:٥٠] ومن أضل ممن اتبع هواه، إن اتباع الهوى ضلال مبين، وهو أساس كل انحراف عن شرع الله وابتداع في أمور الدين؛ لذا سُمِّي أهلُ البدع أهلَ الأهواء؛ لأنهم اتبعوا أهواءهم ولم يأخذوا الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، ولقد نهى الله تبارك وتعالى عن اتباع الهوى، بل إنه نهى الأنبياء والرسل عن اتباع الهوى، قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [ص:٢٦]، وقال للنبي محمد ﷺ: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [الكهف:٢٨]، والهوى من أخطر أسباب الجهل؛

---

(١) أخرجه ابن ماجه في «سننه» برقم (٢٢٤).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل، برقم(٧١)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، برقم(١٠٣٧).

لأنه يزين الأمور فتنزل في النفس منزلة الحقائق والمسلَّمات، ويظن صاحبها أنها الحق وأنه على هدى من الله، وهذا شأن المبتدع؛ فإنه يتبع هواه ويحسب أنه يُحسن صنعًا.

ثانيًا: طرق علاجه:

ومعالجة الجهل، أي: إزالته ومداواته وكشفه، وذلك بوسائل وطرق متعددة، **أهمها:**

١- الاعتصام بالكتاب والسنة:

أنزل الله - تبارك وتعالى - الوحي مِن كتابٍ وسنةٍ لهداية البشر، وجاءت نصوص الوحي تدعونا إلى الاعتصام بالكتاب والسنة، متمثلة في طاعة الله تعالى وطاعة نبيه ﷺ، منها: قول الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [المائدة:٩٢]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩].

وقال النبي ﷺ: «**تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصتم به: كتاب الله**»(١).

إن الاعتصام بالكتاب والسنة يحقق للأمة النجاة من كل شر وانحراف؛ إذ الشرور منبعها الإعراض عن دين الله وشرعه، والسلامة تتحقق بلزوم دين الله ﷻ وشرعه.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ برقم(١٢١٨).

٢- التمسك بفهم السلف الصالح:

لقد مَنَّ الله على هذه الأمة فبعث فيها رسولًا يتلو عليهم آياته ويُعلِّمهم الكتاب والحكمة، فبلَّغ الرسالة وأدى الأمانة وأقام الحجة على العالمين، وعلى نهجه سار الصحابة الكرام، والتابعون لهم بإحسان، وقال ﷺ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»[١]، فأفضل الأمة من عاش في هذه القرون الثلاثة، وهم السلف الصالح الذين علموا وعملوا وتمسكوا بسنة النبي ﷺ، ولقرب عهدهم من النبي ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، فالصحابة هم خير الناس بعد الأنبياء.

لذا كان لزامًا على مبتغي الحق الصادق في ابتغائه اتباعُ سلف هذه الأمة، فكل خير في اتباع من سلف، وكل شر في ابتداع من خلف، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

٣- التمسك بالعلم الشرعي:

رحم الله الإمام الشافعي حيث قال:

كُلُّ العُلومِ سِوى القرآنِ مَشْغَلَةٌ ** إلا الحديثَ وعِلمَ الفِقْهِ في الدِّين

العِلْمُ ما كان فيه قال حدثنا ** وما سِوَى ذاك وَسْوَاسُ الشَّيَاطِين[٢]

فالعلم الشرعي هو العلم النافع في الدنيا والآخرة؛ لذا جعله النبي ﷺ فريضة على كل مسلم حيث قال: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»[٣].

---

(١) تقدم تخريجه (ص٧٥).

(٢) ينظر: «ديوان الإمام الشافعي» (ص٨٨).

(٣) تقدم تخريجه (ص١٩١).

والعلم هو الدواء الشافي لمرض الجهل العضال، وهو المشكاة التي تنير ظلمات الجهل، وهو الفجر الصادق لليل الجهل الطويل.

العلم ينهض بالخسيس إلى العلا ** والجهل يقعد بالفتى المنسوبِ[١]

لذا قالوا: العلم يزيد الشريف شرفًا، ويرفع المملوك حتى يجلس مجالس الملوك، وعالم واحد أشد على إبليس من ألف عابد؛ لأن العالم يعلم كيف يعبد ربه على هدى من الله وعلى بصيرة، وعماد هذا الدين الفقه، وقد قال النبي ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»[٢].

وقال بعض العلماء: «اغدُ عالـمًا أو متعلمًا، ولا تغدُ إمعة بين ذلك، قيل: ما الإمعة؟ قال: أهل الرأي»[٣].

المطلب الثاني: التعصب:

التعصب من العصبية، وهي أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته وقرابته، وتعني: المحاماة والمدافعة، وتعصبوا عليهم: إذا تجمعوا ضدهم، والعصبي الذي يغضب لعصبته ويحامي عنهم[٤].

---

(١) ينظر: ديوان دعبل بن علي، ص(١٣).

(٢) تقدم تخريجه (ص١٩١).

(٣) ينظر: «جامع بيان العلم وفضله» (ص١٤٣).

(٤) ينظر: «أساس البلاغة» (١/ ٦٥٥)، «مقاييس اللغة» (٤/ ٢٧١ - ٢٧٢)، «لسان العرب» (١/ ٦٠٢) مادة (عصب).

والتعصب والغلو من أكبر المعوقات في طريق الوسطية والاعتدال، وكان من أسباب هلاك الأمم السابقة الغلو في الدين؛ لذا حذرنا منه رسول الله ﷺ فقال: «**إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**»[1]، وقال أيضًا: «**هلك المتنطعون**»[2].

لقد جاء الإسلام آمرًا بالاعتدال والاقتصاد والوسطية في كل أمر، سواء كان من أمور الدين أم الدنيا، فالوسطية من أهم خصائص هذه الأمة التي جعلها الله أُمَّة وسطًا، لكن الأمر لا يسير على نظام واحد، حيث انتشرت ظاهرة التعصب والغلو، وفيما يلي بيان أهم الأسباب وطرق العلاج.

أولًا: أسبابه:

أسباب التعصب كثيرة، ظاهرة وباطنة، نذكر أهمها في العناصر التالية:

١- **الجهل وقلة العلم**: ينشأ التعصب أول ما ينشأ عن الجهل؛ لأن العلم نور والجهل ظلمات كظلمات القبور، وكما قيل: «الإنسان عدو ما يجهل»، والعداوة تقتضي الملاحاة والمخاصمة والمجادلة، فالمتعصب يجادل عن جهل، والمجادلون بغير علم على شفا جرف هار، حتى وإن كانوا يَرُدُّون على المبتدعة ويدافعون عن دين الله؛ لأنهم يجادلون بغير هدى من الله، قال الله

(١) أخرجه ابن ماجه في «سننه» كتاب المناسك (٤/ ٢٢٨)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٣٤٧) من حديث ابن عباس، وابن أبي شيبة في «المصنف» برقم(١٤٠٩٧) وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم(١٢٨٣).

(٢) تقدم تخريجه (ص٦٣).

تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ﴾ [الحج:٣]، وقال سبحانه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴾ [الحج:٨].

فهؤلاء إنما يتبعون أهواءهم؛ لأنهم يتكلمون بغير علم، فلا عقل صحيح ولا نقل صريح، بل مجرد رأي وهوى، وهذا حال أهل البدع والضلال، وإن حسنت نياتهم وزعموا أنهم أرادوا الخير، فكم من مريد للخير لا يبلغه؟!

لذلك حذر العلماء من جدال أهل الجهل والرأي الذين لا يعلمون دليلًا ولا يعتمدون في أقوالهم على كتاب الله تعالى أو سنة النبي ﷺ، قال لقمان لابنه: «لا تجادل السفهاء فيجهلوا عليك ويشتموك»(١).

٢- **تقاعس بعض أهل العلم عن دورهم:** إن للعلماء منزلة عظيمة في الشريعة الإسلامية، ودورًا فاعلًا في المجتمع المسلم، ذلك أنهم ورثة الأنبياء، يُبَلغون شرع الله تعالى للناس، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويُقَوِّمُون المعوج، ويرشدون الضال، فهم نجوم يهتدي بها الناس في طريقهم إلى الله.

إن تقاعس العلماء عن أداء مهمتهم، وغياب دورهم عن المجتمع لهو نذير شؤم وبداية هلاك؛ لأن الناس لابد لهم من قائد يقودهم، وأهل العلم هم أعلم الناس بالطريق، فهم يعرفون طريق الله تعالى ويعرفون سبل الشيطان؛ لذا فغيابهم يجعل الناس يعيشون في تخبط، فيتخذون رؤوسًا جهالًا فيضلونهم.

---

(١) ينظر: «جامع بيان العلم وفضله» (ص١٠٧).

والله - تبارك وتعالى - جعل للعلماء منزلة ليست لغيرهم من الناس؛ ولذلك أمرهم بالبيان وحذرهم من الكتمان، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران:١٨٧].

فهذا ميثاق أخذه الله على أهل العلم أن يبينوا للناس ما يحتاجون إليه، خاصة إن وقع ما يوجب ذلك، فوجب على أهل العلم أن يوضحوا الحق من الباطل، ويرشدوا الناس إلى الطريق المستقيم، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنًا قليلا.

٣- **ظهور الفرق والأحزاب**: إن من أهم مقاصد الشريعة الإسلامية جمع كلمة أهل الإيمان على الحق وتأليف قلوبهم؛ ولذلك ورد الأمر بلزوم الجماعة والتحذير من الفرقة في كثير من الآيات والأحاديث، منها قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٠٥]، وقول النبي ﷺ: «**عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة؛ فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، ومن أراد بحبوحَةَ الجنة فعليه بالجماعة**»(١)، وقال أيضًا ﷺ: «**من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة الجاهلية**»(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» كتاب الفتن، برقم(٢١٦٥) وقال: حديث حسن صحيح غريب، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١١٤) وقال: صحيح على شرط الشيخين، وصححه الألباني في «ظلال الجنة»، برقم(٨٦).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم من «السنة» برقم(٩٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم(٩٨٣).

فهذه أوامر من الله تعالى ونبيه ﷺ لأهل الإيمان بلزوم الجماعة، ولزوم صراط الله المستقيم، والنهي عن الاختلاف والفرقة واتباع سبل أهل البدع والأهواء والشبهات؛ لأنها كلها سبل الشيطان، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣]، والله تبارك وتعالى قد برأ نبيه ﷺ من الذين تفرقوا وكانوا شيعًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام:١٥٩]، «فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق، فمن اختلف فيه ﴿وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ أي: فرقًا كأهل الملل والنحل والأهواء والضلالات، فإن الله تعالى قد برأ رسوله ﷺ مما هم فيه»(١).

واتباع الفرق والأحزاب هو من أخطر أسباب التعصب والضلال: فاتباع فرقة من الفرق أو جماعة من الجماعات، واعتبارها جماعة الحق دون ما عداها، أو اعتبارها جماعة المسلمين التي يجب اتباعها وعدم مفارقتها - هو التعصب والغلو الذي يؤدي بأفراد الجماعة إلى الدفاع عن أفكارهم ومنهجهم ومعتقداتهم، ومهاجمة كل من يعاديهم ومحاولة النيل منهم، وكل ذلك مخالف لشرع الله تبارك وتعالى، يقول الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الانتساب إلى جنس معين من أجناس بعض شرائع الدين كالتجند للمجاهدين، والفقه للعلماء، والفقر والتصوف للعباد، أو الانتساب إلى

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١٣٥)، «مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر» (ص٦٦٦).

بعض فرق هذه الطوائف كإمام معين، أو شيخ، أو ملك، أو متكلم من رؤوس المتكلمين، أو مقالة، أو فعل تتميز به طائفة، أو شعار هذه الفرقة من اللباس من عمائم أو غيرها... كل ذلك من أمور الجاهلية المفرقة بين الأمة، وأهلها خارجون عن السنة والجماعة، داخلون في البدع والفرقة»[١].

ثانيًا: طرق علاجه:

لقد اعتمد العلماء وسائل كثيرة لمعالجة هذه الظاهرة العوجاء، وكان من أهم هذه الوسائل التي ذكرها أهل العلم: الدروس، والمحاضرات، والخطب، والمقالات، والندوات الإعلامية، والمؤتمرات العلمية.

يعتمدون في هذه الوسائل على ثلاثة محاور رئيسة، هي:

الأول: تأصيل المنهج الحق، وبيان منهج السلف الصالح.

الثاني: التحذير من خطورة التعصب والانحراف الفكري واتباع أهل الأهواء.

الثالث: معالجة ما وقع من غلو، بتأصيل الموقف الشرعي من خلال الفتوى بالدليل الشرعي من الكتاب والسنة.

وكلام العلماء يختلف في سبل تحقيق هذه المعالجة، حيث يضع كل عالم جملة من الحلول التي يرى أنها مناسبة وناجعة، وممن كتب في معالجة الغلو، ووضع جملة من الحلول: الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر السابق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث وضع جملة من المقترحات لعلاج المشكلة، **من أهمها:**

---

(١) ينظر: «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٤٣).

١- زيادة العناية باللغة العربية والدين الإسلامي في المناهج الدراسية، بدرجة تفي بالتنشئة الصحيحة للصغار والشباب.

٢- مداومة النظر في المناهج الدراسية حتى تكون مناسبة، وتدعيم المؤسسات التعليمية، تمكينًا لها من أداء رسالتها.

٣- مواجهة المشكلات الاقتصادية، وما يتبعها من أزمات تضر بآمال الشباب.

٤- الوضوح السياسي، حتى ينشأ الشباب على بينة من أمر بلاده داخليًا وخارجيًا، وبما لا يضر بمصالح وأمن البلاد، وحتى لا يقع تحت مؤثرات خارجية وأخبار غير صحيحة.

٥- مواجهة التيارات الخارجية التي تبث العنف وتعمل على إثارة القلاقل، بكشف مصادرها ومقاصدها.

٦- توفير الرعاية الأسرية ودعمها في تربية الأولاد.

٧- مواجهة التطرف الفكري بالفكر المثمر والحوار البناء الهادف إلى الإيضاح والإفصاح[1].

ومن طرق علاج هذه المشكلة أيضًا:

١- بيان براءة الإسلام مما ينسب إليه من الغلو والتطرف، وأن أي أعمال تطرف وخراب تحدث في المجتمع ليست من الإسلام في شيء،

---

(١) ينظر: «التطرف الديني وأبعاده أمنيًا وسياسيًا واجتماعيًا» (ص٢٠)، «مشكلة الغلو في الدين» (ص١٠٤٠).

وبذلك يتنبه أصحاب هذه الأفكار المتطرفة لحقيقة الدين الإسلامي ودعوته للزوم الجماعة.

٢- نشر فقه الاختلاف بين الناس، حتى إن اختلفوا لا يؤدي بهم هذا الاختلاف إلى التعصب والتطرف.

٣- نشر منهج السلف الصالح ودعوة الناس إلى التمسك به، وترك ما خالفه من مذاهب أهل الأهواء التي تُعمل العقل بعيدًا عن الشرع.

٤- سَن قوانين رادعة للخارجين على ولاة الأمر، والذين يدعون لنصرة فرقة أو حزب أو جماعة ضد الفرق والأحزاب الأخرى، وتغليظ العقاب لمن يشق عصا الطاعة.

٥- استثمار البث الإعلامي في علاج التعصب والتطرف، من خلال بث الأفكار المثمرة والبناءة ومحاربة الأفكار المنحرفة، والعمل على جمع المسلمين على كلمة سواء في برامجه الحوارية، وبث الندوات والمؤتمرات العلمية التي تعالج المشكلة دون تهويل أو تضخيم.

المطلب الثالث: الغلو:

الغلو: من التجاوز لقدر ما يجب، وقيل: تجاوز الحد، يقال ذلك إذا كان في السعر غلاء، وإذا كان في القدر والمنزلة غُلُوٌّ، وفي السهم: غَلْوٌ، وأفعالها جميعًا: غَلاَ يَغْلُو، قال تعالى: ﴿لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ [المائدة:٧٧][1].

---

(١) ينظر: لسان العرب مادة غلا، ومفردات القرآن للراغب الأصفهاني (ص٦١٣).

والمراد به ها هنا الغلو في الدين كما في الآية الآنفة الذكر، والغلو في الدين من الضلال، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة:٧٧].

وللغلو أسباب، وعوامل تكون سببًا في وجوده وظهوره.

أولًا: أسبابه:

من يحاول تقصّي ودراسة الأسباب والعوامل الكامنة خلف هذه الظاهرة، يجد أن أبرزها:

١- **الجهل بالإسلام**: إن من الأسباب الأساسية لأي غلو وانحراف فكري لدى المسلمين هو الجهل بِكُلِّيّات الإسلام وعموماته في العقيدة والاقتصاد والسياسة والاجتماع والأخلاق وقضايا الثقافة والحضارة المختلفة، التي تشكل محك الحاجة الفكرية والعملية، وتُعالج المشاكل والقضايا الحضارية المستجدة في عالم المسلمين وغير المسلمين. ونتج عن ذلك الجهل؛ التقهقر الذي أصيب به المسلمون، والحالة المتردية التي وصلتها أكثر مجتمعاتهم.

٢- **الميل إلى التشتت**: يظن بعض من لا علم له ولا فقه لديه، أن الميل إلى التشدد والتزمت دليل التدين والتقوى والصلاح، كذلك تجد أن فطرهم السوية انتكست فأصبح لا يستسيغ إلا لفظ حرام، محظور، لا يجوز، كفر، شرك، نفاق، ظنا منهم أنه كلما ازداد المرء تشددًا في دينه ازداد تقوى وقربًا من الله، وهذا من الجهل بحقيقة الدين.

٣- **البعد عن علماء الشريعة**: الراسخين في علم الكتاب والسنة، الذين عرفوا بالنصح للأمة حكامًا ومحكومين.

٤- **التلقي عن أهل البدع والأهواء والانحرافات الفكرية**: وهذه نتيجة منتظرة للجهل بالعقيدة والبعد عن مَعِينِها السَّلْسَال.

٥- **الجهل بحقيقة عقيدة أهل السنة والجماعة**: وذلك أن عقيدة أهل السنة هي الحارس بإذن الله من كل انحراف؛ لأنها هي الصراط المستقيم والمنهج القويم، وأساس هذه العقيدة تحقيق التوحيد، ومن حقق التوحيد فأسلم حقًا؛ سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده، ومن آمن حقًا؛ أمنه الناس على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم.

٦- **وسائل الإعلام**: حيث أصبحت من أكثر الوسائل فتكًا وتأثيرًا في حياة الإنسان وأفكارهم وقنَاعَاتِهم. ولقد استخدمت وسائل الدعاية والإعلام وأمثالها، لتزييف الثقافة والفكر، وتضليل كثيرٍ من البرآء، وحرف مسار الفكر الإسلامي والأخلاق الفاضلة عن طريق الفنون والآداب المنحلة والثقافة المنحرفة...الخ.

وقد بَذَلَتْ وسائل الإعلام جهودًا مضنية مكَّنتها من إحداث حالة من الضياع الفكري والانحسار الثقافي، وغرس روح التبعية والتسول المعرفي لدى الجيل المسلم المعاصر. وكم نشاهد من الصحف والمجلات والكتب والإذاعات المرتبطة بعجلة الغزو الفكري والثقافي، والمعبرة عن هذا التيار المعادي للدعوة الإسلامية.

فنتج عن ذلك ردة فعل متطرفة غالية، في مواجهة الانحلال والتفسح، غير تلك القنوات الإسلامية التي تحمل هي نفسها اتجاه الغلو والتطرف، فصار لها أكبر الأثر على مشاهديها خاصة لَمَّا ألبست لبوس الشرع، وزينت بالأدلة من الكتاب والسنة.

ثانيًا: طرق علاجه:

ويمكن إجمال طرق العلاج في عناصر كما يلي:

١- النَّهل من العلم الشرعي والرجوع إلى العلماء:

ويكون ذلك بطلب العلم الشرعي، والحرص على تلقِّيه، مع الصدق والإخلاص في هذا التلقي. دون استعجال الثمرة، أو استبطاء النتيجة؛ لأن التأصيل العلمي قاربُ النَّجاة دون الأفكار المضلِّلَة والمشارب الهدَّامة، وبه يترسَّخ الوعي الشرعي الصحيح لكثير من القضايا المهمة. ولا يتمُّ ذلك على الوجه الصحيح المأمون إلاّ بِمُلازمة العلماء المأمونين، والرّجوع إليهم، فهم ورثة الأنبياء، ومصابيح الهدى، وكواكب الدجى، وهم الجهة الموثوقة في الفتوى والنوازل والمهمات، وليس أنصاف المتعلمين، ولا أشبارهم، أو شُدَاتهم، يقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨]، ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١]، ويقول ﷺ: «**ليس منا من لم يُجِلّ كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه**»[١].

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم [٢٢٨٠٧].

٢- نهوض العلماء بالبيان وتوجيه الشباب:

ولهذا العلاج المنزلة العظمى في دفع عاصفة الغلو والتطرف، إذ مارْتَكَسَ الْمُتطرِّفون في ذلك المَصْرع، إلا من قِبَل أدعياء العلم، وأشْبَار المتعلِّمين، ودُعاة الفتنة! فعلى العلماء الرّاسخين الأثْبَات، مُضاعفة جهودهم في التخصصات العلمية والمعرفية، والدعوية كافة، ومحاصرة الشباب في حصون الدروس النافعة، وقضاياهم الملحّة، وهمومهم الفكرية، والنفسية، والمستقبلية؛ كي يتلقَّى الجيل المنهج الشرعي الوسطي المعتدل. وكي يَشْعر الشباب أن العالِم هو حِسُّهم الصَّادق وقَلبُهم النَّابض، ولسَانُهم النّاطق، ووجدَانهم الشّفيف الوَادِق.

٣- التزام الرِّفق والوسط، ومُجَافاة الغُلُوِّ والشَّطط:

ويُسلك في ذلك طريق المناصحة والمناقشات العلمية الهادئة، المحفوفة بالشفقة والرحمة بالمخالف، المريد للحق؛ لأن الإسلام حَرَّم العنف والقسوة، سواء في القول أو الفعل، مقابلًا ذلك بالرحمة واللين، والسماحة واليسر، وذلك في قوله سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]، وفي قوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ [النساء:٢٨]، ويقول سبحانه في القول الهيِّن اللين: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه:٤٤]، وحسبنا قول الحق سبحانه: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩]، وذلك هو الأدب الإسلامي الرَّفيع، في كلّ الشؤون والمجالات، ومن مشكاة النبوة قوله ﷺ البديع الرائع، الذي هو بحقٍّ منهاج حياة، وحياة الحياة، في

الحث على الرفق وتبشيع العنف، يقول ﷺ: «**إن الله رفيق يحب الرِّفق ويعطي على الرِّفق ما لا يعطي على العُنف**»[1]، ويقول ﷺ مرشدًا للمنهج الأسري الرفيق الراحم: «**إذا أراد الله بأهل بيت خيرًا، أدخل عليهم الرفق**»[2]، وشتان شتان بين هذه اللوحة النبوية التي تزيّنت بالرِّفق والأناة والتؤدة واللطف، وبين مشهد القسوة والغلظة والعنف.

٤- انضباط الفتوى وحصرها في الأكفاء:

ومن الحلول الأكيدة الناجعة، التي تستوجب العناية من عامة الأقطار الإسلامية، والجهات الشرعية، والقنوات الفضائية: توقير شعيرة الفتوى، وتعظيم منصب الإفتاء، وعدم التجاسر عليه من قِبل الأدعياء وأنصاف المتعلمين، أو الإعلاميين والصحفيين، الذين يؤجِّجون بفتواهم ألسنة الإرهاب، ويسقون بذور الفكر المتطرف، وأن لا يُمَكَّنُوا من الفتوى إلا الأكفاء المؤهَّلين، وبذلك يتوارى عن العالم الإسلامي الإفتاء المُنْبَتُّ الإرهابي، المتهافت الحماسي، الذي يهتبله الشباب الأغرار، قصد التكفير والدّمار.

وإنَّ آلَقَ مِثالٍ يُحتذى في الفتوى المنضبطة المؤصَّلة، المنحصرة في الأكفاء الثقات، ما تَنْعم به بلاد الحرمين الشريفين -حرسها الله- في ذلك، مما بوَّأها قمة الثقة والنفع لدى المستفتين في العالم أجمع -بفضل الله ومنَّتِه- ولا يُقلل من دور الجهات الموثوقة للفتوى في عالمنا الإسلامي قاطبةً.

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب (فضل الرفق) برقم [٢٥٩٣].

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» برقم [٢٤٤٧١].

وخير شاهدٍ يُساق على الأثر العظيم للفتوى الصادرة من العالم المكين، فتوى الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الذي نال صنوف العذاب، في سبيل الحَيْدَةِ عن فتياه واعتقاده، ولكنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أبى إلا الثبات والاحتساب، على أن يُرْكِسَ الأمة بفتوى ضالة مضلة، وعلى أن ينتهِك حرمة شعيرة الإفتاء، وصَدَح بقولَتِه الشهيرة: «أَقْتُلُ نَفْسِي ولا أُضِلُّ هؤلاء كُلُّهم»[1]، فلله دره من عالمٍ إمام، وورعٍ هُمَام!!! ليت كثيرًا من أهل الفتوى يقتدون به في الفهم الصحيح، والمقصد الرَّبِيح، الذي يحصِّن الأمة وشبابها، من زلازل الفتن وعواصف التيَّارات والمحن.

٥- الاهتمام بمقاصد الشريعة:

ومما لا يخفى على رادة الإصلاح، أن العناية بمقاصد الشريعة وقواعدها العامة وكلياتها: علمًا واحتجاجًا وعملًا وانتهاجا، وتعرُّفًا لِحِكَمها وأسرارها ومراميها وآثارها، في علاج القضايا والملمَّات، والنوازل والأزمات، أمرٌ مهم في علاج المفاهيم المنحرفة، والآراء الفجة الشاذة، التي لم تراعِ حِكم الحق -سبحانه- في أحكام المكلفين: من الرحمة واليُسْر، وحُرْمةِ الدماء والأنفس المعصومة. ولا يضطلع بهذا الركاز الأثمن في قولٍ فصل، ينبني على فرعٍ وأصل، إلاَّ قادة الأمة وعلماؤها، وأهل الحل والعقد فيها، ومثقفوها ومفكروها، وحملة الأقلام ورجال الإعلام والإصلاح.

---

(١) ينظر: «مناقب أحمد» لابن الجوزي (ص٣٢٩-٣٣٠).

وذلك بسلوك منهج أهل العلم في معرفة تحقيق المناط، وحسن معرفة المصالح والمفاسد بميزان الشريعة، وإيقاع الأحكام العامة على الفروع والجزئيات. ولم يُؤت الغُلاة والجُفاة، في أحكامهم التكفيرية والتعسُّفِيّة، إلا من قبل فهمهم الضيق المحدود، بل وإهدارهم للمقاصد العظيمة لهذا الدين، قال الإمام العز بن عبدالسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولو تتبعنا مقاصد ما في الكتاب والسنة، لعلمنا أن الله أمر بكل خير دِقّه وجِلّه، وزجر عن كل شر دِقّه وجِلّه»[1]، ويقول الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: استقرينا من الشريعة أنها وُضعت لمصالح العباد»[2]، لذلك وجب الاهتمام بهذا الجانب المقاصدي الاهتمام الأكبر؛ دفعًا للأضرار، ودَرْءًا لوبيل الأخطار.

٦- العناية بفهم العلم على منهج سلف الأمة:

لما كان العلم هو نور الأبصار والبصائر، والقائد إلى أعلى الدرجات والمراتب، وبه تنال أغلى المناقب، كان من لازمه ومقتضاه، فهمه على منهج السلف الرشيد، ومهيعهم الأسلم السديد؛ لأنهم أصحاب المصطفى ﷺ أَبَرَّ الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلّها تكلُّفا، وأصْدقها إيمانا، وأحسنها فهمًا وبيانا، ومن بعدهم من القرون المفضلة -رضوان الله عليهم.

---

(١) ينظر: «قواعد الأحكام» (ص٦٤١).

(٢) ينظر: «الموافقات» (٢/ ٦).

ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته**»(١).

فهم خير الناس بشهادة النبي ﷺ، وشهد الله لهم بالخيرية، فقال عز من قائل: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح:٢٩]، وقال في التابعين لمن بعدهم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠]، فيستحيل من كان هذا نعتهم، وكانت هذه صفاتهم وفضائلهم أن يأتي من هو أفضل منهم في الجملة، لذلك كان لزامًا على الأمة أن تسلك سبيلهم وتستنير بفهومهم لصفاء مقاصدهم.

هذا الفهم القويم الذي يجمع بين النصيحة الصادقة وعدم فتح باب الفتنة ودفع الشر قبل وقوعه، مع الاشتغال بالدعوة والإصلاح هو سبب النجاة من البدع والأهواء، والفِتن والشّحناء؛ لأنه يمثل الإسلام الصحيح

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد برقم (٢٥٠٩)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم برقم (٢٥٣٣).

الصافي من اللَّوثات والمحدثات، ولأن المتمسك به يصدر عن رؤية شرعية ثاقبة، نيِّرة واضحة، وكم نحن بحاجة ماسة لهذا الفهم المشرق البديع، في كيفية التعامل مع المُسْتجدَّات، واتخاذ السُّبل الواقيات، في ضوء النصوص، ودلالتها، وعمومِها، وخصوصِها، وناسِخِها ومَنْسُوخِها.

وكم من عائبٍ قولًا صحيحا ** وآفته من الفهم السَّقيم[(١)]

وما من أحدٍ حادَ عن هذا المسلك الموفَّق إلا باء بالغلوِّ أوالتقصير. وتلك الآثار الشعناء لأهل الغلو والتطرف الذين أقصوا الفهم الصحيح لعلم السلف، حتى غدَوا نُهْبة للزعوم الطائشة والفهوم الزائفة، تؤكد ذلك، وتسْتوجبه.

المطلب الرابع: التكفير:

التكفير أحَدُ أنواع الغلو وأحد أفراده، بل هو قطب رحاه الذي ترجع إليه وتفيء منه باقي الأنواع، ومن وصل إلى حد التكفير بغلوه هانت عليه بعد ذلك الدماء والأعراض والأشلاء؛ لأنها النتيجة الحتمية عند من اتبع هواه بغير هدى من الله، وإنما أفرد بالذكر لخطورته، وزيادة في التحذير منه ومن غوائله، ومع أن جميع أسباب الغلو هي عينها أسباب ظهور التكفير وانتشاره إلا أنَّه يستحسن التنبيه عن كيفية نشأةِ التكفير.

---

(١) ينظر: «شرح نونية ابن القيم» (٢/ ٦٢).

أولًا: أسبابه:

إنَّ فتنة التكفير الذي أَهَمَّ العالم، وشغل الساسة، ونبه القادة، وحرك أهل الإسلام، وأصحاب الفكر والأقلام، لم يكن في مَعْزِلٍ عن الأسباب والرّوافد التي تُشغِله وتُنمِّيه، وإنَّ من حِكمةِ القضاء عليه ومُنَاهضته استجلاء بَواعثه، والوقوف على أسْبابِه، وإن من أخطر تلك البواعث:

١- الجهل بالكتاب والسنة وإهمال مقاصد الشريعة:

إن الجهل بالكتاب والسنة ومقاصد الشريعة، وبأحكام التكفير وقواعده، وكلام السلف في ذلك، هو السبب الرئيس في الوقوع في مزالق التكفير، سواءٌ كان ذلك جهلًا مُطْبِقًا عند بعضهم، أم جزئيًّا راجعًا إلى تأويل واجتهادٍ لمن لم تكمل أهليته.

فمن كان لا يدري كيف يفسر القرآن، ولا يميز صحيح السنة من ضعيفها، أو يقدِّم على صريح السنة قول حزبه، فهل يُرجَى له أن يكون على الجادة؟! وكذلك من كان لا يفهم الفرق بين صريح القول وظاهره، أو بين القول ولازمه، ومنطوقه ومفهومه، ولا يفرق بين التكفير المطلق، وتكفير المعين، أو بين تكفير المقالة، وتكفير القائل، فهل يجوز له أن يتكلم في أمر العامة وفي مسائل النوازل المدلهمة؟! كلا!

ومن أعظم أنواع الجهل في باب التكفير عدم جمع أدلة الباب الواحد، كما كان شأن الخوارج الأوائل، اعترضوا على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِقبوله التحكيم وقالوا حكَّم الرجال في كتاب الله، والله يقول: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام:٥٧]، والله

يقول: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]، ونسُوا قول الله جل وعلا: ﴿فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [النساء:٣٥]، يستدلون بقوله تعالى في كفر قتل العمد: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٣]، ونسوا قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات:٩] فوصف الطائفتين بالإيمان مع قتل بعضهم بعضًا، ونسوا قوله: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:١٧٨]، فسمَّى اللهُ القاتلَ أخًا للقتيل، وهكذا.

٢- الانحراف الفكري:

الانحراف الفكري هو: ميلان الفكر وخروجه عن مألوف النظر، وسويِّ التفكير.

إنَّ قضيَّة الفكر السليم التي تفيء بالمُسلم إلى الوسط والاعتدال في الأقوال والأفعال، مع استشعار خشية الدَّيَّان –سبحانه– قضيَّةٌ من أهمِّ القضايا التي ينبغي العنايةُ بها، لاسيَّما في أوقاتِ الفتنِ؛ إذ بها تتفاوت مراتبُ الخَلق في إصابةِ الحقِّ؛ ولذلك اختصَّ الله نبيَّه سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ بالفَهم مع ثنائه عليه وعلى دوادَ بالعلم والحُكم، قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَـٰهَا سُلَيْمَـٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء:٧٩]، وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأبي موسى في كتابه إليه: «الفهمَ الفهمَ فيما أُدلي إليك»[١].

---

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى»، باب لا يحيل حكم القاضي على المقضي له والمقضي عليه ولا يجعل الحلال على واحد منهما حراما ولا الحرام على واحد منهما حلالا، برقم (٢٠٣٢٤).

وقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أو فهمًا يؤتيه الله عبدًا في كتابه»[1]، وقال أبو سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أعلمَنا برسول الله ﷺ[2]، ودعا النَّبي عليه الصلاة والسلام لعبد الله بن عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن يفقِّهه في الدين ويعلِّمه التأويل[3]، وتلك مرتبةٌ فوق مرتبةِ العلم المجرَّد.

يقول الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «صحَّة الفهم وحُسنُ القصد من أعظم نِعم الله التي أنعم بها على عبده، بل ما أعطِيَ عبدٌ عطاءً بعد الإسلام أفضل ولا أجلَّ منهما، بل هما ساقا الإسلام، وقيامُه عليهما، وبهما يأمن العبدُ طريقَ المغضوب عليهم الذين فسد قصدُهم وطريقَ الضَّالين الذين فسدت فهومُهم، ويصير من المنعَم عليهم الذين حسُنت أفهامهم وقصودهم، وهم أهلُ الصراط المستقيم الذين أمِرنا أن نسأل الله أن يهدِيَنا صراطَهم في كلِّ صلاة. وصحَّةُ الفهم نورٌ يقذِفه الله في قلب العبدِ، يميِّز به بين الصحيح والفاسد والحقِّ والباطل والهدى والضّلال والغيِّ والرشاد»[4].

ولهم نصوصٌ قصَّروا في فهمِها ** فأُتوا من التقصير في العرفان[5]

---

(١) ينظر: «فتح الباري» (١٤/ ١٦٢).

(٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» باب ذكر البيان بأن المخير فيما وصفنا كان صفي الله جل وعلا ﷺ، برقم (٦٥٩٤).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ٣٠٦).

(٤) ينظر: «إعلام الموقعين» (١/ ٨٧).

(٥) ينظر: «شرح نونية ابن القيم» (٢/ ٦٢).

والانحراف الفكري لا ينحصر فيما يحدث حاليًا من الإرهاب والقلاقل والزَّعَازع، وإن كان ما يحدث هو قمة الانحراف الفكري، ولكن الانحراف الفكري يمس جميع جوانب الحياة، ومكمن الانحراف لدى طائفة الإرهاب إنما جاء من قلة فقهها، وبالنَّظر الجزئي غير الشُّموليّ لنصوص الشريعة، بعيدًا عن مقاصدها الكلية، أو الاستدلال الناقص بالأدلة الشرعية كما تقدم.

٣- الجرأةُ على الطعن في كبار العلماء الحكماء، والتطاول على الفقهاء النبلاء، والأخذ عن مرجعية غير موثوقة: ويكون ذلك بِازدراء العُلماء، والحَطِّ مِن أقدارهم، والثّلْم من مكانتهم، والتشكيك في نواياهم، واتخاذهم غَرَضًا مُبَاحًا، ورميهم بأنهم علماء سلطة، وجهلة بالواقع، وسطحيون، ومُلَبَّس عليهم من قِبل الحكام، كُلُّ ذلك في عاصفة من الحقد هَوْجاء، ومَوْجَة مِن النَّزَقِ رَعْنَاء، مِمَّا هَزَّ هَيْبَة المرجعيَّات العِلْمِيَّة، وزعزع بعض المقامات الدِّينية، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد قال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «من استخف بالعلماء ذهبت آخرته..»[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن أعظم خبث القلوب: أن يكون في قلب العبد غل لخيار المؤمنين، وسادة أولياء الله بعد النبيين..»[٣].اهـ.

---

(١) تقدمت ترجمته (ص٧٨).

(٢) ينظر: «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤٠٨).

(٣) ينظر: «منهاج السنة النبوية» لابن تيمية (١/ ٢٢).

وقال العلامة الفقيه الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والتقليل من شأن العلماء الراسخين في العلم المعروفين بالإيمان والعلم الراسخ جناية ليس على هؤلاء العلماء بأشخاصهم، بل على ما يحملونه من شريعة الله تعالى أيضًا، ومن المعلوم أنَّه إذا قلَّت هيبة العلماء، وقلَّت قيمتهم في المجتمع فسوف يقل بالتبع الأخذ عنهم، وحينئذ تضيع الشريعة التي يحملونها أو بعضها، ويكون في هذا جناية عظيمة على الإسلام، وعلى المسلمين أيضًا»، وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا: «وتمرد الناس على العلماء فساد للشريعة»[1].

٤- تعطيل قاعدة «اعتبار المآلات»:

ومِن الأسباب الأكيدة، والبواعث المؤسفة الوطيدة إهمال قاعدةٍ -بل أنَّى لهم إدْراكها! شرْعِيَّة مُهِمَّةٍ عظيمة، جليلة القدر، عميمة النَّفع، تلك هي قاعدة اعتبار المآلات، يقول الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «النظر في مآلات الأفعال معتبرٌ مقصودٌ شرعًا»[2].

فَلَـمَّا عُطِّلت مآلات الأفعال، والنظر في آثارها ونتائجِها وعواقِبِها: نَفْعًا وضرَرًا، كانت فواقر التَّكفير وبَوَاقِع التَّفجير، واستحلال الدِّماء، وترويع المجتمعات، وتَأَلُّب الأعداء على الضُّعفاء والأبرياء.

وهذا ما لا يُدْرِكُه أو يتجاهله هؤلاء، مع أنه من صميم الشريعة، فمن ذلك ما أخرجه البخاري من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ قال لها: «يا

---

(١) ينظر: «لقاء الباب المفتوح» لابن عثيمين (٣/ ٣٨١).

(٢) ينظر: «الموافقات» للشاطبي (٥/ ١٧٧).

عائشة، لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية لأمرتُ بالبيت فهدم، فأدخلت فيه ما أخرج منه وألزقته بالأرض، وجعلت له بابين، بابًا شرقيًّا وبابًا غربيًّا، فبلغت به أساس إبراهيم»[1].

فهل عند هؤلاء أن رسول الله ﷺ ترك الحق مداهنة للمشركين وكفار قريش، حاشاه صلوات ربي وسلامه عليه حاشاه!

ثانيًا: طرق علاجه:

لعل من أهم طرق علاج هذه الظاهرة الفتاكة:

١- العناية بالأمن الفكري:

من أهم الحلول التي تسهم في الوقاية من التكفير وتطبيب أسقامه وأدوائه: تنمية الأمن الفكري الذي يعد السياج المنيع والحصن الرفيع فالفكر المؤسس على الثقافة السديدة، المنبثقة عن الدين القويم، سيعصم صاحبه -بإذن الله- من غوائل التفجير والتكفير، وليس ثمة في ذلك ارتياب وشك؛ لأن من محاسن هذه الشريعة الغراء -وكلها محاسن- أنها جاءت بحفظ الأمن للأفراد والمجتمعات والأمم، فالأمن مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالإيمان بهذه الشريعة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢]، ومن أهم أنواع الأمن: (الأمن الفكري)، بل هو لب الأمن وركيزته؛ لأن الأمم والأمجاد والحضارات إنما تقاس بعقول أبنائها

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها، برقم(١٥٨٦).

وأفكارهم، لا بأجسادهم وقوالبهم، فإذا اطمأن الناس على ما عندهم من أصول وثوابت، وأمنوا على ما لديهم من قيم ومثل ومبادئ، فقد تحقَّق لهم الأمن في أسمى صوره وأجلى معانيه. وإذا تلوثت أفكارهم بمبادئ وافدة وأفكار دخيلة وثقافات مستوردة، فقد جاس الخوف خلال ديارهم، ذلك الخوف المعنوي الذي يهدد كيانهم ويقضي على مقومات بقائهم؛ لذلك حرصت الشريعة الميمونة على تعزيز الأمن الفكري لدى الأفراد والمجتمعات والأمم، وكان لها الأثر المجلَّى والقدح المعلَّى في ذلك، عن طريق وسائل متعددة أسهمت في حمايته والحفاظ عليه من كل قرصنة فكرية، أو سمسرة ثقافية، تهزُّ مبادئه، أو تخدش قيمه، أو تمس ثوابته.

إن الأمن مطلب أساسي لكل أمة، ويأتي الأمن الفكري على رأس قائمة الغايات المهمة؛ لتكون حماية المجتمع عامَّة والشباب خاصة في البلاد المسلمة من الأفكار الدخيلة الهدّامة واجبًا شرعيًا، وفريضة دينية.

وحقيقة الأمن الفكري قد جاءت الإشارة إليها في العديد من الآيات الكريمة تضمنًا والتزامًا، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف:٩٦].

وأي بركة أعظم من تحقيق الأمن، قال –جل وعلا–: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم:٣٥]، وهذا ما مَنَّ الله عَزَّوَجَلَّ به على قريش: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ [قريش:١-٤]، وتمَكَّنَ

الله على قريش في موضع آخر بقوله: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[القصص:٥٧].

إن مفردة الأمن وما اشتُق منها: الإيمان، والأمين، والمؤمنون، والأمانة، تفيد معنى السكينة والطمأنينة والاستقرار، وتجنُّب الخوف والفزع، وهذه النعمة الجليلة -وهي الرَّافدُ المهم العزيز للأمن الفكري- جعل الله تحققها مشروطًا بأمرٍ مهم، وهو: الإيمان الذي يُبَلِّغ أصحابه الأمن والسلامة والنجاة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢]، فالأمن نعمة لا تقدَّر بمال، ولا تعوَّض بحال، ولا يمتحُ من معينها وينهل من سَلسَالها إلا الذين أطاعوا الرحمن، وحققوا الإيمان، واستمسكوا بهدي سيد ولد عدنان ﷺ، يقول -سبحانه- في قوله العظيم ووعده الكريم: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور:٥٥]، وتزداد عظمة هذه النعمة إشراقًا إذا رمقنا أحوال العالم وما فيها من قلق وخوف وفزع، واضطراب وهلع.

ويمكن تلخيص أهمية الأمن الفكري في النقاط التالية:

١- إن الأمن الفكري يحقق للأمة أهم خصائصها، وذلك بتحقيق التلاحم والوحدة في الفكر والمنهج والغاية.

٢- إنه وفي غياب الأمن الفكري سيكون هناك خلل في الأمن بجميع أنواعه.

٣- إن الفكر في هذه الأمة يستمد جذوره من شريعة الأمة ومسلماتها وثوابتها، وهو الذي يحدد هويتها وشخصيتها وذاتيتها.

٤- إن تحقيق الأمن الفكري هو المدخل الحقيقي للإبداع والتطور والنمو لحضارة المجتمع وثقافته.

٥- إن في تحقيقه حماية للمجتمع عامَّة وللشباب خاصَّة، ووقاية لهم مما يَرِدُ عليهم من أفكار دخيلة هدَّامة.

٦- إن الأمن الفكري يبحث في كيفية التصدي للجريمة عامة وجرائم العنف خاصة.

٧- إن في تحقيقه صيانة للشريعة وذبٌّ عن حياضها؛ لأن المرمى الذي يقصد إليه جميع أعداء الإسلام هو الطعن والتشكيك فيها.

فعلى الأمم والشعوب أن تسعى السعي الدؤوب لغرس الأمن الفكري في الأجيال، عبر مناهج التعليم، وخطط التربية، وبرامج التوجيه والتثقيف بشتَّى الوسائل والوسائط: المؤتمرات، والندوات، والمحاضرات، والاجتماعات، وغير ذلك؛ كي تُحْسم بَوَادِر التكفير، وتقطع السُّبل عن أدْواء الغُلُوِّ والإرهاب.

وإنا لنشكر الله عَزَّوَجَلَّ أن أغدق على هذه الديار المباركة -بلاد الحرمين الشريفين- نعمة الأمن الرَّخِي، والأمان السني، يقول العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن تدبر أحوال العالم وجد أن كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته، وطاعة رسوله ﷺ»[1].

---

(١) «بدائع الفوائد» لابن القيم (٤/ ٢٦).

٢- التجديد الشرعي لما طالته أيدي الغالين:

إن المتأمل في أسباب انحراف أصحاب الفكر المنحرف يرى أن من أبرزها التأويل والتحريف للنصوص، وليُّ أعناقها وتطويعها للأهواء، وجعل العقل حكمًا على النقل، ولله در العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث يقول:

هــذا وأصــل بليــة الإســلام ** تأويل ذي التحريف والـبطلان[1]

وحيث إن من سنة الله عَزَّوَجَلَّ وجود الصراع بين الحق والباطل، فقد اقتضت حكمته -تبارك وتعالى- أن يهيئ لهذا الدين من يقوم به وينافح عنه، ويجدد ما اندرس من معالمه، لاسيما مع تقادم الزمان وبُعْد البشرية عن مشكاة النبوة وأنوار الرسالة، مصداقًا لقوله -عليه الصلاة والسلام-: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**»[2]، ولذلك ازدان عقد التاريخ عبر أحقابه المتلاحقة بكوكبة من المجددين، من العلماء الربانيين الذين ينفون عن دين الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

والمقصود من التجديد هنا -الذي هو حَلٌّ وشفاءٌ لِمُعْضِلة الغلو والجنوح-: إحياء وبعث معالم الدين العلمية بحفظ النصوص الصحيحة نقية، وتمييز ما هو من الدين مما هو ملتبس به، وتنقيته من الانحرافات والبدع النظرية والعملية

---

(١) ينظر: «نونية ابن القيم» وهي المسماة بـ«الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»، تحقيق: بشير عيون (ص١١٦).

(٢) أخرجه أبو داود في «كتاب الملاحم»، برقم(٤٢٩١) وقال المناوي في: «فيض القدير» (٢/ ٢٨٢) قال الزين العراقي: وسنده صحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٥٩٩).

والسلوكية، وبعث مناهج النظر والاستدلال، لفهم النصوص وَفْقَ ما كان عليه السلف الصالح، لتقريب واقع المجتمع المسلم في كل عصر إلى المجتمع النموذجي الأول من خلال: وضع الحلول الإسلامية لكل طارئ، وجعل أحكام الدين نافذة على أوجه الحياة، ووضع ضوابط الاقتباس النافع الصالح من كل حضارة على ما أبانته نصوص الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح.

وبهذا يتضح أن مهمة هؤلاء المجددين منحصرة في إزالة كل ما علق بالدين من مظاهر المخالفات التي غيرت رونقه وبهاءه، ومنها: عواصف التكفير، وإعادة الناس إلى ما كانت عليه القرون المفضلة، والعودة بالدين وأصوله ومناهج الاستدلال والاستنباط غضة طرية كما أنزلها الله وأوحاها إلى رسوله ﷺ.

٣- فتح باب الحوار، وتفعيل لجان المناصحة:

الحوار منهج دعوي شرعِيٌّ أصيل، يصحح كثيرًا من المفاهيم المغلوطة، ويأخُذ بأصحابه إلى مدارج الفكر القويم، والعقل السليم، ومن هذا المنطلق الأبلج الرحب فإن على علماء المسلمين محاورة أصحاب الانحرافات الفكرية داخل الأمة وخارجها، بالحوار الجادِّ البَنَّاء، المنضبط بأدب الحوار العلمي، وفق خطة مدروسة متأنِّية، ومتدرجة في تحقيق غاياتها الإصلاحية.

ودليل شرعية الحوار ما جاء به الكتاب العزيز في قوله تعالى مخاطبًا نبيَّه ﷺ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥]، فمن المهم أن يكون هذا الحوار متساميًا ومبتعدًا عن التجريح،

راقيًا في الأسلوب والحجة والبرهان، قال العلامة ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كلامٍ قيمٍ حكيم: «إن كل من يقوم مقامًا من مقامات الرسول ﷺ في إرشاد المسلمين أو سياستهم، يجب أن يكون سالكًا للطرائق الثلاث: الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، وإلا كان منصرفًا عن الآداب الإسلامية، وغير خليقٍ بما هو فيه من سياسة الأمة، ويُخشى أن يُعرِّض مصالح الأمة للتلف»(١). وفي ذات السياق والمعنى قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت:٤٦].

وقد أثبتت مثل هذه الحوارات النَّزيهة المتَجرِّدَة جدواها، وآتت أُكُلها وثمارها، حيث آب كثير من المتأثرين بالفكر المنحرف إلى رشده، واستقام على النهج الصحيح بحمد الله.

٤- التعاون على البر والتقوى:

التعاون على البِرِّ والتقوى والمعروف والإحسان بين أبْنَاء الأمَّة، ونسِيجها المُترَاصّ، ورُعاتِها الأخْيَار: قِوَامُ السَّعَادَة، ومنشور الرِّيَادة، ولِوَاء السِّيَادَة، بِه تسْتَحْكِم المَوَدَّة والألفةُ بين المجتمع، ويَتَواردُ الجميع على الخُلُق الكريم في التَّواصِي بالحق، والصَّبْر على نَوائبه؛ فيتهلَّلُ من الخير والأمن ما يُرْجَى، ويُقْمَع الشرُّ والفساد الذي يُخْشى، ويَنْدَحِرُ الجهل والبَغْضَاء، والهَوى والشحناء، قال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة:٢]، وذلك هو الشِّعار المنشود للمجتمع الإسلامي الرَّاقي، يُوضِّحه ويُبيِّنُه قول

(١) «التحرير والتنوير» (١/ ٣٣٤).

المصطفى ﷺ: **«مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسَّهر والحمَّى»**[1].

ومن معالم تلك القيم والغايات النبيلة: التحام الجميع مع ولاتهم؛ خدمة لديننا وحفظًا لبلدنا، فهذه المسالك المدمّرة من فئة الانحراف والضلال إخلال بالدين والأرض والعرض، والإنسان والاقتصاد والمكتسبات، وكل مقومات الحياة.

ومن معالمه أيضًا: توظيف كل الطاقات، واستثمار كل الإمكانات، واضطلاع كافة القنوات في رعاية أمننا والحفاظ على مكتسباتنا: البيت، والأسرة، والمسجد، والمدرسة، والجامعة، ووسائل الإعلام، وكل المناشط والفعاليات؛ يقظة وتعاونًا وتحذيرًا من كل سلوك مريب أو تصرف مشبوه.

المطلب الخامس: اتباع الهوى:

الهوى محبة الإنسان الشيء وغلبته على قلبه، قال الله تعالى: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النازعات:٤٠]، أي: نهاها عن شهواتها. واستهوته الشياطين: ذهبت بهواه وعقله، وقيل: حيرته. والهوى يحمل معنى الميل مطلقًا، سواء إلى الخير أو الشر، ولكن كثر معناه في الشر، لذا كثر ذمه[2].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، برقم(٥٥٥٢)، وأخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب البر والآداب والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضُدهم، برقم (٢٥٨٦)، واللفظ له.

(٢) ينظر: «مقاييس اللغة»، «لسان العرب» مادة (هوى).

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الهوى: ميل النفس إلى الشيء، وفعله هَوِيَ يَهوَى هَوًى مثل عَمِي يعمى عمىً، وأما هوى يَهْوِي فهو السقوط، ومصدره الهُوِيُّ بالضم، وأكثر ما يستعمل في الحب المذموم، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات:٤٠-٤١]، ويقال: إنما سمي هوى لأنه يهوي بصاحبه، وقد يستعمل في الحب الممدوح، وفي السنن أن أعرابيًا قال للنبي ﷺ: جئت أسألك عن الهوى: فقال: «**المرء مع من أحب**»[(١)]»[(٢)].

ذم الهوى وبيان خطره:

الهوى منه ما هو محمود وما هو مذموم، فإن وافق الهوى الشرع كان محمودًا، وإن خالفه كان مذمومًا، فالهوى هو ميل الطبع إلى مايلائمه، سواء في الخير أو الشر، فلا ينبغي ذم الهوى مطلقًا ولا مدحه مطلقًا، كما أن الغضب لا يذم مطلقًا، ولا يحمد مطلقًا، وإنما يذم المفرط من النوعين، وهو مازاد عن جلب المصالح ودفع المضار.

ولما كان الغالب ممن يطيع هواه أنه لا يقف فيه عند حدِّه المنتفع به، أطلق ذم الهوى، فلذلك لم يذكر الله الهوى في كتابه إلا ذمه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص:٢٦]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ

---

(١) أخرجه: البخاري في «صحيحه» كتاب الأدب، باب علاقة الحب في الله، برقم [٦١٦٨]، ومسلم في «صحيحه» كتاب البر والصلة، باب المرء مع من أحب، برقم [٢٦٤٠].

(٢) ينظر: «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» (ص٣٧، ٣٨).

هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص:٥٠]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا لَّيُضِلُّونَ بِأَهۡوَآئِهِم بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾ [الأنعام:١١٩]، وغيرها كثير من آيات القرآن الكريم.

وكذلك في السنة لم يجيء الهوى إلا مذمومًا، قال ﷺ: «**يكون أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه فلا يبقى منه مفصل إلا دخله**»(١)، وقال ﷺ: «**إن مما أخشى عليكم بعدي بطونكم وفروجكم ومضلات الأهواء**»(٢)، وقد كان النبي ﷺ يستعيذ بالله من الأهواء، فقد صح عنه في دُعَائه: «**اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء**»(٣).

وقد قيل: الهوى كمين لا يؤمن، قال الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): وسمي هوى لأنه يهوي بصاحبه، ومطلقه يدعو إلى اللذة الحاضرة من غير فكر في العاقبة، ويحث على نيل الشهوات عاجلًا وإن كانت سببًا لأعظم الآلام عاجلًا وآجلا، ألا ترى أن الطفل يؤثر ما يهواه، وإن أدَّاه إلى التلف؛ لضعف ناهي العقل عنده. ومن لادين له يؤثر ما يهواه وإن أدَّاه إلى التلف، لضعف ناهي

---

(١) أخرجه: ابن أبي عاصم في «السنة» برقم [١] وصححه الألباني.

(٢) أخرجه: الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٤٢٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» برقم [١٤] وصححه الألباني.

(٣) أخرجه: ابن أبي عاصم في «السنة» برقم [١٣]، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم [٢٤٧١].

(٤) هو: عامر بن شراحيل بن عبد، الشعبي الحميري، أبو عمر الكوفي (٢١ـ١٠٥هـ). من كبار التابعين، كثير العلم عظيم الحلم، فقيه ولي قضاء الكوفه في خلافة عمر بن عبد العزيز. قال مكحول: (ما رأيت أفقه منه). ينظر: «الطبقات الكبرى» (٦/ ٢٤٦)؛ «الثقات» (٥/ ١٨٥)؛ «تهذيب التهذيب» (٥/ ٥٧).

الدين عنده. ومن لا مروءة له يؤثر ما يهواه وإن ثلم مروءته أو عدمها لضعف ناهي المروءة، إن أصحاب الأهواء ربما تمتعوا بأهوائهم حتى يصيرون إلى حالة لا يلتذون بها وهم مع ذلك لايستطيعون تركها، ولو زال عنهم رَينُ الهوى لعلم كل واحد منهم أنه قد شَقِيَ من حيث قدَّر السعادة، واغْتَمَّ من حيث ظن الفرح، وأَلِمَ من حيث أراد اللذّة، فهو كالطائر المخدوع بحبَّة القمح، لا هو نال الحبَّة، ولا هو تَخلَّص مما وقع فيه[١].

وكنت أظن الهوى هينا ** فلاقيت منه عذابًا مهينا[٢]

ومن أَبْرَز صفات صاحب الهوى التي يُذم بها:

١- أنه يعيش ذليلًا لهواه: فمَا أطاع أحد هواه قط إلا ووجد في نفسه ذلًا فلا تغتر بصولة أتباع الهوى وكبرهم، فهم أذل الناس بواطنًا، قد جمعوا بين الكبر والذل.

٢- أن الحيوان البهيم أحسن حالًا منه، فإن الحيوان يميز بطبعه بين مواقع مايضره وما ينفعه، فيؤثر النافع على الضار، والإنسان أعطى العقل لهذا المعنى، فإذا لم يميز به بين ما يضره وما ينفعه، أو عرف ذلك وآثر مايضره كان حال الحيوان أحسن منه.

٣- أنه يكون من أعوان الشياطين: فإن الشيطان إذا رأى من العبد ضعف عزيمة وميلا إلى هواه طمع فيه وألجمه بلجام الهوى وساقه حيث أراد، فيصبح طوعًا لما أراد.

---

(١) ينظر: «روضة المحبين» (ص٦٣٠، ٦٣١).

(٢) ينظر: «نهاية الأرب في فنون الأدب» (٢/ ١٦٨).

٤- الهوى ما خالط شيئًا إلا أفسده، فإن وقع في العلم أخرجه إلى البدعة والضلالة، وإن وقع في الزهد أخرج صاحبه إلى الرياء، وإن وقع في الحكم أخرج صاحبه إلى الظلم وصده عن الحق، وإن وقع في القسمة خرجت عن قسمة العدل إلى قسمة الجور، فما وقع الهوى في شيء إلا أفسده.

٥- الهوى يضاد الوحي: وقد جعل الله اتباع الهوى مقابلًا لمتابعة رسله، وقسم الناس إلى قسمين: أتباع الوحي، وأتباع الهوى، قال تعالى: ﴿أَهْوَآءَهُمْۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص:٥٠]، وقال سبحانه: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [طه:١٦]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [المائدة:٤٩]، وقال سبحانه: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [الشورى:١٥].

٦- إن الله تعالى شبَّه أتباع الهوى بأخس الحيوانات صورة ومعنى، فشبههم بالكلب تارة في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ [الأعراف:١٧٦]، وبالحُمُر تارة في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ [المدثر:٥٠]، وقلَبَ صُوَرَهم إلى صور القردة والخنازير تارة في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة:٦٠].

٧- إن متبع الهوى ليس أهلًا أن يطاع، ولا يكون إمامًا ولا متبوعًا، قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:١٢٤]، أي: لا ينال عهدي بالإمامة ظالمًا، وكل من اتبع هواه فهو ظالم، كما قال تعالى: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الروم:٢٩]، أما النهي عن طاعته في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨].

٨- إن الله جعل متبع الهوى بِمنْزلة عابد الوثن، فقال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ [الفرقان:٤٣]، قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو المنافق لا يهوى شيئًا إلا فعله.

٩- اتباع الهوى ضعف في الإيمان وفي البدن، ومخالفة الهوى تورث العبد قوة في بدنه وقلبه ولسانه، قال بعض السلف: الغالب لهواه أشد من الذي يفتح المدينة وحده.

١٠- الذي يتبع هواه أبعد الناس عن المروءة، قال معاوية بن أبي سفيان: المروءة ترك الشهوات وعصيان الهوى.

١١- إن الهوى داء عضال ودواؤه مخالفته، كما قال بعض السلف: إن شئت أخبرتك بدائك، وإن شئت أخبرتك بدوائك، داؤك هواك، ودواؤك ترك هواك ومخالفته.

١٢- اتباع الهوى يغلق عن العبد أبواب التوفيق، ويفتح عليه أبواب الخذلان، قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من استحوذ عليه الهوى واتباع الشهوات انقطعت عنه موارد التوفيق.

١٣- اتباع الهوى يفسد العقل والرأي، لأنه قد خان الله في عقله الذي وهبه فأفسده عليه، قال المعتصم يومًا لبعض أصحابه: يا فلان، إذا نصر الهوى ذهب الرأي.

١٤- إن التوحيد واتباع الهوى متضادان، فإن الهوى صنم، وإنما بعث الله رسله بالتوحيد وكسر الأصنام، فمن اتبع الرسل وتمسك بالتوحيد كسر الصنم الذي بداخله وهو هواه، ومن لم يكسر الصنم بعد عن التوحيد، واتباع الرسل وعبد الصنم: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [الفرقان:٤٣].

١٥- إن أصل العداوة والشر والحسد الواقع بين الناس من اتباع الهوى، فمن خالف هواه أراح قلبه وبدنه وجوارحه، ومن اتبع هواه أظلم قلبه، وإذا أظلم القلب ضاق الصدر وساء الخلق وتولدت العداوة والبغضاء.

١٦- إن الله -سبحانه وتعالى- جعل في العبد هوًى وعقلًا، فأيهما ظهر توارى الآخر، فمن غلبه هواه توارى عنه عقله، والتوفيق قرين العقل والخذلان قرين الهوى[1].

(١) ينظر: «ذم الهوى» لابن الجوزي (ص١٣) وما بعدها، و«روضة المحبين» (ص٦٣٦) وما بعدها.

أولا: أسبابه:

لا تختلف الأسباب والدوافع التي تكون وراء اتباع المرء هواه عن تلكم التي يكون عنها الجهل والقصب والغلو والتكفير. بل إنَّ بينها قواسم مشتركة كثيرة، بل من هذه الأخيرة ما هو سبب في اتباع المرء هواه بغير هداه من الله، ومن ذلك:

١ - الجهل:

والجهل هاهنا يقصد به نوع خاص، وهو الجهل المركب، وهو الذي يكون ممن لا يعلم، ويظن أنَّه يعلم، فتجد هذا النوع من الناس يحمله ما يعتقد من نفس من العلم على الإصرار على ما عنده من الخطأ والباطل والضلال، في حين أن صاحب العلم الحقيقي تجده يقبل النقاش وحريصًا على الفائدة ولا يطيره إن كان الحق معه أو مع غيره.

٢- التعصب:

من أعظم أسباب اتباع الهوى التعصبُ إلى الرأي سواء أكان الرأي مذهبًا فكريًا، أو مذهبًا عقديًا، أو مذهبًا فقهيًّا أو إلى جماعة أو حزب أو غيرها، وهذا من أعظم ما يفت في عضد الأمة، وقد عانت الأمة قرونًا من الزمن ولقت الويل ق من جراء هذا النوع من التعصب، حتى وصل الحسد ببعضها أبنائها أنَّه أفتى بعدم تزويج الحنفية من الشافعي، للخلاف الواقع بينهم في

مسألة الاستثناء في الايمان[1].

وأصل التعصب من عادات أهل الجاهلية قال الله تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة:١٠٤]، وقال جل شأنه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [لقمان:٢١].

٣- الحسد:

من أعظم أسباب اتباع الهوى الحسد، فإنه يحمل على معارضة الخلق وترك ما ما معهم من الحق نزول عند رغبة النفس الأمارة بالسوء، قال جل في علاه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة:١٠٩]، وقال سبحانه: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء:٥٤-٥٥].

---

(١) جاء في البحر الرائق: وفي الخلاصة من كتاب النكاح عن الإمام أبي بكر محمد بن الفضل: «ما قال أنا مؤمن إن شاء الله فهو كافر، لا تجوز المناكحة معه، قال الشيخ أبوحفص في فوائده: لا تنبغي للحنفي أن يزوّج ابنته من رجل شفعوي المذهب، وهكذا قال بعض مشايخنا، ولكن يتزوج بنتهم، زاد في البَزّازية تنزيلًا لهم منزلة أهل الكتاب» اهـ.

وعلق الإمام ابن نجيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: وأمَّا التكفير بمطلق الاستثناء فقد علمت غلطه، وأقبح منه من منع مناكحتهم، وليس هو إلا محض تعصب نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. البحر الرائق شرح كنز الدقائق (٢/ ٤٩-٥٠).

٤- الكبر:

الكبر والاستعلاء على الخلق هو أيضًا من أعظم أسباب اتباع الهوى، وهو أحد ثمرات الحسد، قال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٧٢].

وقال تعالى عنهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:٢١].

ثانيًا: طرق علاجه:

إذا كان الهوى داء عضال ودواؤه مخالفته، فإن الإنسان يستعين على هذه المخالفة بأمور من أهمها:

١- دعاء الله والانطراح بين يديه، يسأل العبد ربَّه أن يسلمه من مضلاّت الفتن ما ظهر منها وما بطن، فالدعاء سلاح فتّاك، لا يُغْلَبُ صَاحِبُهُ.

٢- التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ والرجوع إليها في كل شيء، فهما العصمة من الزيغ والضلال.

٣- التفكر في الحكمة التي خلق من أجلها العبد، وأنَّه إنما هيئ لأمر عظيم، لا يناله إلا بمعصيته للهوى، هذا الأمر هو توحيد الله تعالى وتنفيذ شرعه على الوجه الذي يريده.

قد هيئوك لأمر لو فطنت له ** فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهَمَل[1]

٤- التفكر في عواقب الهوى، فكم أفاتت طاعته من فضيلة، وكم أوقعت في رذيلة، وكم نكست رأسًا، وقبحت ذِكرا، وأورثت ذما، وأعقبت ذلا، وألزمت عارًا، غير أن عين صاحب الهوى عمياء.

فأعقل الناس من لم يرتكب سببا حتى يُفَكِّر ما تجني عواقبُه[2].

٥- أن يأنف لنفسه من ذل طاعة الهوى، فإن طاعته ذل وضلال وخسران مبين.

٦- أن يخاف إن اتبع هواه أن ينسلخ من الإيمان وهو لا يشعر، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن مما أخشى عليكم بعدي بطونكم وفروجكم ومضلات الأهواء**»[3].

٧- اتباع الهوى لا يأتي إلا بكل شر، والخير في مخالفته، قال بشر الحافي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**البلاء كله في هواك، والشفاء كله في مخالفتك إياه**»[4]، فمخالفة الهوى هي أفضل طرق علاجه والشفاء منه.

٨- جهاد الهوى إن لم يكن أعظم من جهاد الكفار فليس بدونه، قال رجل للحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا أبا سعيد، أي الجهاد أفضل؟ قال:

---

(١) ينظر: «قصائد من عيون الشعر» (١/ ٦).

(٢) ينظر: «زهر الأكم في الأمثال والحكم» (١/ ١٠٥).

(٣) أخرجه: الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٤٢٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» برقم [١٤].

(٤) ينظر: «ذم الهوى» (١/ ٢٤).

جهادك هواك. وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت شيخنا يقول: جهاد النفس والهوى أصل جهاد الكفار والمنافقين، فإنه لا يقدر على جهادهم حتى يجاهد نفسه وهواه أولًا، حتى يخرج إليهم[1].

٩- معرفة أن اتباع الهوى مجلبة لداء القلب والبدن، فأمراض القلب كلها من متابعة الهوى، ولو فتشت عن أمراض البدن لرأيت غالبها من إيثار الهوى على ما ينبغي تركه.

١٠- معرفة أن لكل عبد بداية ونهاية، فمن كانت بدايته اتباع الهوى كانت نهايته الذل والصغار والحرمان، وربما صار عذابًا له يعذب به في بدنه أو قلبه.

مآرب كانت في الشباب لأهلها ** عِذابا فصارت في المشيب عَذابا

١١- معرفة أن الهوى رق في القلب، وغُلٌّ في العنق، وقيد في الرجل، وصاحب الهوى أسير هواه، والحر يأنف من الأسر والرق، فالحر يخالف هواه.

ومن البلاء وللبلاء علامة ** ألا يُرى لك عن هواك نزوع

العبد عبد النفس في شهواتها ** والحر يشبع تارة ويجوع[2]

١٢- إن مخالفة الهوى تقيم العبد في مقام من لو أقسم على الله لأبره، فيقضي له من الحوائج أضعاف ما فاته من هواه.

---

(١) ينظر: «روضة المحبين» (ص٤٧٨).

(٢) ينظر: «ديوان الإمام عبد الله بن المبارك» (١/ ٢٦).

١٣- مخالفة الهوى توجب شرف الدنيا وشرف الآخرة، وعز الظاهر وصفَاء الباطن.

١٤- إذا تأملت السبعة الذين يظلهم الله في ظل عرشه يوم لاظل إلا ظله، وجدتهم إنما نالوا ذلك الظل بمخالفة الهوى، فالإمام العادل لا يتمكن من العدل إلا بمخالفة الهوى، والشاب لا يؤثر العبادة إلا بمخالفة الهوى، وكذا باقي السبعة –جعلنا الله منهم[(١)].

ﮥ المطلب السادس: حرج الصدر بتعاليم الإسلام:

إن حرج الصدر بأحكام الشرع وتعاليم الإسلام من أشد معوقات تطبيق الوسطية، وسبب من أسباب الانحراف عنها، وهذا الحرج وذلك الضيق على درجات منه ما جبلت عليه النفوس، وغالبًا ما يكون في حال كسل النفس عن أعمال العبادة ونزوحها إلى الراحة والدعة، فَيَفْتُرُ المؤمن ويتَقَاعس عن أداء نوافل العبادات، ومنه ما يكون من باب المعصية إن حملته على ترك الواجبات، ومنه ما يصل إلى درجة الكفر إذا وصلت به الحال إلى معارضة أحكام الله وبغضها كما قال تعالى في صفات عباده المؤمنين ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

---

(١) ينظر: "روضة المحبين" لابن القيم (ص٦٣٢) وما بعدها.

أولًا: أسبابه:

١- ضعف الإيمان:

عقيدة أهل السنة والجماعة أنَّ الإيمان يزيد ويَنقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فإذا أَكْثَرَ المؤمنُ من العبادات فرائض وواجبات ونوافل انشرحت نفسه وطابت سريرته وتَاقَت روحه إلى مزيد من القرب والأعمال، وإن انغمس المؤمنُ في وحل المعصية واستَحكمت في قلبه ظلمة الخطيئة وجد في نفسه حرجًا من بعض العبادات، قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام:١٢٥]، وكل ذلك بحسب ما قام بقلب العبد من ظلمة وإعراض، بل قد تنعكس تلك الظلمة وذلك الضيق والحرج على جميع حياته كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه:١٢٤-١٢٦].

٢- مجالسة أهل الأهواء: (ورفقاء السوء):

من أعظم ما يسبب الحرج وضيق الصدر بتعاليم الإسلام مجالسةُ أهل البدع والأهواء، الذين لا يفتؤون يلقون بشبههم وتلبيساتهم على مسائل الدين أصوله وفروعه، فتستحكم تلك الشبه في قلب العبد، وتورث له حرجًا وضيقًا إن لم تسعفه حصيلته العلمية في الإجابة عنها وتفنيدها، أو لم يسأل أهل العلم عنها؛ لهذا كان السلف رحمهم الله يحذرون من مجالسة أهل الأهواء، قال الإمام أبو محمد بن أبي زمنين (٣٣٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولم يزل أهل

السنة يعيبون أهل الأهواء المضلة، وينهون عن مجالستهم، ويُخَوِّفون فتنتهم، ويخبرون بخَلَاقِهم، ولا يرون ذلك غيبة لهم ولا طعنًا عليهم[1].

وقال أبو قلابة: «لا تجالسوا أهل الأهواء؛ فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم بعض ما تعرفُون»[2].

وقال الحسن وابن سيرين رحمهما الله: لا تجالسوا أصحاب الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم[3].

٣- الجهل بالحِكَم الشرعية:

مِن بين الأسباب التي تورث الحرج من بعض أحكام الشريعة جهلُ الإنسان بالحكمة الشرعية من بعضها، مع أنَّ الأصل في المؤمن التسليم والاستسلام لأحكام الله عز وجل بعد أنْ أيقن بأنها من عند اللطيف الخبير، لكن العلم بالحِكم الشرعية مما يزيد في إيمان المؤمن ويقينه، والجهل بها مما قد يورث الضيق والحرج، لكن كل ذلك بحسب درجة إيمان العبد وقوة يقينه، ومما يدل على أنَّ زيادة العلم تورث اليقين قوله تعالى في قصة إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة:٢٦٠].

---

(١) ينظر: أصول السنة لابن أبي زمنين (٢٩٣).

(٢) أخرجه الدَّارمي في «مسنده»، باب اجتناب أهل الأهواء والبدع، برقم(٣٩١)، وقال محققه الشيخ حسين سليم أسد: إسناده صحيح.

(٣) أخرجه الدارمي في «مسنده»، باب اجتناب أهل الأهواء والبدع، برقم(٤٠١)، وقال محققه الشيخ حسين سليم أسد: إسناده صحيح.

ثانيًا: طرق علاجه:

وإذا عرفنا أهم الأسباب التي تقف وراء وقوع حرج الصدر وضيق النفس بتعاليم الإسلام فقد عرفنا بالضرورة طرق علاج هذه الظاهرة التي تحول دون تطبيق الوسطية بمظهرها الخلاف وصورتها الجميلة، ومن ذلك:

١- قوة الإيمان:

فإن صاحب الإيمان القوي واليقين الراسخ، لا سبيل لحرج الصدر إلى قلبه، لأنه موقن بأن الكل من عند الله، وما عند الله خير للعباد في العاجلة والآجلة، ولو كان ظاهره ألم ومصيبة، قال تعالى عن أهل الإيمان: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٢٢].

٢- اجتناب أهل البدع والأهواء:

فعدم ورود الشبه على القلوب، كفيل بأن يجعلها سليمة منشرحة بتعاليم هذا الدين العظيم، فإن وقع شيء من ذلك علموا أن ما كان من عند الله يستحيل أن يكون فيه خلل لأنه من لدن لطيف خبير، وهذا شأن الراسخين في العلم من أهل الإيمان: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران:٧]، وهو قول الملائكة: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة:٣٢]، وخلاف منهج المُشَكِّكِينَ من أهل البدع والأهواء.

٣- العلم بالحِكَم الشرعية:

فإن العلم بالحِكَم والعلل الشرعية لمسائل الدين، ومقاصد الشريعة مما يورث اليقين في قلب المؤمن، فالحكم عن الشيء فرع عن تصوره، ومن جهل شيئًا عاداه، لذلك فإنه من المحبَّذ لعلماء الشريعة وطلبة العلم الاعتناء بهذا الجانب وإيلائه اهتمامه، لأنه مما يقوي ثقة المؤمن بدينه، ويكسبه الطمأنينة والقناعة، ويكون له سندًا منيعًا ضد التيارات الهدامة المُضَلِّلَة.

لذلك فإن فقه المسلم وعظمته تكمن في سعة قلبه وانشراح صدره، فيجمع بين الأمور كلها ويختار أفضلها. فمثلًا الروافض غالوا في محبة الإمام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأبغضوا معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن معه، وعلى النقيض كان النواصب الذين بالغوا في محبة معاوية وأبغضوا عليًّا وآل البيت، ثم جاءت الخوارج فكفروا عليًّا ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كل هذه الفرق لَم يتسع صدرها للجمع بين أمرين متضادين في الظاهر، كما جمع بينهما أهل الاعتدال والتوسط أصحاب الصدور الواسعة، فقد أحبوا الجميع وجمعوا بين النصوص. فلم يكفروا أحدًا بِمعصية ولَم يغالوا في آل البيت ولَم يبغضوهم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٨].

فالمسلم المعتدل لا يضيق صدره بالأمور فينحاز لأحدها كما فعل العارف. وإنما يتسع صدره لكل الأمور كما هو هدي النبي ﷺ فيعيش بين وعد ووعيد وخوف ورجاء، ويجمع بين النصوص المختلفة ولا يعمل ببعضها ويترك الآخر لأنه لو فعل انحرف عن هدي النبي ﷺ والذي هو

خير الهدي وأكمله والنبي ﷺ هو إمام المعتدلين، وقال له الله تعالى: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الزخرف:٤٣]. فعدم اتساع صدر الإنسان لتعاليم الإسلام يجعله يحيد عن الصراط المستقيم الذي هو طريق الوسطية ومنهج الاعتدال.

المطلب السابع: مفارقة الجماعة:

المفارقة: من التفرق والافتراق خلاف الجمع، وهي: المباعدة والمباينة(١).

والجماعة: هي جماعة أهل الإسلام المتفقة على إمام يحكمهم بشرع الله وبكتابه وسنة نبيّه ﷺ(٢).

إن الله تعالى أخبرنا في كتابه الكريم عمن تقدم من أهل الكتاب -اليهود والنصارى- أنهم إنما هلكوا لما افترقوا في دينهم، وأعلمنا أن الذي حملهم على الفرقة والميل إلى الباطل الذي نهوا عنه إنما هو البغي والحسد، فحملتْهم شدة البغي والحسد على أن صاروا فرقًا فهلكوا، فحذرنا الله تعالى أن نَحْذُوَ حَذْوَهُمْ فنهلك كما هلكوا، بل أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ بلزوم الجماعة، ونهانا عن الفرقة، أئمتنا ممن سلف من علماء المسلمين كلهم يأمرون بلزوم الجماعة وينهون عن الفرقة(٣).

---

(١) ينظر: «لسان العرب» (١٠/ ٢٩٩)، و«معجم مقاييس اللغة» (٤/ ٤٩٤) مادة (فرق).

(٢) ينظر: المراد بالجماعة «تحفة الأحوذي» (٦/ ٣٨٤-٣٨٥).

(٣) ينظر: «كتاب الشريعة» للآجري (ص٧).

أولًا: التحذير من الفرقة:

الفرقة مذمومة مطلقا، فهي ضارة بالفرد أولًا ثم بالأمة ثانيًا، فإنها تشتت الشمل وتضعف القوى وتؤجج العداوة والبغضاء، فتأتي الفتن والمحن، والفتن شر مستعر.

وإن البدع مقرونة بالفرقة، كما أن السنة مقرونة بالجماعة، فيقال: أهل السنة والجماعة، كما يقال: أهل البدع والأهواء والفرق.

لذا جاءت الآيات والأحاديث تترى محذرة من الفرقة والتفرق، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [آل عمران:١٠٥]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣]، وقال النبي ﷺ: **«لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»**[1].

ثانيًا: مضار مفارقة الجماعة:

إن مفارقة الجماعة كلها أضرار لا خير فيها، وأول من يجني هذا الضرر هو الفرد المفارق لها، ومن أخطر أضرار مفارقة الجماعة على الفرد والمجتمع:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الديات، برقم(٦٨٧٨)، ومسلم برقم(١٦٧٦).

١- يكون مصيره جهنم وبئس المصير: قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥]، فمن خالف ما جاء به رسول الله ﷺ وخالف ما عليه أهل الإيمان فإن الله توعده بالعقاب الشديد، وأن مصيره جهنم وساءت مصيرًا.

٢- إن الله تعالى برَّأ نبيَّه ﷺ من الذين تفرقوا وكانوا شيعًا، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩]. وروى الطبري في تفسيره عن أم المؤمنين أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: «ليتق امرؤ ألَّا يكون من رسول الله ﷺ في شيء، ثم قرأت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩]»[١].

٣- تسويد الوجوه يوم القيامة: قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾ [آل عمران:١٠٥-١٠٦]، قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره: «يعني يوم القيامة حين تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوده أهل البدعة والفرقة، قاله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا»[٢].

٤- إن المفارق للجماعة يأتي يوم القيامة لا حجة له، ولا يُسأل عنه لسوء

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٧٨).

(٢) ينظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٩٠).

حاله، وكأنه مريض لا يرجى برؤه، قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا تسأل عنهم: رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصيًا، وأمة أو عبد أبق فمات، وامرأة غاب عنها زوجها قد كفاها مؤنة الدنيا فتبرجت بعده، فلا تسأل عنهم**»(١).

٥- المفارق للجماعة محروم من الشرب من حوض النبي ﷺ، فقد قال ﷺ: «**إني فرطكم على الحوض، من مر عليَّ شرب ومن شرب لم يظمأ أبدًا، لَيَرِدَنَّ عليَّ أقوام ثم يحال بيني وبينهم، فأقول إنهم مني؛ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سحقًا سحقًا لمن غير بعدي!**»(٢).

٦- أمر النبي ﷺ بالقتل لمن فارق الجماعة، فقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**»(٣).

٧- إن الفرقة فيها تعطيل لأمر الله تعالى بالجهاد في سبيله، فكيف يجاهد المسلمون عدوهم، وهم متفرقون فيما بينهم، وكل واحد منهم يتبع هواه! يقول الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جهاد النفس والهوى أصل جهاد الكفار والمنافقين؛ فإنه لا يقدر على جهادهم حتى يجاهد نفسه وهواه أولًا»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، برقم(٥٩٠)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١١٩)، وابن أبي عاصم في «السنة»، برقم(٨٩) وصححه الألباني في «الصحيحة»، برقم(٥٤٢).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الرقائق، باب في الحوض، برقم(٦٥٨٣)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، برقم(٢٢٩٠).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الديات، برقم(٦٨٧٨)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب القسامة، باب ما يباح به دم المسلم، برقم(١٦٧٦).

(٤) ينظر: المستدرك على مجموع الفتاوى (٣/ ٢١٣).

والجهاد هو ذروة سنام الإسلام كما صح بذلك الحديث عن رسول الله ﷺ: **«رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد»**(١)، ثم إن الذل والمهانة تقع على الأمة إن هي تركت الجهاد في سبيل الله تعالى، كما أخبر النبي ﷺ: **«إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد؛ سلط الله عليكم ذلًا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»**(٢).

أولًا: أسبابها: من أعظم الأسباب التي تقف وراء مفارقة الجماعة وشق العصا:

١- الغلو والتطرف:

وقد تقدم الحديث عن هذا العنصر بشيء من الإسهاب، وأمَّا عن حيثية تأثير هذا العنصر في هذا الباب فهو ما يعتقده كثير من الغلاة من عدم العذر بالجهل، ولا النظر في مآلات الأفعال، وما يتبع ذلك من آثار.

٢- الجهل:

وقد تقدم أيضًا الحديث عن الجهل وأنَّه أحد المعوقات عن تحقيق الوسطية، وهو أيضًا سبب له دور في النزاع والفرقة، وذلك حين تغيب ملاحظة مقاصد الشريعة عند الشخص، ويرفع الجزئيات إلى مرتبة الكليات بجهله، ويعقد عليها ألوية الولاء والبراء، هنا يحصل الشقاق والنزاع.

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب الإيمان، برقم(١١)، وابن ماجه في «سننه»، كتاب الفتن، برقم(١٣١٤).

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب البيوع، برقم(٢٧٤)، وصححه الألباني في غاية المرام رقم (١٦٠).

٣- التعصب للرأي:

وإعجاب كل ذي رأي برأيه، وغياب ثقافة الحوار البناء، وانسياقًا وراء حظوظ النفس والهوى، وقلة الإخلاص والحسد، وغيرها من الآفات الأخلاقية التي لها حضور بارز في هذا الباب!

ثانيًا: طرق علاجها:

ولعلاج هذه الآفة، وهذا الخطر المدلهم الذي يفتك بالفرد والجماعة طرق وأساليب نجملها فيما يلي:

١- العدل والإنصاف:

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠] وقال جل شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [النساء:١٣٥] فأمر سبحانه وتعالى عباده بالعدل ولو كان الحكم في غير جانبهم، بل حتى مع الظلمة فقال عز من قائل عليم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة:٨].

٢- العلم:

العلم صمام أمان الأمة من الفتن والمزالق، وهو من أعظم أسباب لَـمِّ الشمل والوحدة واللحمة؛ لذلك قال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر:٩]، وإنَّ من أعظم ما يزعزع اللحمة ويسارع في نشر الفرقة خوض العامة فيما يتعلق بالسياسة الشرعية، فإن

الخَوض فيها مهلكة أيّ مهلكة؛ لذلك أناطها سبحانه بأهل الحل والعقد من العلماء فقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء:٨٣].

٣- الرفق والحلم:

وفي المسند عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ما كان الرفق في شيء إلا زانه ولا عزل عنه إلّا شانه**»[1]، فإن العلم والرفق والرأفة دليل على ديانة صاحبها وعلو كعبه في مكارم الأخلاق، ودليل على صدق وإخلاص متجذر في باطنه، ومن أعظم ركائز الالتحام والاجتماع تحلي أصحابها بصفة الحلم والرزانة والصبر، فإنه بها تدفع الشرور وتُسَلّ السخائم، ويُمتَص الغضب، ويكون العَفو والتجاوز.

المطلب الثامن: التقليد والانهزامية:

التقليد هو اتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل معتقدًا أنَّ الحقيقة فيه، من غير نظر وتأمّل في الدليل، كأنَّ هذا المتبع جعل قول الغير أو فعله قلادة في عنقه[2].

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند»، برقم(٢٥٧٠٩)، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط حفظه الله: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) ينظر: «تعريفات الجرجاني» (ص٩٠).

والتقليد أحد ضروب ومسالك تحصيل العلم عند من لا قدرة له على تحصيل الأحكام بنفسه من عوام الناس وغيرهم، وأصل ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣]، ومرادنا بالتقليد في هذا الباب ليس المبحث المذكور في كتب أصول الفقه، بل المراد به تقليد أهل الكفر والزندقة والإلحاد، وأهل الفسق والفجور فيما هم عليه من تحلل أخلاقي وانفلات عن الآداب وتفسخ في العادات بحجة المدنية والحرية والتطور وغيرها، بل حتى فيما هم عليه من مذاهب فكرية باطلة وضَالة بحجة حرية المعتقد!! وقد كان هذا دأب المشركين من قبل، فقد كانوا يحتجون بما كان عليه آباؤهم من قبل ولو كان شركًا وكفرًا، قال تعالى مُخبرًا عنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٧٠]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة:١٠٤].

وأمَّا الانهزامية: فهي من الهزيمة وأصلها في القتال، وهي كَسْرُ الجيش[1] ودحضه ورَدُّه، والمراد بها في هذا السياق: الجبن والخور والانكسار والضعف ولكل من التقليد والانهزامية التي وقع فيها فئام من هذه الأمة أسباب ودوافع.

---

(١) ينظر: «لسان العرب» مادة (هزم) (١٢/ ٢٠٨).

أولًا: أسبابها:

١- التخلف العقدي:

إن نظرة واحدة إلى جيل الصحابة والسلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومقارنتها بنظرة عابرة إلى جيلنا المعاصر، تظهر البون الشاسع بيننا وبينهم في مجالات عدة، على رأسها العقيدة.

العقيدة التي هي أساس البناء، وأساس المنهج الإسلامي المتكامل، وهذا يفسر لنا سر تقدمهم على باقي الأمم في عصرهم، وسر تخلفنا عن سائر البشرية في عصرنا.

«لقد كان فهم الصحابة - رضوان الله عليهم - هو الفهم الحق، وكان سلوكهم بمقتضى هذا الفهم هو السلوك الحق.

فكلما اقتربنا من الكتاب والسنة ومن حياة السلف الصالح - رضوان الله عليهم- فنحن «متقدمون» عقديًّا وسلوكيا كذلك بلا شك، وكلما تأخرنا عن الكتاب والسنة وعن حياة السلف الصالح فنحن متخلفون في مجال العقيدة.

٢- التخلف العلمي والحضاري:

من الضعف العقدي نشأت كل ألوان التخلف التي أصابت المسلمين، فعندما تخلف المسلمون في الجانب العقدي قلَّ الإقبال على العلم عند الناس، فَفَشَت الأمية والجهل في الأمة، وجمدت العلوم الشرعية على صورتها التي كانت تدرس بها قبل قرون، وتحول كثير من الطلاب إلى حفظة، ومن ثم افتقدوا روح التجديد، وهذا بدوره أدى إلى تخلف حضاري عن الأمم المتقدمة.

والتخلف الحضاري صنو التخلف العلمي وزميله على الطريق، كما أنه نابع من نفس المنبع، ومتأثر بذات المؤثر، وهو التخلف العقدي.

وللنهوض بالأمة والعودة بها إلى عزِّها المنشود لابد من مراجعة ومعالجة مواضع الخلل التي كانت وراء هذا التخلف والانهزامية.

ثانيًا: علاجها:

١- ترسيخ العقيدة الإسلامية الصحيحة:

وكتاب الله يزخر بذلك، بل لو قال قائل إن كتاب الله كلَّه في العقيدة والتوحيد والأصول، لما جانب الصواب.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأنه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم[1].

فإن رسوخ الإيمان وقوة اليقين في قلب المؤمن كفيلة بأن تدفعه إلى النهوض بنفسه وبمجتمعه وأمته إلى القمم والمعالي.

٢- الحرص على العلم:

إنَّ بين العقيدة والعلم علاقة تضمن والتزام، فالعقيدة تتضمن العلم، والعلم يستلزم العقيدة، فلا عقيدة بلا علم، والعلم يدعو إلى العقيدة، والعقيدة الصحيحة الراسخة ما كانت مبنية على أصول معرفية صحيحة ودلائل يقينية قوية، لا تزعزعها الشبه، ولا تميل بها الأهواء؛ لذلك فإن العلم

---

(١) ينظر: «مدارج السالكين» (٣/ ٤٥٠).

يسبق العقيدة، والعقيدة تثبت بالعلم وتتقوى به، ومصداق ذلك قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾[محمد:١٩].

المطلب التاسع: كيد الأعداء:

إنَّ من أعظم ما يحول دون تحقيق الوسطية والاعتدال، ما يلحقه الأعداء من كيد وتشويه ومكر عظيم بديننا الحنيف، كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [إبراهيم:٤٦]، وقال على لسان نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴾[نوح:٢٢]، ولم يزل الدين الحق من يوم ما أرسل الله الرسل وأنزل الكتب يجابَه بألوان من المكائد والخدع، كل ذلك صَدًّا عن سبيل الله وإعراضًا عن الحق، لكن يأبى الله إلَّا أن يتم نوره ولو كره المشركون.

أولًا: صوره:

١- الغزو الفكري:

والمراد بالغزو الفكري الوسائل غير العسكرية التي اتخذها الصليبيون لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية وصرف المسلمين عن التمسك بالإسلام، مما يتعلق بالعقيدة وما يتصل بها من أفكار وأخلاق وتصورات.

الحاملُ على الغزو الفكري في الحرب الصليبية المعاصرة هو الحصيلة المرة التي خرج بها الصليبيون من حروبهم الصليبية الأولى مع المسلمين في القرنين الخامس والسادس الهجريين (الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين)، والتي انتهت بالهزيمة الساحقة وعدم تحقيق شيء مما خرج الصليبيون من بلادهم لتحقيقه، وبذلوا فيه الأموال والدماء والنفوس.

والمقصود الأكبر من الغزو الفكري هو نشر النصرانية ودعوة المسلمين لاعتناقها، وذلك عبر الرحلات الاستكشافية في بلاد المسلمين باسم السياحة، والحملات الإغاثية، والمساعدات الإنسانية، والفِرَق الطبية، والمساعدات العلاجية، والتعليم وغيرها.

٢- التغريب:

التغريب لصيق الصلة بالغزو الفكري لا ينفك عنه، فمن خلال تشويه معالم الإسلام وتزيين مبادئ الغرب ونظمهم، يتسلل الأعداء ويستميتون لإقناع الدول العربية والإسلامية باستيراد النظم والمبادئ الغربية البعيدة كل البعد عن الدين، ويزينون ذلك للمسلمين على أنه أساس التقدم والرقي.

ومعلوم أن النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية الغربية بعيدة كل البعد عن أصول شريعتنا الإسلامية، وتحتوي على أوجه عديدة من الفساد الروحي والفكري والأخلاقي.

ومن خلال التواصل بين الأمم عبر القنوات المختلفة من المؤتمرات والندوات ووسائل الإعلام صادَفَت الدعوات التغريبية بعض الآذان الصاغية، فراجت هذه الأفكار، وبدأ كثير من المسلمين ينفلت من تعاليم الدين الإسلامي، ومن ثم من المنهج الوسطي إلى مناهج غربية فاسدة وآراء فكرية منحرفة، فشكل هذا عائقا من أخطر عوائق تحقيق الوسطية في كثير من البلاد الإسلامية.

٣- التشويه:

من أعظم الأساليب التي يستعملها أعداء هذا الدين التزييف والكذب والبهتان لأجل تشويه صفاء وبهاء ووضاءة هذا الدين وجماله، وليس ذلك بغريب عنهم فهو دأبهم ودأب آبائهم وأجدادهم من أهل الكفر والشرك والإلحاد من قبل، من خلال قلب الحقائق واللعب بالمصطلحات، قال تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤].

وهكذا هم أهل الغرب، فمنهم من يسمي من يدافع عن دينه متطرفًا، ومن ينافح عن عرضه وأرضه إرهابيًّا، والمتمسك بتعاليم دينه متَزمتًا متشددًا، وهم في ذلك بين مستقل ومستكثر، وأهل الإنصاف فيهم قلة.

ثانيًا: طرق مواجهته:

١- الفهم الصحيح للدين:

إن الشريعة هي أقوم سبيل وأهدى طريق، وهي الملاذ عند الفتن، والحصن الحصين من المصائب والمحن، فقد وضعها أحكم الحاكمين ورب العالمين، منهجها متكامل فريد، وأحكامها محكمة البيان والتقييد، تحيط بالثوابت والمتغيرات. فالدين الإسلامي دين متكامل، وهو منهج حياة استوعب كل شيء ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨].

وقال رسول الله ﷺ: «**تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله**»[١].

فالفهم الصحيح للدين يكفي المسلم ليعيش سعادة الدنيا والآخرة، ويعصمه من الزيغ والضلال؛ لأن دين الإسلام هو دين الفطرة في أنقى صورها.

٢- التسلُّح باليقظة:

كما قدمنا في حديثنا عن أساليب أهل الكفر والإلحاد أنَّها موسومة بالدهاء والمكر، ويكفي وصف الله لها بذلك، فكان لزامًا على المسلمين التحلي بسلاح اليقظة والتنبه، والفطنة والرصد لحركات الأعداء على اختلافها علميةً واجتماعية وثقافية وإنسانية، فإنهم لن يتركوا بابًا ولا مسلكًا يُمَكِّنُهم من نشر دعوتهم إلَّا سلكوه، وقد ذاقت الأمة من سمومهم وطعونهم الشيء الكثير و«**لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين**»[٢].

٣- إبراز محاسن الدين:

مِن أعظم ما يفسد على الأعداء خططهم ومكرهم إبرازُ محاسن هذا الدين العظيم وجماله في جميع جوانب الحياة، ويكفي أن يلتزم المسلم بتعاليمه

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، برقم (١٢١٨).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، برقم(٥٧٨٢)، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، برقم(٢٩٩٨) واللفظ له.

وأحكامه، فيعطي الصورة المشرقة عن المسلم الحق، في أخلاقه وتعامله، في برِّه ووفائه، في جواره وإحسانه، في مظهره ومخبره، في فعله وقيله، ويضاف إلى ذلك العمل المُؤَسَّساتي في هذا الجانب من العمل الخيري والإغاثي في النكبات والكوارث النازلة وحتى بغير المسلمين، وقد كان لبلاد الحرمين الشريفين - حفظها الله - قصب السبق في هذا الميدان في جميع عهودها، وفي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله.



المبحث التاسع

وسائل تعزيز الوسطية وقنوات تحقيقها



حتى تتحقق هذه الغايات النبيلة فلابد من وسائل تقويها وتغذيها، تتعاهد النشء منذ الصغر وتحوطه في مراحل حياته المختلفة، هذه الوسائل يتقاسمها كل من الفرد و الأسرة والمجتمع. وفيما يلي نبين دور كل منهم في تحقيق الوسطية وتعزيزها:

المطلب الأول: دور الفرد:

الفرد هو اللبنة الأولى التي يتكون منها المجتمع، وإذا نشأ الفرد نشأة صالحة سوية ظهر أثر ذلك في أسرته ومجتمعه بالضرورة.

وينشأ ناشئ الفتيان منّا ** على ما كان عَوَّده أبوه[(١)]

ولن يكون ذلك ولن يتحقق إلّا إذا استشعر الفرد مسؤوليته تجاه هذا الدين، وحمل الأمانة التي حملها كل إنسان على عاتقه، قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب:٧٢].

---

(١) ينظر: «ديوان أبي العلاء المعري» (١/ ١٤٥٨).

من أعظم ما يمكن أن يشارك به الفرد في تعزيز الوسطية في مجتمعه: المشاركة في أعمال البر والخير والصلاح، والرعاية، والتكافل الاجتماعي، سواء أكان ذلك بأجرة أم احتسابًا، فإن انشغاله بما ينفع لا يجعله عرضة لكلاليب أهل الأهواء.

المطلب الثاني: دور الأسرة:

الأسرة من الأَسْر وهو الحبس والإمساك، ومنه الأسير وهو الحبيس، وأسرة الرجل: رهطه لأنه يتقوى بهم ويمتنع[١].

وتَقُوم الأسرة بالدور الأهم في تربية النشء باعتبارها المؤسسة التربوية الأولى في حياة الإنسان، والتي يأخذ المولود منها أهم مقوماته السلوكية والأخلاقية، وعليها يقع العبء الأكبر في تكوين شخصيته المستقبلية، ولاشك أن صلاح هذا الأساس أو فساده ينعكس أثره على الناشئة.

لذا تعتبر الأسرة المسلمة أعظم مدرسة إيمانية وأقوى حصن تربوي منيع، يتم فيها إعداد الشباب -ذكورًا وإناثًا- على التحلي بالاستقامة والتَّقوى، والسلامة من الزيغ والانحراف.

وانطلاقًا من مسؤولية الزوجين المشتركة في تربية أولادهما على تقوى الله تعالى ووقايتهم من الضلال الفكري والانحراف السلوكي والفساد الأخلاقي: جاءت وصية النبي ﷺ للوالدين بواجب تحمل المسؤولية

---

(١) ينظر: «مقاييس اللغة» مادة (أسر) (١/ ١٠٧).

الكاملة والرعاية الشاملة للأولاد، فقال ﷺ: **«كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، الرجل في بيته راعٍ ومسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية ومسؤولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راعٍ ومسؤول عن رعيته، وكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته»**[(١)].

المطلب الثالث: دور المجتمع:

كما أن للأسرة دورًا في تعزيز الوسطية وتحقيقها في أفرادها، فللمجتمع أيضًا دور مهم وفاعل في نشر الفكر الوسطي المعتدل من خلال قنواته المختلفة ووسائله المتعددة، والتي من أهمها:

١- المسجد في الحقيقة مركز تربوي يُرَبَّى فيه الناسُ على الفضيلة وحب العلم، وعلى الوعي الاجتماعي، ومعرفة حقوقهم وواجباتهم في الدولة الإسلامية؛ لذا كان أول شيء فعله رسول الله ﷺ عندما هاجر إلى المدينة هو بناء المسجد، فالمسجد ليس مكانًا تقام فيه الصلاة فقط، لكنه مكان للعبادة والعلم والتربية والدعوة إلى الله تعالى، والتوجيه والإرشاد إلى الخير.

لذا على المجتمع أن يُفَعِّل دور المسجد لأنه أعظم المؤثرات التربوية، ومن خلاله يتم نشر العلوم النافعة والأخلاق الحميدة، فيتم الأمن الفكري، ويستقيم السلوك وينتشر الفكر الوسطي المعتدل، الذي يدعو إلى التوازن والتآزر، بعيدًا عن الأهواء المنحرفة، والأفكار الهدامة!

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، برقم(٨٩٣)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، برقم(١٨٢٩).

٢- إن الهدف من إنشاء المدارس والجامعات هو بناء شخصية سوية جادة مستقيمة، تسير على ما ارتضاه المجتمع من دين وعادات وتقاليد وأعراف لا تخالف الشرع، وترمي إلى الذود عن البلد ومكتسباته، وحماية عقول ناشئته من أي تلوث فكري، وذلك من خلال العلم النافع.

فالعلم وحده هو الذي يبني شخصية الإنسان بناءً سويًا مستقيمًا، والعلم وحده هو الذي يحارب الأفكار الضالة والمنحرفة.

وهذا هو الدور الرئيس للمؤسسات التعليمية: بث العلوم النافعة، ونشر الآداب الفاضلة، وترسيخ الأسس الفكرية والعقدية، بما تحمله من معاني الاعتدال والوسطية، فهي تعد النموذج المصغر للمجتمع المتكامل.

وباعتبار هذه المؤسسات مؤسسات مجتمعية فإنه يقع على عاتقها مهمة المحافظة على أبنائها الطلاب من الانزلاق في متاهة الأفكار المنحرفة دينيًّا وأخلاقيًّا بالتحذير منها، وبيان فسادها وسوء عاقبتها، وبث الأفكار النافعة البناءة التي تُهذب السلوك وترسخ مفهوم الوسطية التي دَعَا إليها الإسلام.

٣- للمجامع الفقهية والهيئات العلمية دور مُجُلَّى في ترسيخ أسس الوسطية وتحقيق أهدافها في المجتمع، وذلك من خلال: إقامة الدروس العلمية، وتنظيم المحاضرات الدعوية، والمؤتمرات الإسلامية، وإصدار الفتاوى الرسمية، والبحوث النافعة، التي من شأنها ترشيد طاقات الشباب، وتوجيه جهود الأمة إلى ما يتوافق والمقاصد الشرعية والتي على رأسها الوسطية والاعتدال.

وكذا إصدار الفتاوى والبيانات التي تجرم الأفعال الإجرامية والأعمال التخريبية، والتصدي لما يثار من شبهات وما يرد من إشكالات في عقول الشباب المتحمس للاستفادة من العاطفة الدينية إيجابيًّا، والرد على أكاذيب الغرب وتشويهه لهذا الدين، والعمل على نشر الآراء الفقهية المعتبرة للعلماء المحققين، وإنشاء مراكز للمعلومات لتتبع ما يواجه العالم الإسلامي من قضايا تستدعي الدراسة العاجلة لحصر الأفكار المنحرفة، والآراء المتطرفة في بؤرها داخليًّا وخارجيًّا، ومن ثم القضاء عليها منعًا لرواجها في أوساط الشباب.

٤- الأدب يهذب النفوس وينير العقول، ويعدل المزاج ويفكه الأرواح، ويبعث على الرقي في الأخلاق والمعاملات إذا حسن استعماله واستغلال تراثه.

وتعتبر النوادي الأدبية والمراكز الثقافية من أهم المؤسسات الثقافية والفكرية المؤثرة في أفكار وعقول وأخلاق كثير من الناس عمومًا والشباب خصوصًا، ومع تعدد الاحتياجات الفكرية والثقافية وتنوعها فلابد من التركيز فيها على مفاهيم الوسطية والاعتدال، والاهتمام بسبل تحقيقهما، وبيان آثارهما.

وهذه النوادي والمراكز لها دور مهم وفاعل في الحياة الأدبية والثقافية في المجتمع، حيث يرتادها طبقة لا يستهان بها من المثقفين من شباب الأمَّة وشيوخها؛ لذا من الضروري أن تتبنى أفكارًا تتوافق ومتطلبات المجتمع وتتفق مع سياسة البلاد في محاربة الأفكار المنحرفة والآراء المتطرفة، وتعمل على نشر الفكر الوسطي، من خلال الأنشطة الثقافية والندوات والملتقيات العلمية التي تقوم بها، أو الدوريات التي تصدر عنها.

٥- يشكل الإعلام ووسائله فضاءً ضخمًا تتدافع فيه الأفكار والثقافات المختلفة، مما أكسبه صفة العالَمِية لأنه يتجاوز حدود المكان إلى شتى بقاع الأرض.

وفي عصر تتطور فيه وسائل التكنولوجيا وأدواتها بين غمضة عين وانتباهتها، تتطور أيضًا وسائل الإعلام حتى ظهر ما يسمى بتكنولوجيا الإعلام، والمؤسسات الإعلامية، وتغلغل الإعلام بوسائله المختلفة في حياة الناس، فبين مقروء ومسموع ومرئي، كالقنوات الفضائية وشبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، والرسائل النصية، ورسائل الوسائط يتقلب الناس وتتباين آراؤهم.

فهذا السلاح ذو تأثير قوي وبعيد المدى، ويبرز دوره في كل مجالات الحياة، ولا يمكن الاستغناء عنه في أي نشاط إنساني، ومع هذه الأهمية نرى أن المسلمين لم يعطوا الإعلام الاهتمام الذي يجب أن يُعطى، فكان بعيدًا كل البعد عن آمال وتطلعات كثير من المسلمين[١].

لذا فإعلامنا لابد أن يكون إعلامًا هادفًا، يحارب الفضائيات المتهتكة التي تسعى لإغراء الأجيال بالباطل، والزجِّ بهم في مهالك الفتنة والمنكر، بنشر الفكر الوسطي المعتدل، وإبراز محاسنه، والتحذير من التطرف والغلو، وبيان عواقبه الوخيمة، التي تعود بالضرر والفساد على الفرد والمجتمع.

---

(١) ينظر: «الإعلام السعودي في خدمة القرآن الكريم» (ص٩).

المبحث العاشر

موطن الوسطية وموئل الاعتدال

(المملكة العربية السعودية أنموذجًا)



بلاد الحرمين الشريفين المملكة العربية السعودية هي أحد تلك الدول التي مَسَّتها طيف من الغلو والتطرف، ولا ضير فإن التطرف والغلو لا يخلو منه مجتمع، ولا تسلم منه دولة من العالم الغربي أو الشرقي، وذلك يعود لاختلاف الناس في الإدراك وتفاوت النفوس في قبولها لهذا المشرب وذلكم الدَّاء.

بيد أنَّها من يوم أن أحست بخطره وبدأت بوادر ظهوره تلوح في الأفق إلاَّ وسارعت إلى اجتثاث هذا الفكر من جذوره وقلعه من أصوله بكل ما أوتيت من قوة ووسائل وطرق وأساليب، فكان لها موضع الصدر والريادة في محاربة الفكر المنحرف ونشر بذور الوسطية والاعتدال في ربوع الوطن المبارك، بل في العالم أجمع.

ويمكن أنْ نجمل دور بلاد الحرمين الشريفين المملكة العربية السعودية -حفظها الله وأعزها- في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: جهود المملكة في مواجهة التكفير والإرهاب:

يمكن أن نلخص دور المملكة في هذا الأمر في نقاط رئيسة كالتالي:

١- الأثر البارز الفاعل لولاة أمر بلاد الحرمين الشريفين -حفظهم الله وسَدَّدهم-:

لم تفْتأ بلاد الحرمين الشريفين -وهي ركن أساس في منظومة العالم- تُصَاول ذلك الوحش الكاسر، بأرْقَى الخُطط الأمنِيَّة الاسْتِبَاقِيّة، وبِأبْرَع المهارات البشرية والقُدُرات الفكرية، حتى أحرَزت الصدارة في تفتيت صخوره، وغدت المثل المحتذى عالميًّا في القضاء على التطرف الباغي الأثيم، الذي كان ولا يزال الهم المؤرِّق لخادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ففي كلمة ضافية له عن الإرهاب الذي هو من أشد أضرار فتنة التكفير قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«إن الإرهاب في المصطلح السياسي الإعلامي المعاصر هو في حقيقته إفساد في الأرض وديننا يحرم ذلك، وليس له وطن ولا دين ولا جنسية، لذا فمن الطبيعي التعاون من أجل اجتثاث جذوره تفاديًا لشروره، وهذا ما كنا ومازلنا نطالب به ونلحُّ في طلب التعاون لمعالجته حتى لا يستفحل خطره. والمملكة العربية السعودية وأخواتها في دول المجلس تسهم بكل ما تستطيعه لدعم وتعزيز الجهود الدولية في هذا الصدد على شرط أن يتوافق ذلك مع شريعتنا الإسلامية السمحة، ومع ما توصي به الشرعية الدولية ليتسنى المضي قدمًا لما فيه خير البشرية. إنَّ تحقق الأمن والسلام والاستقرار لشعوب المنطقة رهن بتطبيق السياسات الرشيدة التي تتجنب الوقوع في الأخطار الناجمة عن

سوء التقدير أو الرغبة الجامحة للهيمنة والتسلط وغمط حقوق الآخرين، لذلك لابد من التعاون على كافة المستويات إقليميًا وعربيًا وإسلاميًا ودوليا من أجل إيجاد الصيغ المنطقية والموضوعية لمعالجة المشكلات القائمة حتى تعود الحقوق لأصحابها بعيدًا عن ازدواجية المعايير وبذلك تعيش المنطقة، بل ويعيش العالم أجمع في أمن وأمان واستقرار وحياة هانئة كريمة»[1].

وكم على الأرض من خضراء مورقة ** وليس يُرْجَمُ إلا يانع الثمر

وفي نفس المضمار، ولذات الهدف، تبنت حكومة خادم الحرمين الشريفين -وفقها الله- الدعوة إلى توقيع معاهدتين لمكافحة الفكر التكفيري وما ينتج عنه من إرهاب وإفساد، في نطاق الدول العربية ومنظمة التعاون الإسلامي، وتنظيم وعقد مؤتمر دولي يَقْضِي على تلك النّابِتَة. كما ظهرت جهودها الأمنية الباسلة المتميزة في هذا النطاق، فقد استطاعت -بحمد الله- وفي وقت قياسي أن تحاصر وتقضي على التنظيمات التكفيرية، ومُخطَّطاتهم العدوانية، معتمدةً في ذلك -بعد توفيق الله وعَوْنه- على الحكمة، والمناصحة، والرحمة، والإصلاح، والتربية، ويَعِدُون كل مغرر به تائبٍ بالعفو، ويرحبون بالحوار الفكري معه، مما جعلهم مثلًا يُحتذى في مكافحة التكفير والتطرف.

كناطح صخرة يومًا ليوهنها ** فلم يضِرْها وأوهى قرنه الوعل

لا يضر البحر أمسى زاخرًا ** أن رمى فيه غلام بحجر

---

(١) ينظر: «موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب» لسليمان أبا الخيل، (١/ ٢٤٢).

٢ - أثر هيئة كبار العلماء والمجامع الفقهية:

مِن الجهود الحميدَة التي بُذِلت في مكافحة التكفير والإرهاب، من لَدُن هيئة كبار العلماء الموقرة: إقامة الدروس العلمية، والمحاضرات الدعوية، وإصدار الفتاوى الرسمية، والبحوث النافعة، التي تُجرِّم هذه الأفعال المنكرة، وتفضح خطرها وتبين ضررها، ومن أهم نصوص بيانات الهيئة -نفع الله بِعِلمِهَا- في هذا الشأن: بيان هيئة كبار العلماء في دورته التاسعة والأربعين المنعقدة بالطائف ابتداءً من ٢/ ٤/ ١٤١٩هـ حيث جاء فيه:

«الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فقد درس مجلس هيئة كبار العلماء في دورته التاسعة والأربعين المنعقدة بالطائف ابتداء من تاريخ ٢/ ٤/ ١٤١٩هـ ما يجري في كثير من البلاد الإسلامية وغيرها من التكفير والتفجير، وما ينشأ عنه من سفك الدماء، وتخريب المنشآت، ونظرًا إلى خطورة هذا الأمر، وما يترتب عليه من إزهاق أرواح بريئة، وإتلاف أموال معصومة، وإخافة للناس، وزعزعة لأمنهم واستقرارهم، فقد رأى المجلس إصدار بيان يوضح فيه حكم ذلك نصحًا لله ولعباده، وإبراء للذمة وإزالة للبس في المفاهيم لدى من اشتبه عليه الأمر في ذلك، فنقول وبالله التوفيق:

أولًا: التكفير حكم شرعي، مردُّه إلى الله ورسوله، فكما أن التحليل والتحريم والإيجاب إلى الله ورسوله، فكذلك التكفير، وليس كل ما وصف بالكفر من قول أو فعل، يكون كفرًا أكبر مخرجًا عن الملة.

ولما كان مرد حكم التكفير إلى الله ورسوله لم يجز أن نُكفِّر إلا من دل الكتاب والسنة على كفره دلالة واضحة، فلا يكفي في ذلك مجرد الشبهة والظن، لما يترتب على ذلك من الأحكام الخطيرة، وإذا كانت الحدود تدرأ بالشبهات، مع أن ما يترتب عليها أقل مما يترتب على التكفير، فالتكفير أولى أن يدرأ بالشبهات؛ ولذلك حذر النبي ﷺ من الحكم بالتكفير على شخص ليس بكافر، فقال: «**أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال وإلا رجعت عليه**»(١)، وقد يرد في الكتاب والسنة ما يفهم منه أن هذا القول أو العمل أو الاعتقاد كفر، ولا يكفر من اتصف به، لوجود مانع يمنع من كفره، وهذا الحكم كغيره من الأحكام التي لا تتم إلا بوجود أسبابها وشروطها، وانتفاء موانعها كما في الإرث، سببه القرابة -مثلًا- وقد لا يرث بها لوجود مانع كاختلاف الدين، وهكذا الكفر يُكْره عليه المؤمن فلا يكفر به، وقد ينطق المسلم بكلمة الكفر لغلبة فرح أو غضب أو نحوهما فلا يكفر بها لعدم القصد، كما في قصة الذي قال: «**اللهم أنت عبدي وأنا ربك**»(٢)، أخطأ من شدة الفرح، والتسرع في التكفير يترتب عليه أمور خطيرة من استحلال الدم والمال، ومنع التوارث، وفسخ النكاح، وغيرها مما يترتب على الردة، فكيف يسوغ للمؤمن أن يقدم عليه لأدنى شبهة.

وإذا كان هذا في عامة المسلمين كان في ولاة الأمور أشد؛ لما يترتب عليه من التمرد عليهم وحمل السلاح عليهم، وإشاعة الفوضى، وسفك الدماء،

---

(١) أخرجه: البخاري في «صحيحه» باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، برقم [٥٧٥٣].

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب في الحض على التوبة والفرح بها، برقم [٢٧٤٧].

وفساد العباد والبلاد، ولهذا منع النبي ﷺ من منابذتهم، فقال: «**إلا أن ترو كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان**»[1]، فأفاد قوله: «**إلا أن تروا**» أنه لا يكفي مجرد الظن والإشاعة، وأفاد قوله: «**كفرًا**» أنه لا يكفي الفسوق ولو كبر، كالظلم وشرب الخمر ولعب القمار، والاستئثار المحرم، وأفاد قوله: «**بواحًا**» أنه لا يكفي الكفر الذي ليس ببواح أي صريح ظاهر، وأفاد قوله: «**عندكم من الله فيه برهان**» أنه لابد من دليل صريح، بحيث يكون صحيح الثبوت، صريح الدلالة، فلا يكفي الدليل ضعيف السند، ولا غامض الدلالة، وأفاد قوله: «**من الله**» أنه لا عِبرة بقول أحد من العلماء مهما بلغت منـزلته في العلم والأمانة إذا لم يكن لقوله دليل صريح صحيح من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ، وهذه القيود تدل على خطورة الأمر.

وجملة القول: أن التسرع في التكفير له خطره العظيم، لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [الأعراف:٣٣].

ثانيًا: ما نجم عن هذا الاعتقاد الخاطئ من استباحة الدماء وانتهاك الأعراض، وسلب الأموال الخاصة والعامة، وتفجير المساكن والمركبات، وتخريب المنشآت، فهذه الأعمال وأمثالها محرمة شرعًا بإجماع المسلمين؛ لما في ذلك من هتك لحرمة الأنفس المعصومة، وهتك لحرمة الأموال، وهتك لحرمات الأمن والاستقرار، وحياة الناس الآمنين المطمئنين في مساكنهم

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» باب (قول النبي ﷺ سترون بعدي أمورا تنكرونها) برقم [٦٦٤٧].

ومعايشهم، وغدوهم ورواحهم، وهتك للمصالح العامة التي لا غنى للناس في حياتهم عنها.

وقد حفظ الإسلام للمسلمين أموالهم وأعراضهم وأبدانهم وحرم انتهاكها، وشدد في ذلك، وكان من آخر ما بلَّغ به النبي ﷺ أمته فقال في خطبة حجة الوداع: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا، في بلدكم هذا**»، ثم قال ﷺ: «**ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد**»(١)، وقال ﷺ: «**كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**»(٢)، وقال ﷺ: «**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**»(٣)، وقد توعد الله سبحانه من قتل نفسًا معصومة بأشد الوعيد، فقال سبحانه في حق المؤمن: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٣]، وقال سبحانه في حق الكافر الذي له ذمة في حكم قتل الخطأ: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء:٩٢]، فإذا كان الكافر الذي له أمان إذا قتل خطأ فيه الدية والكفارة، فكيف إذا قتل عمدًا؟ فإن الجريمة تكون أعظم، والإثم يكون أكبر، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة**»(٤)، فما ظنك بتكفير المسلم وسفك دمه.

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب (حجة النبي ﷺ) برقم [١٢١٨].

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب (تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وماله وعرضه) برقم [٢٥٦٤].

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب (تحريم الظلم) برقم [٢٥٧٨].

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» باب (إثم من قتل معاهدا بغير جرم) برقم [٢٩٩٥].

ثالثًا: إن المجلس إذ يبين حكم تكفير الناس بغير برهان من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وخطورة إطلاق ذلك، لما يترتب عليه من شرور وآثام، فإنه يعلن للعالم أن الإسلام بريء من هذا المعتقد الخاطئ، وأن ما يجري في بعض البلدان من سفك للدماء البريئة، وتفجير للمساكن والمركبات والمرافق العامة والخاصة، وتخريب للمنشآت هو عمل إجرامي، والإسلام بريء منه، وهكذا كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر بريء منه، وإنما هو تصرف من صاحب فكر منحرف، وعقيدة ضالة، فهو يحمل إثمه وجرمه، فلا يحتسب عمله على الإسلام، ولا على المسلمين المهتدين بهدي الإسلام، المعتصمين بالكتاب والسنة، المستمسكين بحبل الله المتين، وإنما هو محض إفساد وإجرام تأباه الشريعة والفطرة؛ ولهذا جاءت نصوص الشريعة قاطعة بتحريمه محذرة من مصاحبة أهله، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴾ [البقرة:٢٠٤-٢٠٦].

والواجب على جميع المسلمين في كل مكان التواصي بالحق، والتناصح والتعاون على البر والتقوى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [المائدة:٢]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ

ﭐلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [التوبة:٧١]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر:١-٣].

وقال النبي ﷺ: «**الدين النصيحة**»، قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»(١)، وقال -عليه الصلاة والسلام-: «**مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسَّهر والحمَّى**»(٢)، والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

ونسأل الله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يكف البأس عن جميع المسلمين، وأن يوفق جميع ولاة أمور المسلمين إلى ما فيه صلاح العباد والبلاد وقمع الفساد والمفسدين، وأن ينصر بهم دينه، ويعلي بهم كلمته، وأن يصلح أحوال المسلمين جميعًا في كل مكان، وأن ينصر بهم الحق، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه»(٣).

وبمثل هذا القرار أصدر مجمَع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة يفيد تحريم التكفير وما ينتج عنه من الأعمال الإرهابية(٤).

٣ - أثر وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد:

---

(١) أخرجه: مسلم في «صحيحه» باب (بيان أن الدين النصيحة) برقم [٥٥].

(٢) أخرجه: مسلم في «صحيحه» باب (تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم) برقم [٢٥٨٦].

(٣) «مجلة البحوث الإسلامية» (٥٦/ ٣٥٧-٣٦٢).

(٤) ينظر: «مجلة مجمَع الفقه الإسلامي» العدد الثاني (ص١٨١) قرار رقم [١٤٨] صادر في الدورة الثانية والثلاثين بتاريخ ١٢/ ١/ ١٤٠٩هـ، والعدد الخامس عشر (ص٤٩١) الدورة السادسة عشرة بتاريخ ٢١-٢٦/ ١٠/ ١٤٢٢هـ.

للمسجد أهمية عظيمة في قلوب المسلمين، فهو المكان المطمئن الآمن الذي يجتمعون فيه خمس مرات لأداء الصلاة المفروضة، يجمعون فيه أمرهم، ويتشاورون فيه لتحقيق صلاحهم وفلاحهم، ويتعاونون فيه على البر والتقوى بينهم، لحل المشكلات التي تحيط بهم، وصد العدوان عن دينهم وأنفسهم وأموالهم.

وهو المدرسة الأولى التي تعنى بالإنسان المسلم سُلُوكًا وعقيدةً وروحًا، وقد تربى فيه الصّحْبُ الكرام في عهد الرسول ﷺ وخلفائه، وتجسدت الخصال الحميدة فيهم من صدق في القول، وإخلاص في العمل، وقوة في العقيدة، فنتج عن ذلك سلوك إسلامي فريد[(١)].

وها هو يواصل مسيرته الربانية وعطاءه المِدْرار في خير الدِّيَار، وذلك بالتوجيه إلى المنهج الشرعي السديد في الاعتقادات والعبادات والمعاملات، والتحذير من مواطن الشبه والافتراءات، والمشارب التكفيرية والتفجيرية والمحرمات، عبر الدروس والندوات والمحاضرات. كما أن لخطبة الجمعة الأثر الكبير في إرشاد الناس، وتوجيههم ووعظهم وتحذيرهم، وبيان مواطن صلاحهم وعِزِّهم ورَشادِهم، فكلما كان الخطيب أو الواعظ على دراية واسعة ومعرفة تامة بأمور الدين، ومتمكنًا من العلوم الدينية، وواسع الاطلاع والمعرفة، وذا منهج وأسلوب متميز، كانت استجابة الناس له وتأثيره فيهم أسرع وأقوى، لذلك يجب أن يكون أئمة المساجد وخطباؤها

---

(١) ينظر: «دور المسجد في الإسلام» لعلي محمد مختار (ص٦٨) بتصرف.

والوعاظ والمرشدون مؤهلين تأهيلًا شرعيًا وعلميًا وخلقيًا حتى يتمكنوا من تقديم الخطب النَّافعة الآسرة، والدروس الدينية التي تناقش الأحداث المعاصرة واليومية، والتي تهتم بها جماهير الأمة حتى يكونوا بعيدين عن التعصب والغلو، ويكون المسجد خير وسيلة للوقاية من العنف والتكفير والتطرف[1]، فدور المسجد كبير في الوقاية من الجرائم بمختلف أنواعها متى كان القائمون عليه ملمين برسالته الدينية والدنيوية، وذلك هو الأمل والرجاء في مساجد هذه البلاد المباركة -بحمد الله.

٤ - أثر الجهات الأمنية في القضاء على التكفير:

وتتضافر الحلقات الذهبية في هذه البلاد السنية مع الجهات الأمنية؛ لاستئصال شأفة هذا الفكر الضار، ومن صور تلك التضافر ما تقوم به وزارة الداخلية العتيدة، حيث تنهضُ بالعبء الأكبر، والنَّصِيبِ الأوفر، والعزيمة الفولاذية المتألِّقة، في اجتثاث التطرف وفكره، والقبض على سدنته، ولها -بعد توفيق المولى سبحانه- الجهود الدءوبة الساهرة التي لا تكل، والتّفاني السَّبَّاق الذي لا يمل، وآثارُها في هذا الثّغْر كالشمس الساطعة، حيث الانتصارات المتتالية في إحباط المـؤامَرَات، وهتك المكيـدات، كل ذلـك مع التوكـل الصادق على الباري -تبارك وتعالى- في نصْرِه وتأييده ومَعِيَّته، في دحر الظلم والظالمين، يوضح ذلك: الإدراك العميق لدى الوزارة، وإحاطتها الشاملة بخبايا فكر التكفير، وأغراضه الدنيئة في العالم، وكونه دَمِيم القَسَمات

(١) ينظر: «دور المؤسسات الاجتماعية والأمنية في مكافحة الإرهاب» لمحمد عيد (ص١٥٢).

حيال نور الشريعة، وأنه لا يَمُتُّ لها في نقير ولا قطمير، يتضح ذلك في الكلمة التوجيهية التي تفضل بها رجل الأمن الأوَّل الأمير نايف بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ أمام أعضاء لجنة تنظيم مؤتمر التكفير، حيث قال: «إن هذا المؤتمر يهدف إلى تكوين فكر إسلامي أصيل يحارب التطرف، ويصون أفراد الأمة من مخاطره وآثاره السلبية، ويسهم بفعالية في معالجة ظواهر الغلو والتطرف والتكفير، وأؤكد على ضرورة الإعداد الجيد والمتابعة المستمرة والعمل الجاد؛ لتحقيق أهداف المؤتمر المتمثلة في إيضاح الحكم الشرعي للتكفير، وبيان الجذور الفكرية والتاريخية لظاهرة التكفير، والوقوف على أسبابها وإبراز أخطارها وآثارها، وتقديم الحلول المناسبة لعلاجها».

٥ - أثر الجامعات ودُورِ العِلْم والمدارس في المملكة:

تمثل الجامعات ودور العلم والمدارس الوسط العلمي الذي ينهل منه الطالب القيم الاجتماعية والثقافية في المجتمع، وفيها تتكوَّن الشخصية المرجوّة من الشباب السّوِيِّ المعتدل. ولذا يبرز لنا الدور الأمني المهم للمؤسسات التعليمية في مقاومة فكر التكفير المتطرف، والمتمثل في تنظيم الجامعات السعودية للعديد من المناشط الدعوية والثقافية، من: محاضرات وندوات ومؤتمرات وورش عمل في محاربة الفكر المتطرف، تنسلك في سلك الجهود التي تعمل على مجابهة الأفكار السامّة، ومُقَارعتها بالحجة والبرهان، وتحصين المجتمع من غوائل الفساد والإجرام، وتقليل الفرص لممارسة أي فعل أو سلوك نشازٍ مختل، وتُمَثِّل الأساس في تغيير اتجاهات الفرد وإرادته الإجرامية إن توفرت الفرصة والمقدرة لديهم لممارسة مثل هذا السلوك.

وتثمر جهود الوقاية الجامعية دون مسالك الغلو والجفاء، من خلال تكامل أداء جميع أنساق المجتمع لواجباتها العلمية والثقافية والاجتماعية الرامية لتحقيق استقرار الوطن الحبيب، فبقدر ما تنغرس القيم الأخلاقية السامية في الطالب والفرد من الأمة بقدر ما يسود ذلك المجتمع الأمن، ويرفرف على الهناء والرّخاء والاستقرار. ويقع على عاتق الأستاذ المربي والموجِّه الأثر الحيوي المهم في المحافظة على بناء المجتمع واستقراره، من خلال الدور البِنَائيِّ الذي يؤديه في وظيفتة من نقل للمعايير والقيم في المجتمع.

٦ - أثر وسائل الإعلام:

أمَّا الإعلام فإنّه السِّلاح الفاتك المَضَّاء في هذا العصر، بِتقاناته المتطوِّرة، ووسائله المُتَنوِّعة، وذلك إن مُنِي بِنُفوسٍ ضعيفة أو شرِّيرَة، هَمّها الإفساد الخُلُقي والرُّوحي، والحضاري. وفي الوقت ذاته يُعَدُّ الإعلام الوَجه المُشرِق، لِجمالِيّات الدِّين والمجتمع، والحصن الحصين دون مكايد المتربِّصين بالدِّين وأحكامه، وإن من أمثل وسائل الإعلام والاتصال التي تحارب الأفكار البائدَة، والمذاهب الكائدة، إعلام بلاد الحرمين الشريفين -حماها الله سبحانه- ذلك الإعلام المؤسَّس على العقيدة الصَّحيحة، والمعلومة الهادفة البَنَّاءة، والمنهج الوسطي المعتدل، ومن آثاره المَسْؤُولة، نَشْر الأخبَار الصَّادِقة الصحيحة، وسعيها الدؤوب في القضاء على الجريمة بكافة ضروبها، وفضح أخْبَار طُغمة الفكر التكفيري، وكشف مخططاتهم، والتنبيه لأخطارهم، والتحذير من شبههم وجهالتهم وتغريرهم بالشباب، سواء عبر الصحافة، أو الإذاعة، أو القنوات، أو الشبكات، سَعْيًا إلى تحقيق الحِس الأمْنِي لدى

المواطن؛ كي يُصَان عن لوثاتِ أهل العبث والإفساد والإجرام، وتحقيقًا للتواصل بين رَجُل الإعلام وأفراد الأمّة، للقضاء على كلِّ بادِرَةٍ من شأنها أن تؤثر في أمن المجتمع وطُمَأنينته، بَلْ وللتواصل في الإبلاغ عن مآرب المفسدين وأعيانهم، وذلك هو النموذج الفريد للأمة المتراصة المتماسكة.

ومن الآثار المهمّة للإعلام: نشر الانتصارات التي يُحْرِزُها رجال الأمن الصَّنَاديد بين الفينة والأخرى، على الفئة الباغية، وبثّ اللِّقاءات، والندوات، والمؤتمرات، عبر شبكات المعلومات «الإنترنت»، وكل ما له صِلَةٌ بعلاج فكر التكفير وكيفية السيطرة عليه، مِمَّا يُورِث الاطمئنان لدى المجتمع، وكون عُيونٍ باسلة أمينة، تسْهر على حِفظه ورِعَايته، تحقيقًا لقوله ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسَّهر والحمَّى**»(١).

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب (تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم) برقم [٢٥٨٦].

المطلب الثاني: جهود المملكة في دعم وترسيخ الحوار الوسطي:

تسعى المملكة دائما إلى إقامة اللقاءات الوطنية للحوار بين أبناء الوطن، كما تحرص على دعم وترسيخ الحوار البنّاء بين أبناء الشعوب المختلفة، ولها في هذا المجال أيادٍ بيضاء أشاد بها البعيد قبل القريب.

أولًا: جهود الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لقد جاء الملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ وعموم الجزيرة العربية كانت بلاد متناحرة تعيش على هامش التاريخ، ثم بفضل الله عز وجل أولا وآخرا ومنّة منه سبحانه ثم بسبب هذه القيادة المباركة على يد المؤسس الملك الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثم أبنائه البررة من بعده، والذين قاموا جميعًا بالمسئولية حتى صارت هذه البلاد الممزقة المتناحرة والتي كانت تعيش على هامش التاريخ صارت هي البيت العربي ودار المسلمين وارتفعت مكانتها، حتى غدت شريكًا مع الكبار في صنع القرار، وما كان ليتم ذلك لولا ما بنت عليه نظامها ومنهجها على الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح من الوسطية والاعتدال، وهذا هو البنيان المتين الذي أرساه وأسس عليه الملك المؤسس هذه الدولة.

يقول الملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «خطتي التي سرت ولا أزال أسير عليها هي: إقامة الشريعة المحمدية، كما أنني أرى من واجبي ترقية جزيرة العرب، والأخذ بالأسباب التي تجعلها في مصاف البلاد الناهضة، مع الاعتصام بحبل الدين الإسلامي الحنيف»[1].

---

(١) الوجيز (٢١٥).

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أنا داعية إلى عقيدة السلف الصالح»[١].

وصاحب هذا القول والتصريح تطبيق على أرض الواقع، حيث عمل على وحدة أبناء الشعب وتآلفهم واتحاد صفهم، فوحدهم تحت مسمى دولة واحدة المملكة العربية السعودية وراية واحدة وحكم واحد، فطبق ما كان يقوله: «أنا مسلم، وأحب جمع الكلمة وتوحيد الصف، وليس هناك ما هو أحب إلي من تحقيق الوحدة»[٢]، وقوله: «يجب أن تحرصوا على العمل، والعمل لا يكون إلا بالتساند والتعاضد»[٣].

وهذا نظر ثاقب منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لأن المملكة العربية السعودية شبه قارة، وفيها قبائل متعددة، فلا يمكن أن تكون حصنًا منيعًا ضد أي أفكار دخيلة إلا بالوحدة والوقوف صفًّا واحدًا، ولا يكون ذلك إلا بتطبيق شرع الله وجمع الناس على الدين القويم الذي يعطي كل ذي حق حقه، وهو الذي جمع بين أقطار العالم الإسلامي في زمن الخلافة الإسلامية مع تنوع ثقافاتهم وتعدد لغاتهم؛ ولذلك فتح رَحِمَهُ ٱللَّهُ قلبه وأبوابه لعموم شعبه، ويكرر رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله: «إني أعتبر كبيركم بمنزلة الوالد، وأوسطكم أخا، وصغيركم ابنًا، فكونوا يدًا واحدة، وألفوا بين قلوبكم؛ لتساعدوني على المهمة الملقاة على عاتقنا»[٤].

---

(١) الوجيز (٢١٦).

(٢) الوجيز (٢١٦).

(٣) الوجيز (٢٠٧).

(٤) من شيم الملك عبدالعزيز (٣/ ١٣٠).

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا لم ننصف ضعيف قومنا ولم نأخذ على يد الظالم وإذا لم ننصح لإخواننا وأبنائنا ونسهر على مصالحهم؛ نكون قد خنَّا الأمانة المودعة إلينا»(١).

وكان من منهجه المشاورة لأبناء شعبه، فكان كثير التشاور لمن يحضر مجالسه العامة، وكذلك في مجالس أهل العلم، وحين يلتقي برؤساء القبائل والعشائر وحين يلتقي بالقضاة والإداريين والعسكريين والاقتصاديين والسياسيين، فالشورى عنده صلة مباشرة بين الراعي والرعية ومشاركة في المسئولية.

ومع كل هذا الاهتمام الداخلي لم يغفل الجانب الخارجي فكان على اطلاع ومعرفة بما يحصل خارج البلاد في الدول الإسلامية وغيرها، وله سياسة معتدلة، مبنية على قواعد شرعية ومصالح مرعية.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن علينا للدول الأجنبية حقوقًا ولها علينا حقوق، لهم علينا أن نفي لهم بجميع ما يكون بيننا وبينهم من العهود، ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الاسراء:٣٤]، والمسلم العربي يشين بدينه وشرفه أن يخفر عهدًا أو ينقض وعدًا، والصدق أهم ما نحافظ عليه، علينا أن نحافظ على مصالح الأجانب ومصالح رعاياهم المشروعة محافظتنا على أنفسنا ورعايانا، بشرط ألا تكون تلك المصالح ماسَّة باستقلال البلاد الديني أو الدنيوي، تلك حقوق يجب علينا مراعاتها واحترامها وسنحافظ عليها ما حيينا إن شاء الله تعالى.

---

(١) الوجيز (٢١٤).

وأما حقوقنا على الدول ففيما يتعلق بهذه الديار نطلب منهم أن يسهلوا السبل إلى هذه الديار المقدسة للحجاج والزوار والتجار والوافدين، ثم إن لنا عليهم حقًّا فوق هذا كله، وهو أهم شيء يهمنا مراعاته، وذلك أن لنا إخوانًا في الديار النائية والقصية، إخوانا من المسلمين ومن العرب نطلب مراعاتهم وحفظ حقوقهم؛ فإن المسلم أخو المسلم يحنو عليه كما يحنو على نفسه في أي مكان.

وإني أؤكد لكم أن المسلمين عمومًا والعرب خصوصا كالأرض الطيبة، كلما نزل عليها المطر أنبتت نباتًا حسنًا، وأن المطر الذي نطلبه هو الأفعال الجميلة من الحكومات التي لها علاقة بالبلاد التي يسكنها إخواننا من العرب ومن المسلمين»[(١)].

وكان الوضع الاجتماعي المتصارع، ويمثل عائقًا كبيرًا للدعوة، وذلك أن الداعي إلى الإسلام والخير يكون منسوبًا لإحدى القبائل، وهذا كافٍ لئلا يسمع منه باقي القبائل، وإن كان ما يدعو اليه هو الخير بعينه، بل إن حياته مهددة بالخطر إن كان خارج حدود قبيلته.

جاء الملك عبد العزيز الذي حرص على أن يزيل هذا الحاجز من طريق الدعاة، فآخى بين هذه القبائل اقتداء بالنبي ﷺ حين آخى بين الأنصار والمهاجرين، وهم قبيلتان مختلفتان، فحصل بسبب ذلك بين هذه القبائل من التآخي والمحبة الشيء الكثير.

---

(١) الوجيز (٢١٤-٢١٥).

فكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ أول ولاة الأمر السعوديين الذي نظم ولاية الحسبة بشكل رسمي، فأنشأ هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحجاز سنة ١٤٣٥هـ، وفي نفس العام وضع حجر الأساس لديوان المظالم في شكله الأول، والذي كان يعرف بصندوق الشكاوى، وابتداء من سنة ١٣٥٠هـ خصص الملك ساعتين من وقته يوميا للنظر في الشكاوى المقدمة من المتظالمين[١].

وقرر الملك أن تكون هذه الهيئات في جميع البلدان، وكتب إلى العاملين بهذه الهيئات، والمهام الموكلة إليها في مجال العبادات والمعاملات وأحكام الشريعة، من المحافظة على الصلاة وأداء الزكاة وصيام رمضان، وتأديب المخالف في ذلك، وتأديب من وجد منه غش أو خيانة في المعاملات أو معاملات محرمة، وأنها مسئولة عن الأوقاف وإيصالها لأهلها.

ولما توحدت الدولة ودخلت دور الدولة الحديثة في العديد من المجلات تنوعت المعاملات وظهرت نظم ومؤسسات إدارية حديثة احتاج إلى إحلال جهات متخصصة محل هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع استمرار قيامها بعملها في مجالها الرئيسي وهو الحسبة، فأنشئت وزارة التجارة لحماية المستهلك ومكافحة الغش التجاري، ووزارة الشؤون البلدية والقروية في مراقبة المكاييل والموازين والأسواق العامة، وتم عمل تنظيمات في القضاء حيث عُين في الرياض قاضيان قاضٍ للحاضرة وقاضٍ للبادية، وأُرسل عدد

---

(١) د. محمد كمال إمام، أصول الحسبة في الإسلام ص١٤٨.

من العلماء إلى كافة المناطق والقبائل ليتولوا القضاء بينهم، مع تعليم الناس أمورهم، ونشر تعاليم الدين الإسلامي، وإزالة العادات الجاهلية السيئة[١].

وهكذا شرع الملك عبد العزيز يتبع القول بالعمل في مجال تطبيق الأحكام الشرعية في كل الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والأحوال الشخصية، وفي كل مناحي الحياة.

وحرص رَحِمَهُ ٱللَّهُ على إزالة كل ما يضاد المعتقد السليم ويناقض ما قام عليه هذا الدين القويم، فهدم الأضرحة والقباب المقامة على القبور؛ لتنافيها مع العقيدة الصحيحة؛ لما في ذلك من تعلق الناس بغير الله واللجوء إليها حيث كان الناس يتوجهون إليها بقصد التبرك وقضاء الحاجات، بما يعد مخالفة صريحة للدين الإسلامي الداعي إلى توحيد الله في العبادة وإخلاص الدين له وحده سبحانه وقد حرم الدين الإسلامي مثل هذه الأمور، كما في حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: **ألا تدع قبرًا مشرفًا إلا سويته، ولا صورة إلا طمستها**»[٢].

ومنع سبَّ الصحابة على المنابر وفي المحافل.

ومنع تعدد الجماعات في المساجد، فقد كانت بدعة التعصب المذهبي ضاربة بجذورها في المجتمع، فكان يقام في المسجد أربع جماعات، لكل أهل

---

(١) الدعوة في عهد الملك عبد العزيز، تأليف د. محمد بن ناصر الشثري، الجزء الأول.

(٢) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر، برقم (٩٦٩)

مذهب جماعة، وكان له الأثر الكبير في التفرق لكلمة المسلمين والتحريش بينهم، فقضى على ذلك وأعاد للمسلمين وحدة جماعتهم في الصلاة.

ولم يغفل جانب التعليم النظامي، بل اهتم بفتح المدارس بأنواعها ومراحلها المختلفة، وشجع الناس على الدراسة بها، وجعل التعليم مجانًا حتى يتعلموا أمور دينهم والعلوم الدينية النافعة، وأمر بتشكيل «مديرية المعارف العامة»، ووضع نظمًا وقواعد تضمن حسن سير العملية التعليمية وانتشارها.

وأُنشِئ في عهده المدارس الابتدائية في معظم المدن والقرى والهجر والمدارس الثانوية في المدن الكبار، وأنشئت عدد من المعاهد وأقسام الشريعة، واستجلب عدد من أصحاب العقيدة الصحيحة السليمة للإقامة في المملكة والتدريس في مدارس المملكة.

وأمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ بطباعة كثير من الكتب والمخطوطات التي تعنى بالعلم النافع والعقيدة السليمة الصحيحة.

فكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ حريصا على نصرة العقيدة الصحيحة السليمة الداعية إلى الوسطية والاعتدال، والمنابذة للتطرف والغلو، فنشر العلم وحارب الجهل وبصَّر الناس بأمور دينهم، وسلك في تحقيق ذلك سبلًا ووسائل متنوعة[1].

فأسس دولة إسلامية مستقلة، دستورها القرآن، فقوانينها مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه السلف الصالح، وقد ثبت معه

---

(١) عناية الملك عبد العزيز بالعقيدة الإسلامية، د. محمد الخميس (ص٩٤).

الدعاة المخلصون في الجزيرة العربية، حتى نصرهم الله وأيدهم، فكانت كلمة الله هي العليا، فتوفر الأمن والأمان وضبطت حركة الحياة، وأصبحت هذه البلاد بحمد الله حاملة لرسالة الإسلام وقائدة للمسلمين[1].

ثانيًا: جهود الملك سعود بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

تولى الملك سعود بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ مقاليد الحكم بعد وفاة والده الملك المؤسس رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ١٣٧٣هـ، وكانت له مساع كثيرة فيما من شأنه أن يكرس للوسطية والاعتدال في بلاد الحرمين، ومن ذلك أنه كان يصب جل اهتمامه على قضية التعليم لما لها من كبير الأثر في نشر الوسطية: برفع الجهل، والارتقاء بالمستوى الثقافي والعلمي للفرد والمجتمع، فأسس وزارة المعارف سنة ١٣٧٣هـ، وتولاها حينها أخوه الأمير فهد بن عبد العزيز، وفي عهده افتتحت أول جامعة في الجزيرة العربية، ألا وهي جامعة الملك سعود سنة ١٣٧٧هـ، وفي عهده افتتحت مدارس خاصة بتعليم البنات؛ لعلمه بأن المرأة شقيقة الرجل في بناء الوطن، وهكذا في المجال الاجتماعي قام بتأسيس وزارة العمل والشؤون الاجتماعية.

وفي مجال الزراعة والتجارة والمواصلات، وكذا المجال الصحي حيث أُنشئ في عهده عدد من المستشفيات في أنحاء المملكة، ولاشك أن الاعتناء بجميع مقومات الحياة الدينية والدنيوية من أكبر العوامل المساعدة على بث روح الوسطية والاعتدال في جميع المجتمعات.

---

(١) الدعوة في عهد الملك عبد العزيز، د.محمد ناصر الشثري.

ثالثًا: جهود الملك فيصل بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

مشى الملك فيصل بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ على خطى والده وأخيه - رحمهم الله-، وكان له دور بارز في تطوير التعليم العام والتعليم الجامعي، فزاد من عدد الكليات وعدد المدارس في كل قرية ومدينة، وازداد عدد الطلاب واستقطب آلاف المدرسين العرب للرفع من مستوى التعليم، وتوسعت وزارة المعارف في عهده في إرسال البعثات العلمية إلى الخارج لتحصيل التخصصات العلمية والفنية الدقيقة، مما كان له كثير الأثر في تطوير مسلك التعليم في البلاد، وأولى عناية عظيمة بالمجال الصحي والاقتصادي والزراعي، وساهم في تطوير البلد والنهوض بها إلى مستوى أرقى، وكانت له عناية خاصة بالقضايا الإسلامية، وعلى رأسها القضية الفلسطينية، وساهم في رفع الظلم عن المظلومين، وتبنّى مشروع حركة التضامن الإسلامي الرامية إلى إقامة تعاون وثيق بين الدول الإسلامية في العالم، وغيرها من المشاريع التنموية التي كان لها كبير الأثر في تعزيز مفهوم الوسطية والاعتدال وإقامة العدل وإنصاف الضعيف وإغاثة الملهوف.

رابعًا: جهود الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

تولى الملك خالد بن عبد العزيز الحكم بعد الملك فيصل رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ١٣٩٥هـ، وسار على نهج والده وإخوانه، فاعتنى بالجانب الصناعي، فأنشأ عدة شركات صناعية كبرى في المملكة، كما اعتنى بالجانب العلمي فأنشأ جامعة الملك فيصل في الأحساء وأم القرى في مكة المكرمة، وزاد من عدد الكليات والمعاهد، واعتنى بجانب المواصلات فأنشئت المحطات الأرضية الضخمة المتصلة بالأقمار الصناعية ووسع شبكة الاتصالات السلكية

واللاسلكية، وزاد من عدد المحاكم الشرعية وفروع الوزارات والمصالح الحكومية وزاد من رواتب موظفي الدولة، كل ذلك في سبيل خدمة المواطن وتسهيل مصالحه.

ولاشك كما تقدم أن العناية بالجانب العلمي والاقتصادي والوظيفي والدخل القومي للفرد والمجتمع يساعد على نشر الوعي وبث مبادئ الوسطية والاعتدال في المجتمع.

خامسًا: جهود الملك فهد بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قام الملك فهد بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ بإنشاء مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، ليكون قناة فاعلة للتعبير المسئول، وصاحب الأثر الفاعل في نشر القيم الإنسانية، من خلال الحوار الوطني. وذلك من خلال تحقيق الأهداف التالية:

أولًا: الإسهام في صياغة الخطاب الإسلامي الصحيح المبني على الوسطية والاعتدال داخل المملكة وخارجها من خلال الحوار البناء.

ثانيًا: معالجة القضايا الوطنية من اجتماعية وثقافية وسياسية واقتصادية وتربوية وغيرها وطرحها من خلال قنوات الحوار الفكري وآلياته.

ثالثًا: ترسيخ مفهوم الحوار وسلوكياته في المجتمع ليصبح أسلوبًا للحياة ومنهجًا للتعامل مع مختلف القضايا.

رابعًا: توسيع المشاركة لأفراد المجتمع وفئاته في الحوار الوطني وتعزيز دور مؤسسات المجتمع المدني بما يحقق العدل والمساواة وحرية التعبير في إطار الشريعة الإسلامية.

خامسًا: تفعيل الحوار الوطني بالتنسيق مع المؤسسات ذات العلاقة.

سادسًا: تعزيز قنوات الاتصال والحوار الفكري مع المؤسسات والأفراد في الخارج.

سابعًا: بلورة رؤى إستراتيجية للحوار الوطني وضمان تفعيل مخرجاته.

ولقد أثمر الزرع ثمارًا نضيجة؛ حيث تعمقت الوحدة الوطنية في إطار العقيدة الإسلامية، وتم معالجة الكثير من القضايا الوطنية من خلال قنوات الحوار الفكري، وتعميق الخطاب الإسلامي المبني على الوسطية والاعتدال، والتمثل بمحاسن الأقوال والأعمال.

سادسًا: جهود الملك عبد الله بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم أتحفنا خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتأسيس مركز عالمي للحوار بين أبناء الثقافات المختلفة في فيينا، حيث يهدف إلى نشر القيم الإنسانية، وتعزيز التسامح والتعايش، والسعي إلى تحقيق الأمن والسلام والاستقرار لكافة شعوب العالم.

وهذا حدث تاريخي عالمي، ويُعَدُّ علامة فارقة، ووثبة سامقة، ومنارة شاهقة، في العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب، حيث يمد جسور التواصل ويقرب وجهات النظر بين أتباع الحضارات والثقافات المختلفة.

ولخادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ سعي حثيث مبارك يسهم أيما إسهام في رقي المجتمعات الإنسانية نحو الكمالات التي جاءت بها الرسالات السماوية.

وإن مركزا عالميًا للحوار في بلاد الغرب يحظى بفكر ودعم ورعاية خادم الحرمين الشريفين لهو رسالة عملية قوية للعالم أجمع، أن بلادنا -بلاد الحرمين الشريفين- رائدة الحوار البناء الهادف، وأن ديننا الحنيف هو دين الحوار والتفاهم، وليس دين التصادم والعصبية والعداء والعنف.

وبلادنا دائما تدعم وتشجع ثقافة الحوار وثقافة اللاعنف، وتعمل على ترسيخ آليات الحوار بين أتباع الشرائع والثقافات في العالم من أجل تعزيز التعايش بين شعوب العالم ومكافحة العنف والتطرف ونشر ثقافة السلام.

سابعًا: جهود خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز حفظه الله:

كرَّس خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز منهج الوسطية والاعتدال في المملكة منذ وقت مبكر، وعمل على التصدي للفتن وإخمادها بحزم وقوة.

ويرى أن الاعتدال والوسطية منهج دولة وحكم، وهو منهجه في التعامل مع الآراء والأفكار، وهو يكرس جهده في التأكيد على ميزة هذا الجانب الذي يظهر حقيقة الدولة والمجتمع السعودي، وفي ذلك يؤكد على «أن نهج هذه الدولة منذ أن تأسست ونهج هذا الشعب، غلا من غلا وفرط من فرط، فالأكثرية الغالبة في هذه البلاد هم أمة الوسط، والحمد لله».

وفي مناسبات تكريمية لحفظة القرآن الكريم كان الملك سلمان بن عبد العزيز يحرص على تأكيد البعد الوسطي للإسلام، وفي رسالة واضحة لهم قال:

«نحن -أيها الأخوة- أمة وسط، هكذا أرادنا الله عَزَّوَجَلَّ، وأراد المسلمين جميعًا أن يكونوا كذلك؛ لذلك أنا أعتقد وأجزم أن الدعوة الإصلاحية مستمرة حتى هذا اليوم وأيامنا المقبلة إن شاء الله».

وفي افتتاح المؤتمر العالمي «الإسلام ومحاربة الإرهاب» الذي تنظمه رابطة العالم الإسلامي، بمقر الرابطة في مكة المكرمة، تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود، قال أيده الله:

«وإنكم لتجتمعون اليوم على أمر جلل يهدد أمتنا الإسلامية والعالم أجمع بعظيم الخطر، جراء توغل الإرهاب المتأسلم بالقتل والغصب والنهب وألوان شتى من العدوان الآثم في كثير من الأرجاء، جاوزت جرائمه حدود عالمنا الإسلامي، متترسًا براية الإسلام زورًا وبهتانًا وهو منه براء.

وفضلًا عن الخسائر الفادحة في الأرواح والبنيان والشتات وتقسيم الأوطان، فإن الخطر الأعظم على أمتنا أن هؤلاء الإرهابين الضالين المضلين قد أعطوا الفرصة للمغرضين المتربصين بالإسلام حتى في الدوائر التي شجعت هذا الإرهاب أو أغمضت عينها عنه، أن يطعنوا في ديننا القويم الحنيف ويتهموا أتباعه الذين يربو عددهم عن المليار ونصف المليار بجرم هذا الفصيل السفيه الذي لا يمثل الإسلام من قريب أو بعيد.

وقد سوغت جرائمهم المنكرة تجريد الحملات العدائية ضد الأمة ودينها وخيرة رجالها، وترويج صورة الإرهاب البشعة في أذهان الكثير من غير المسلمين على أنها طابع الإسلام وأمته، وتوظيفها لشحن الرأي العام العالمي بكراهية المسلمين كافة واعتبارهم محل اتهام ومصدر خوف وقلق، فضلًا عن

الحرج والارتباك الذي تعرضت له الدول الإسلامية ومنظماتها وشعوبها أمام الدول والشعوب التي تربطها بنا علاقات تعاون، حيث كادت هذه العلاقات تهتز وتتراجع في إطار موجة من الضيق بالمسلمين والتحامل عليهم، جراء هذه الجرائم الإرهابية.

أجهزتنا الأمنية تصدت للإرهابيين بلا هوادة، ولم يتوان رجالها البواسل عن ملاحقتهم، وقواتنا الجوية تشارك في التحالف الدولي لمواجهة الإرهاب.

الإخوة الأكارم، والمملكة العربية السعودية كما تعلمون لم تدخر جهدا في مكافحة الإرهاب فكرا وممارسة بكل الحزم وعلى كل الأصعدة.

فعلى الصعيد الوطني تصدت أجهزتنا الأمنية للإرهابيين بلا هوادة، ولم يتوان رجالها البواسل عن ملاحقتهم وتفكيك شبكاتهم وخلاياهم في مهدها، وبذلوا أرواحهم في سبيل ذلك، وكذا تشارك قواتنا الجوية في التحالف الدولي لمواجهة الإرهاب.

كما تصدى علماؤنا الأفاضل بالرد الحاسم على ما يبثه الإرهابيون من مسوغات دينية باطلة يخدعون بها الناس، وبينوا تحذير الإسلام من العنف والتطرف والغلو في الدين وتحزيب الأمة والخروج على ولاة أمرها، وأن الوسطية والاعتدال والسماحة هي سمات الإسلام ومنهاجه القويم، وأن من حاد عن هذا المنهاج لا يمكن أن يخدم الأمة، ولا يجلب لها إلا الشقاء والفرقة والبغضاء.

وأسهم الباحثون لدينا في الجامعات وغيرها بتقديم بحوث ودراسات رصينة عن ظاهرة الإرهاب، وتحليل أهداف الجماعات الإرهابية ووسائلها

وخططها، وإبراز أخطارها الجسيمة على المجتمعات، وكشف صلتها بالمخططات العدائية للأمة، وكيفية تسخيرها لتنفيذ تلك المخططات عن علم أو عن غفلة وغباء.

وقامت مؤسساتنا الإعلامية المتنوعة بتعرية الإرهاب وتسليط الضوء على جرائمه وتنظيماته وشخصياته، وكشفت للناس عن سلوكهم وأهدافهم وأساليبهم في إغواء الأغرار واستقطابهم.

وعلى الأصعدة العربية والإقليمية والإسلامية وضعت المملكة يدها في أيدي الأشقاء لمواجهة الظاهرة الإرهابية أمنيا وفكريا وقانونيا، وكانت هي الداعية إلى إقامة مركز الحوار بين المذاهب الإسلامية يدرأ الفتن ويجمع الأمة بكامل أطيافها على كلمة سواء.

كما عملت المملكة على مكافحة الإرهاب مع المجتمع الدولي من خلال المؤتمرات والمحافل والهيئات الدولية وكانت هي الداعية لإنشاء مركز الحوار بين أتباع الديانات والثقافات، والمؤسسة والداعمة للمركز الدولي لمكافحة الإرهاب بالتعاون مع الأمم المتحدة.

وعلى الرغم من تحقيق هذه الجهود وغيرها في الدول الإسلامية نتائج جيدة، إلا أن الإرهاب مازال يعبث بجرائمه هنا وهناك، خاصة في الأوطان العربية والإسلامية التي تعرضت لاهتزازات وقلاقل.

أمتكم الإسلامية وكل شرفاء العالم على ثقة تامة بأن تصدر عن مؤتمركم الموقر نتائج عملية.

الإخوة الأفاضل، أمام هذا الخطر الداهم الذي يتمدد وتتداعى آثاره وتتنامى شروره يوما بعد يوم، وتستعصي مواجهته الحاسمة فرادى، وإدراكا من المملكة العربية السعودية لواجباتها ومسؤولياتها تجاه أمتنا الإسلامية، جاءت دعوتي لعقد هذا المؤتمر في إطار رابطة العالم الإسلامي لتشكيل منظومة إسلامية جماعية تتصدى لتشويه الإرهاب صورة الإسلام والمسلمين في العالم، وتدرأ خطره العظيم على كيان أمتنا الإسلامية، بل وعلى العالم أجمع، بوضع خطة إستراتيجية فاعلة، نلتزم بها جميعا لمكافحة هذا الداء الوبال الذي هو صنيعة الفكر المتطرف لهؤلاء الجهال والعملاء، واستلاب ساحة الفتيا الشرعية من غير أهلها، وليّ عُنُق النصوص الأصيلة لخدمة أغراض أصحاب هذا الفكر الدنيوية، وتهييج مشاعر النشء والعامة، واستدرار عواطفهم الدينية بمبررات ما أنزل الله بها من سلطان.

وإني إذ أثمن عاليا تجاوب هذه القمم الفكرية الإسلامية لدعوتي وتداعيها إلى هذا المؤتمر بعلمها وخبراتها وإخلاصها لقضية الأمة الراهنة، أؤكد لكم أن أمتكم الإسلامية وكل شرفاء العالم على ثقة تامة بأن تصدر عن مؤتمركم الموقر نتائج عملية تعطي دفعًا منظمًا وقويا للجهود المبذولة على مسار التصدي لهذه الظاهرة الدخيلة على عالمينا العربي والإسلامي، وتقطع الطريق على الذي يستغلون هذه الآفة لخدمة أغراضهم ومآربهم على حساب مصالح أمتنا وأمن شعوبها واستقرار دولها وازدهار أوطانها.

وأن تؤسسوا لبرامج ومشاريع تتعاون فيها إعدادا وإنجازا كافة الجهات الرسمية والشعبية في عالمنا الإسلامي، تسهم في رفع مستوى الوعي لدى

الأمة بأخطار الإرهاب وأضراره وبسلبيات التقاعس عن التصدي له، أو اتخاذ مواقف حيادية منه، وبيان أن ذلك يطيل في عمره، ويثقل كاهل الجهات القائمة على مواجهته.

وأن على الجميع أفرادا ومؤسسات مضاعفة جهودهم في مواصلة مكافحة الإرهاب فكرا وسلوكا، ومحاصرة الإرهابيين حيثما ثقفوا والتحذير من تقديم أي عون لهم، أو أي من ألوان التعاطف معهم.

الحفل الكريم، أختم بالشكر لكم جميعا، ولرابطة العالم الإسلامي بقيادة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبدالله آل الشيخ رئيس مجلسها الأعلى، وأمينها العام الشيخ الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، على ما تقوم به من جهود مباركة في معالجة قضايا الأمة المعاصرة، وعلى رأسها قضية مكافحة الإرهاب، ونشر ثقافة الوسطية والاعتدال والحوار التي يدعو إليها ديننا دين الرحمة والسلام والأمن والأمان.

سائلًا المولى جل وعلا لمؤتمركم التوفيق والسداد، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

وفي عهده الميمون تسعى المملكة العربية السعودية بقيادته -أيده الله- على العمل الدؤوب في مقاومة الإرهاب والغلو في الدّين، وحرصها وتمسّكها بقيم الوسطية والاعتدال، ونبذ العنف والتطرف، وفي سعيها الجاد إلى نشر ثقافة الحوار، بعيدًا عن التخوين والتكفير وعن الاقتتال والاحتراب.

إنّ القيادة تؤسّس لقيم المواطنة، ولقواسم العيش الآمن في ظلّ التعاليم الإسلاميّة السمحة، وقد أشار خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن

عبد العزيز إلى ذلك صراحة عند لقائه المشاركين في مهرجان الجنادرية، حيث عبّر لهم عن تمسّكه وتمسّك المملكة بالوسطية والاعتدال، ونبذ الغلوّ ونشر التسامح.

ومع الدعوة إلى التسامح والحوار فقد أظهر -أيده الله- للمتربصين بأمن بلاد الحرمين أو البلدان الإسلامية المجاورة، مظهر الحزم والعزم والاستعداد بالقوة، كما أمر الله تبارك وتعالى بقوله سبحانه: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم﴾ [الأنفال:٦٠]، فأمر بـ «عاصفة الحزم» وهو قرارٌ تأريخيٌّ، جاء في وقتِه وحينِه، بل إنه ضرورةٌ شرعيَّة، ومصلحةٌ وطنيَّة، وحاجةٌ إقليميَّة، وموقِفٌ شُجاع، ورمزُ وحدةٍ وتكاتُفٍ وعزَّةٍ وإخاء، وتحالُفٍ وشُموخٍ وإباء، ونُصرةٍ وتعاوُنٍ ووفاء، وحزمٍ أتى بعد أن استنفَدَ الحليمُ جميعَ أغراضِه وطُرقِه السِّلميَّة، والحزمُ في موضعِه عينُ الحكمة والصواب.

جاء هذا القرارُ الشُّجاعُ العظيمُ درءًا للمفاسِد الكُبرى، وتحقيقًا للمصالِح العُليا، ودفعًا للباغِي الغادِر الصائِل، ورفعًا للضرَر والعُدوان الحاصِل، مُراعِيًا مقاصِد الشريعَة في حفظِ الضرورات الخمس: الدين، والنفس، والعقل، والمالِ، والعِرض. وتحقيقِ الأمنِ والاستِقرار.

جاء لنُصرةِ جارٍ مظلوم، وشعبٍ مكلُوم، وشرعيَّةٍ مسلُوبة، ومُقدَّراتٍ منهُوبة، وردعٍ للانقلابيِّين الإرهابيِّين، وصدٍّ للظالِمين المُعتَدين، المدعُومين من أجندَاتٍ خارِجيَّة، وأطماعٍ عُدوانيَّةٍ في المنطِقة بأسْرِها.

فكم هي الشُّرور والأخطار، والآثارُ السلبيةُ والأضرار، التي ستنتُجُ وتحصُلُ لبلاد الحرمين الشريفين، ولليمَن الشقيقِ، وللمنطقة العربية والإقليمية، وحتى للعالَم أجمع، جرَّاء زعزعَة الأمن والاستِقرار؟!

وهذه المبادرة جاءت تحقيقًا لقولِ النبي ﷺ: «**انصُر أخاكَ ظالِمًا أو مظلُومًا**»، فقال رجُلٌ: يا رسولَ الله! أنصُره إذا كان مظلُومًا، أفرأيتَ إذا كان ظالِمًا كيف أنصُره؟ قال: «**تحجِزُه أو تمنَعُه من الظُّلم؛ فإن ذلك نصرُه**»، متفق عليه.

وامتثالًا لقول المولَى - جل وعلا -: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

ولقد كان من أهمِّ مُنطلَقَاتِ هذا القرارِ الحكيم المُوفَّق: مدُّ يدِ العون والغوثِ لإخواننا في يمَن الإيمان والحِكمة، الذين طلبُوا العونَ والمُساعَدَة من إخوانهم وأشقَّائِهم، وتحقيقًا لواجِبِ الأُخُوَّة والنُّصرة، ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢].

ثم لما زاد العدوان والبغي من الغلاة وامتد خطرهم لكثير من البلاد الإسلامية أمر الملك سلمان ملك الحزم والعزم -أيده الله بنصره وعزه- أمر بإنشاء التحالف الإسلامي ضد الارهاب وأهله، تحالُفٌ كبيرٌ مُبارَك، تحالُفٌ يُجسِّدُ المُبادرة الأولى من نوعها في التاريخ الحديث، التي يجتمعُ فيها العددُ الكبيرُ من الدول الإسلامية المُبارَكة، تحالفٌ إسلاميٌّ عسكري لمحاربةِ الإرهابِ بجميع أشكالِه ومظاهرِه وصورِه، والقضاء على أهدافِه ومُسبِّباته، وأداءً لواجبِ حمايةِ الأمة ممن يعيثُ في الأرضِ فسادًا، فكان - بفضلِ الله - تحالفَ خيرٍ وبركةٍ.

وإن أمَّتنا وهي تسيرُ في الليالي الداجيةِ، وتغدو على صفائحَ ساخنةٍ هاجيةٍ، يقفُ لها التأريخُ ليسجِّل في سجلِّ التعاونِ والوفاقِ، والتحالفِ والاتفاقِ أنصعَ شهادةٍ، وأسمى ريادةٍ، ويُسمِع الكونَ ليدبِّجَ ما ناف عن العادةِ بهذا التحالفِ المبارك الميمونِ، الذي يُعدُّ فتحًا مبينًا، وانتصارًا عظيمًا، في قرارٍ تأريخي يرسمُ خارطةَ طريقٍ لأمةٍ، للترقِّي في مدارج النصرِ والعزَّة والتمكينِ، وليُعلِن بجلاءٍ براءةَ الإسلام من تهمة الإرهابِ.

ثامنًا: جهود وزارة الداخلية في تحقيق الوسطية والاعتدال ومكافحة الغلو والتطرف:

نفذت المملكة العربية السعودية العديد من السياسات والجهود والإجراءات الرامية إلى تحقيق الأمن الفكري، والقضاء على العوامل التي تغذي الانحراف الفكري وتدفع نحو انتشاره.

وهذه الجهود تضامنية تشارك فيها العديد من الجهات في مختلف المجالات الدينية والإعلامية والثقافية والتعليمية والاجتماعية، وتعد وزارة الداخلية من أوائل الجهات التي أبدت اهتمامًا كبيرًا في المساهمة، وتبني دورًا رياديًّا في تحقيق الأمن الفكري في المجتمع السعودي على مختلف الأصعدة.

وتبرز أهمية هذا الدور في تناول العوامل الموضوعية ومنابعها الثقافية والفكرية التي تشكل مهددات للأمن الفكري والتعامل معها ومواجهتها على أسس علمية، من أجل التعرف على بواعثه الأساسية ودوافعه الحقيقية، وبذل الأسباب الواقية من انتشاره وتناميه.

ومن الأولويات التي تدركها وزارة الداخلية أنه متى ما اطمأن الناس على أنفسهم ومجتمعهم، وعلى ما يعتقدون به من قيم وثوابت عقائدية ووطنية، وأمنوا بما لديهم من مثل ومبادئ سامية؛ فقد تحقق لهم الأمن الشامل في أسمى صوره، أما إذا تلوثت أفكارهم بمبادئ خاطئة، ومناهج دخيلة، وأفكار منحرفة، وثقافات سلبية مستوردة فقد حل بينهم ذلك التطرف الفكري الذي يهدد مجتمعهم و استقرارهم؛ لأن الأمن كل لا يتجزأ، فكل محاولة للإخلال بالأمن الحسي يسبقها إخلال بالأمن الفكري، والفكر هو مناط السلوك، فإذا صلح الفكر أصلح الطوية والتعامل الحسن، وإذا فسد أو انحرف نتج عنه أعمال مخلة بالأمن والاستقرار.

ومن هذا المنطلق قامت وزارة الداخلية بدور حيوي في مواجهة الانحرافات الفكرية ومعالجتها من خلال استخدام الأساليب الحديثة المبنية على الدراسات والأبحاث العلمية، التي قادتها إلى استراتيجية فعالة (وتدعى: وتر) متمثلة في عناصر ثلاثة هي: وقاية، تأهيل، رعاية.

ومتعاونة في ذلك مع المؤسسات الحكومية والأهلية، خاصة مؤسسات التنشئة الاجتماعية، في ظل رؤية تهدف إلى تشجيع المشاريع التنموية التي تسعى إلى رفع قيمة أفراد المجتمع، وتحسين أوضاعهم المادية والمعنوية.

وفي تعاملها مع ظواهر الانحراف الفكري تكون وزارة الداخلية قد انتهجت أسلوبين مكملين لبعضهما، فبجانب الإجراءات الأمنية لمواجهة التطرف والإرهاب، قامت وزارة الداخلية بجهود متعددة على المستوى الفكري بالتعاون مع الجهات المعنية على وقف المصادر الفكرية التي تبث الفكر المنحرف، مع العمل على معالجة ذلك الفكر.

ويأتي في مقدمتها برامج المناصحة، وإعادة التأهيل، والرعاية اللاحقة، والمساهمة في الرسالة الإعلامية الأمنية من أجل تحقيق الأمن الفكري للمجتمع السعودي.

وأنشأت وزارة الداخلية إدارة مستقلة تهتم بهذا الجانب بمسمى «الإدارة العامة للأمن الفكري»، وقد حرصت هذه الادارة على التواصل بمؤسسات التنشئة الاجتماعية مثلًا: وزارة الشؤون الإسلامية، ووزارة التعليم، ووزارة الإعلام والأسرة، وتواصلت معها لإقامة مناشط مشتركة في مجال تحصين الشباب، وفي مجال مواجهة هذه الأفكار الضالة وتوعية الشباب.

تاسعًا: جهود الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي في تعزيز الوسطية والاعتدال ومواجهة الغلو والتطرف:

أولا: منبر الحرمين الشريفين:

لا شك أن لمنبري الحرمين الشريفين أثرهما الكبير لدى عموم المسلمين الذي يصل سماعهما ومشاهدتهما إلى شتى أنحاء العالم، ويتجدد صوت أئمة الحرمين الشريفين من فوق منبريهما للحديث عن منهج العلماء الربانيين الراسخين في العلم في النوازل والأزمات والمحن مع التأصيل العلمي للحدث، والاستدلال عليه من الكتاب والسنة، وإبراز الفكر الوسطي المعتدل من مصادره الأصيلة، وإيضاح دور الشريعة الإسلامية في حمايتها للضرورات الخمس، وإبراز دور العقيدة في الوفاء للوطن، والمحافظة على ثرواته وأمنه،والتوعية بأهمية الأمن والتذكير بنعمته، والتحذير من الإخلال به، والتأكيد على عظم مهمة رجال الأمن، وإشاعة روح الأخوة والتعاون على البر والتقوى، وبيان حقوق ولاة الأمر، ودورهم في إحقاق الحق وإخماد الفتن والحفاظ على الوحدة الوطنية، والتأكيد على السمع والطاعة لولاة الأمر، والتأكيد على الرجوع إلى أهل العلم الراسخين.

يتم ذلك في وضوح للعبارات، وتنوع في أساليب الطرح، وصراحة وشفافية في الحديث.

ونظرا لأن من رواد البيت الحرام من لا يتحدث اللغة العربية فقد حرصت الرئاسة على الترجمة الفورية لخطب الحرمين الشريفين لعدة لغات، فيستمع الخطبة بلغته التي يفهمها، كما اهتمت الرئاسة بشريحة من المصلين

غالية وهم الصم والبكم، فخصصت مواقع لهم يتم ترجمة الخطبة فوريا لهم بلغة الاشارة.

ثانيًا: الدروس العلمية في رحاب الحرمين الشريفين:

تنتظم كراسي الدروس العلمية لأصحاب الفضيلة المشايخ المنتظمين بصفة دائمة، وأصحاب الفضيلة أعضاء هيئة كبار العلماء، وأصحاب الفضيلة المشايخ من المشهود لهم بالعلم والفضل في المواسم ومختلف أيام السنة، ويركز فيها على الجانب العلمي المؤصل المبني على الكتاب والسنة، ويراعى في الدروس العامة ما يحصن الشباب من الأفكار الهدامة، وما يدعو إلى الوسطية والاعتدال.

ثالثا: إنشاء معهدين وكليتين في الحرمين الشريفين:

وهما: معهد الحرم المكي، ومعهد المسجد النبوي، يَدْرُس فيهما الطالب ست سنوات مرحلتي المتوسطة والثانوية. وكلية الحرم المكي، وكلية المسجد النبوي، وتعادلان مرحلة البكالوريوس، وفي كل كلية ثلاثة أقسام: الشريعة، والقرآن وعلومه، والسنة وعلومها.

وقد تم اختيار المعلمين فيها من أصحاب الكفاءة العلمية والتربوية، أصحاب القدوة الحسنة في العلم والعمل والأخلاق.

ويركز التعليم فيها على: غرس العقيدة الصحيحة، وفهمها فهمًا سليمًا من خلال مصادر التشريع الكتاب والسنة، وثراء المناهج الدراسية بما يحقق الوسطية والاعتدال في السلوك والمنهج، وما يربي الطالب على الوحدة وعدم الافتراق، واحترام العلم والعلماء، والتحصين ضد الأفكار المنحرفة.

رابعا: الحلقات القرآنية والمقرأة الإلكترونية، وحفظ المتون العلمية:

فإيمانا من الرئاسة بما لحلقات القرآنية والمقرأة الإلكترونية والمتون العلمية من أثر كبير في تقوية الوازع الديني لدى الشباب، حيث يتربون على كتاب الله وتعظيمه وتدبره، وإكسابهم الإيمان بالله والعمل الصالح والإخلاص وأداء الواجب، والإنتاج المثمر؛ أقامت حلقات قرآنية في الحرمين الشريفين، وبرنامجًا لحفظ المتون العلمية، وذلك بحفظ أشرف كتاب، وحفظ كلام العلماء الأصيل في مختلف الفنون الشرعية.

خامسًا: إنشاء إدارتين باسم: إدارة الأمن الفكري، في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة:

وتهدف إلى: توضيح العقيدة الصحيحة، ومنهج التلقي الصحيح عن السلف الصالح، مع ترسيخ مفهوم الفكر الوسطي المعتدل الذي تميز به الدين الإسلامي الحنيف، وربط شباب الأمة بالعلماء الموثوقين، وإبراز أقوالهم وفتاواهم، والتحذير من الدعاوى التي تسعى لهدم الدين الصحيح، وتعمل على تحطيم الأخلاق والسلوك القويم، والتحصين ضد التيارات الفكرية الضالة، والتوجهات المشبوهة.

فسارعت في تنظيم عدد من المحاضرات والندوات والدورات العلمية، وطبعت عددا من الكتب، والتي تختص ببيان المنهج الوسطي الصحيح المحافظ على الأمن الفكري لدى المسلم والنشء.

سادسا: إصدار الرئاسة عددا من الكتب والمطبوعات:

التي تهتم ببيان المنهج الوسطي المعتدل المبني على الكتاب والسنة، وبعدة لغات، وتوزيعه على رواد بيت الله الحرام؛ لننشر سماحة هذا الدين العظيم في جميع أرجاء المعمورة.

عاشرًا: جهود وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف وهيئة كبار العلماء:

وهذا العبء الثقيل تتحمله جهات كثيرة داخل المملكة فبجانب وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، نرى الرئاسة العامة للبحوث الإسلامية، والرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولوزارة الداخلية دور لا ينكر في هذا الأمر فكم حاورت الشباب الذي يستميله النهج المتطرف وناصحته.

وقد أطلقت وزارتا الداخلية، والشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد حملتا «لجان المناصحة» و«السكينة»؛ لتجفيف منابع الغلو، وقد نجحتَا - بحمد الله- في التحاور مع العديد من الذين يميلون إلى الغلو في الفكر، والفيئة بهم إلى رياض الحق والهدى والوسطية والاعتدال، وذلك بالأسلوب الأمثل الصائب، والقول الشفيق الرقيق الذي يتسلل إلى القلوب في لُطْفٍ ورحمةٍ وصفاء. كما حرصت الجهات المعنية في حوارها مع أصحاب الفكر الضالّ على محورين مهمين: الأول يخص الوقاية من المغالاة في الفكر والتصدي له، أما الثاني فتكفَّل بوضع أساليب علاجية من شأنها تصحيح المفاهيم الخاطئة لدى المتعاطفين، أو حتى أصحاب هذا التوجه الخاطئ.

كما أوضحت وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد أن الوزارة تمكنت من ثني أكثر من (٨٠٠) شخص عن الغلو في الفكر، موضحًا أن (٢٥٠) من الفئة الغالية غيروا أفكارهم بعد حوارات مطولة معهم على شبكة المعلومات الدولية «الإنترنت»، أما الباقون فغيروا أفكارهم عبر حوارات تمت من خلال استشاراتٍ مباشرة، وخطوط هاتفية على مدار اليوم.

ومن الوسائل التي اتخذتها بلاد الحرمين الشريفين لتفعيل الحوار: شبكة المعلومات الدولية، حيث مدّت جسور التخاطب مع الكثير من المواقع بشأن محاربة الفكر التكفيري، وحققت في ذلك نجاحات متميزة مباركة – بفضل الله ومَنِّه.

∞ المطلب الثالث: جهود المملكة في الاهتمام بقضايا المرأة:

أَوْلت المملكة العربية السعودية اهتمامًا كبيرًا بالمرأة وقضاياها المعاصرة، وحرصت منذ عهد المؤسس الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في معناها ومبناها.

والمرأة ليست بمعزل عن أحكام الشريعة، بل شملتها الشريعة وشملت جميع شئونها، وضمنت مصالحها في المعاش والمعاد. والمرأة في المملكة لها مكانة خاصة، فهي بنتُ الحرمين الشريفين، مهبط الوحي، ومأرز الإسلام، فهنَّ ماء الوجوه، ومُقَل العيون، ودُررٌ مَصُونة، وجَواهر مكنونة.

لقد أرادت المملكة أن تحافظ للمرأة على وضعها الجوهري، وتعيد لها دورها الحيوي، الذي كانت عليه أول الإسلام، لتمثل نموذج المرأة المسلمة الذي تنشده المملكة.

ومن ثم انطلقت المملكة في تطبيق الشريعة من جميع نواحيها ومناحيها لاتفرق بين رجل وامرأة إلا فيما فرق الشرع الحنيف وهذه عين الوسطية وفحواها وفيما يلي بيان لبعض جهود المملكة في قضايا المرأة:

أولًا: في النظام الأساسي للحكم:

ينص النظام الأساسي للحُكْم في المملكة العربية السعودية، في مادته الثامنة على أن الحكم يقوم على أساس العدل والشورى والمساواة وفق الشريعة الإسلامية، ومنذ عهد الملك المؤسس الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يشهد تاريخ المملكة العربية السعودية أي تهميش من قِبل الدولة للمرأة، وإنما شهدت عهود ملوك المملكة العربية السعودية دعمهم الكبير لمختلف قضايا المرأة السعودية. وتُوِّجَتْ هذه السياسات بسياسة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ فمنذ توليه الحكم جاءت سياسته بالتعامل مع قضايا المرأة باعتبارها مواطنة مثلها مثل الرجل في الحقوق والواجبات، دون إفراط أو تفريط، فقد عمل رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أن تكون المرأة السعودية كاملة الأهلية بما يوافق الشريعة الإسلامية ويحقق مقاصدها، ويتلاءم مع التطورات الاجتماعية المتلاحقة، والتغيرات الحضارية المتعاقبة، لذا فالمملكة تسير سيرًا حثيثًا لتنال المرأة مكانتها العظيمة التي شرفها بها الإسلام الحنيف.

ثانيًا: في مجال التعليم:

لم تسمع المملكة للأصوات المتطرفة التي أرادت حصر المرأة في دائرة ضيقة لا تتعداها، فقامت بدعم تعليم الفتيات من خلال دعمها لفتح

المدارس الأهلية للبنات، وقامت بصرف المساعدات المالية وتشجيع الفتيات على الالتحاق بهذه المدارس، كما فتحت الدولة المعاهد لإعداد المعلمات لمختلف المراحل التعليمية.

ولم يقف تعليم المرأة عند هذا الحد بل تطور ليأخذ طريق التعليم العالي، بل والدرجات العلمية الرفيعة. فَأُنْشِئت الجامعات الخاصة بالبنات كجامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن بالرياض التي تستوعب حوالي ٤٠ ألف طالبة وتُعَدّ أول جامعة حكومية في المملكة العربية السعودية متكاملة خاصة للمرأة، فهي بحق صرح علمي وتطور حضاري.

وفي العام ذاته اعتمد وزير التربية والتعليم تحويل ثلاث إدارات تعليمية بالوكالة إلى إدارات نسائية؛ فأصبح هناك مديرة عامة لكل من الإدارة العامة للاختبارات والإدارة العامة للتوعية الإسلامية والإدارة العامة لبرامج محو الأمية خلفًا للمديرين السابقين.

وأنشأت المملكة مراكز تعليم الكبيرات التي تهدف إلى محو الأمية عند النساء الكبيرات.

ولقد جاء في المادة الثالثة والخمسين بعد المائة من وثيقة التعليم أن تعليم الفتاة يستهدف تربيتها تربية صحيحة إسلامية لتقوم بمهمتها في الحياة فتكون ربةَ بيتٍ ناجحةً، وزوجةً مثاليةً، وأُمًّا صالحةً، ولإعدادها للقيام بما يناسب فطرتها كالتدريس والتمريض والتطبيب.

ثالثًا: الأحوال الشخصية والأنظمة:

قال ﷺ: «**إنما النساء شقائق الرجال**»[١] ومن هذا المنطلق فلقد وجه خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ وزارة العدل بالعناية بشؤون المرأة وقضايا الأسرة، وإنشاء محاكم تُعنى بقضايا العنف الأسري.

كما قامت وزارة العدل بدراسة مشاركة المرأة النظامية للعمل في الاستشارات النسائية وإعطائها رخصًا للعمل في مكاتب نسائية خاصة في هذا المجال.

وأكد خادم الحرمين الشريفين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حوار صحفي حول قضايا المرأة «أن دور الدولة هو ضمان توفير المناخ الملائم لأي قرار يراه المجتمع مناسبًا بما ينسجم مع مبادئ الشريعة الإسلامية وتعاليمها التي ترتكز عليها الدولة».

وفي عام ٢٠٠٩ تم تخريج أول دفعة من الطالبات في تخصص الأنظمة من كلية الأنظمة والعلوم السياسية بجامعة الملك سعود، وعددهن ٤٩ طالبة.

وفي عام ٢٠١١ تأسست أول جمعية نسائية خيرية هي جمعية «مودة للحد من آثار الطلاق وأسبابه». فجهود المملكة في قوانين المرأة جهود حثيثة، ورعايتها لقضاياها رعاية نفيسة، فتضع القوانين وَفق الأحكام الشرعية، لتحقق مختلف المقاصد المرعية.

---

(١) أخرجه: أبوداود (١/ ٩٥) رقم(٢٣٦)، والترمذي (١/ ١٨٩) رقم(١٣٣).

رابعًا: الدعوة إلى الله تعالى:

ليست الدعوة إلى الله تعالى حكرًا على الرِّجال فحسبُ، بل هي واجبة على الرِّجال والنِّساء على حدٍّ سواء، كل بحسب علمه وقُدرته واستطاعته، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقال النبي ﷺ: «**مَن رأى مِنكم منكرًا فليغيِّرْه بيده، فإنْ لم يستطعْ فبلسانه، فإنْ لم يستطعْ فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»[(١)].

ولقد شهدت المملكة حراكًا ملحوظًا في مجال النشاط الدعوي النسائي، وصار ذلك النشاط عصبًا رئيسًا في الحياة الاجتماعية، وأصبحت المحاضرات التي تلقيها الداعيات في المؤسسات التعليمية، والمحاضن التربوية، والجمعيات الخيرية، والمخيمات الدعوية، والمعسكرات الصيفية، والحلقات الاجتماعية، إحدى ملامح وسمات الحياة الاجتماعية والثقافية للنساء السعوديات.

بل وشاركت كثير من الداعيات في العمل الصحفي والإعلامي بوسائله المختلفة والمتنوعة، وتنتشر في المملكة مدارس تحفيظ القرآن للبنات والجمعيات والمؤسسات الخيرية والدعوية.

ويتركز العمل الدعوي للداعيات على تثقيف المرأة وتوعيتها بدورها في المجتمع، وأهمية مشاركتها في صنع نهضة بلادها، وتنميتها، وتفعيل دورها، وعن المسؤولية الملقاة على عاتقها فيما يختص بإدارة منزلها، أو تربية أبنائها،

---

(١) أخرجه: مسلم في كتاب الإيمان رقم(١٨٦)، وأبو داود في كتاب الصلاة رقم(١١٤٢).

وطبيعة المراحل التي يمرون بها، وكيفية التعامل مع الإشكاليات التي لا تفتؤ ترمي بثقلها على ظهورهم اليانعة، وعن ماهية التحديات التي تواجهها الأسرة والمجتمع في وقتنا الحالي، بما يتلاءم مع أحكام الشريعة الإسلامية، ومقاصدها الشرعية.

فالنساء الداعيات جهودهن موفورة، ومساعيهن مشكورة، فهن يبذلن جهدًا كبيرًا في توجيه النساء وإرشادهن، بما يحقق للمرأة والمجتمع الأماني المَرْجُوَّة، والحياة المَرْفُوَّة.

خامسًا: المؤتمرات والمجالات العلمية والفكرية:

أتاحت المملكة للمرأة المشاركة في المؤتمرات والندوات العلمية والفكرية، فقد شارك أكثر من خمسين امرأة في المؤتمر العالمي في رحاب الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وكان من بينهن نساء من داخل المملكة وخارجها وكان عن جهود السعودية في خدمة الإسلام وتحت رعاية كريمة من خادم الحرمين الشريفين. وتعمل المملكة على توظيف الكفاءات النسائية في مختلف الميادين العلمية والعملية، فقد أصبحت المرأة السعودية طبيبة، ومعلمة، ومهندسة، ومربية وكاتبة وداعية، ولا تألوا المملكة جهدًا في إعطاء المرأة حقها بما يتلاءم مع أحكام الشريعة السمحة، ونصرة قضاياها بما يحفظ لها عفتها وكرامتها، وقد صرح ولي العهد صاحب السمو الملكي الأمير نايف ابن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن المرأة السعودية تعمل في معظم المجالات أسوة بأخيها الرجل، وليس هناك من قيود عليها في العمل إلا في الحدود الشرعية

التي لا تسمح بالاختلاط بين الجنسين، لما ينتج عنه من مفاسد نراها ونلمسها وليس من المصلحة السماح بها.

هذا هو الوضع المشرق المتلألئ للمرأة في المملكة، حيث تُحفَظ عفتُها، وتُصان كرامتُها.

والمملكة في هذا أنموذج لما جاء به الإسلام من حفظ أعراض النساء، فقد جعل العرض حرمًا مصونًا من سهام الألسن والعيون، ولا يُعرَف في تاريخ البشرية شِرْعةٌ من الشرائع أو أمة من الأمم حافظت على عِرْض المرأة وعفتها كما في الشريعة الإسلامية الغرّاء.

هذا غيض من فيض في جهود المملكة العربية السعودية في الحفاظ على هوية المرأة وتعزيز أدوارها الإيجابية في المجتمع، ومراعاة خصوصيتها وتميزها في شتى المجالات.



الخاتمة

وفي ختام هذه الرحلة العلمية العَبِقة، الهطلة بمُزون الفوائد الوَدِقة، وقبل مبارحة القرطاس، والإرباع عن القول الصحيح والنبراس، يطيب لي في هذه الخاتمة أن أُسَطِّر من أهم النتائج غُرَرَها، ومن أنفس الفوائد دُرَرَها، في تواشج منطقي، ومن الله أستلهم التوفيق وحسن الختام.

أولًا: أهم النتائج:

وإليك أهمها في عقدٍ نظيم يحوي ما يلي:

١- الوسطية تحمل كل معاني الخير والرشاد والعدل، فهي لا تأتي إلا بخير.

٢- الأمة في حاجة ماسة ودائمة إلى الوسطية والاعتدال في كل زمان ومكان.

٣- الوسطية تعتمد على أصلين عظيمين: الكتاب والسنة؛ لذا فهي نور وسط ظلمات الفتن، ونجاة لمن تمسك بها.

٤- التيسير من أهم سمات الوسطية، ومن أهم مقاصد الشريعة الإسلامية.

٥- تميز الشريعة الإسلامية عن باقي الشرائع بالوسطية والاعتدال في الاعتقاد والمنهج والعبادات؛ لذا فأصحابها هم أصحاب الصراط المستقيم.

٦- وجوب التزام منهج أهل السنة والجماعة؛ لأنه المنهج الوسط بين الفرق التي انحرفت عن الصراط المستقيم.

٧- الاعتصام بالوسطية هو حبل النجاة وسط التيارات المنحرفة والضالة.

٨- الوسطية تحمل معنى الخيرية التي هي من أهم صفات الأمة المحمدية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

٩- وسطية أمة الإسلام جعلتها شاهدة على بقية الأمم، وكفى بها فخرا!

١٠- التشدد والغلو يؤديان إلى نتائج وخيمة وعواقب غير محمودة في العاجل والآجل.

١١- الوسطية مرونة وقوة، بخلاف التشدد والغلو فإنه شؤم وهلاك.

١٢- وسطية الإسلام سبب من أسباب صموده على طول الزمان ضد محاولات النيل منه والتنقص من أهله.

١٣- الوسطية حصن حصين وملاذ مكين للشباب من الأفكار الضالة والمنحرفة التي تهوي بهم في مكان سحيق.

١٤- مسؤولية الأسرة عظيمة ومهمة في التربية القائمة على أسس شرعية، حيث تعمق معنى الوسطية لدى النشء.

١٥- عِظَم مسؤولية المجتمع في القضاء على الغلو والتشدد، وذلك بنشر الوسطية وتعميق معناها من خلال قنواته المختلفة من وسائل الإعلام والمساجد والمدارس.

١٦- الاعتصام بالكتاب والسنة ولزوم جماعة المسلمين أهم أسباب تحقيق الوسطية الإسلامية.

١٧- ربانية الوسطية جعلها توافق الفطرة الإنسانية، وتتميز بالشمول والكمال.

١٨- وسطية الفكر تؤدي إلى حسن التصرف وسلامة السلوك من الانحراف.

١٩- الجهل والتعصب والهوى أهم معوقات تحقيق الوسطية، وعلاجهم يكون بالرجوع إلى العلم الشرعي والعلماء وولاة الأمر خاصة في النوازل.

ثانيًا: أهم التوصيات:

وبعد أن انتظمت أهم لآلئ الكتاب في سلك نتائجه، أهدي إليك -أخي القارئ الكريم- أهم التوصيات التي أرجو أن يعم نفعها وخيرها، وهي في رؤوس موضوعات كالتالي:

١- ضرورة توعية أفراد المجتمع بأهمية الوسطية والاعتدال، وحث المجتمع على التمسك بها، وتطبيقها في جميع مناحي الحياة الدينية والدنيوية.

٢- توحيد الجهود لنشر منهج الوسطية في الشؤون المختلفة من عبادات ومعاملات.

٣- استنهاض همم العلماء الربانيين والدعاة المخلصين للقيام بدورهم

الراشد في تحصين الأمة من الأفكار المنحرفة والمتعصبة التي تعمل على تقويض الوسطية والاعتدال.

٤- أهمية قيام الأسرة بدورها الرائد في التربية، والحفاظ على النشء من التيارات الفكرية المنحرفة.

٥- تشكيل مجالس تنسيقية بين القطاعات الحكومية والأهلية، تهدف إلى التعاون الأمثل لتوعية الشباب وجميع شرائح المجتمع بأهمية الاعتدال والوسطية ومحاربة الفكر الضال.

٦- عقد مؤتمرات وندوات دورية لتوعية المجتمع بأهمية الوسطية.

٧- إنشاء قناة فضائية مختصة بنشر منهج الوسطية والاعتدال.

٨- إنشاء مركز عالمي لرعاية الوسطية، والعمل على تحقيقها وتعزيزها.

٩- العمل على طباعة ونشر الكتب التي تحارب التعصب والغلو وتدعو إلى الوسطية، إسهامًا في بث الوعي الفكري في الأمة.

١٠- إضافة مادة دراسية تعنى بالوسطية في المقررات الدراسية في المدارس والجامعات.

١١- تجلية الشبهات حول الغلو والتطرف، وبيان خطرهما على الفرد والأمة.

١٢- العمل على علاج ظواهر الانحراف الفكري التي تؤدي إلى انحراف السلوك والأفعال.

١٣- العمل على تجفيف منابع الأفكار الضالة، واجتثاث الوسائل المغذية لها، والتصدي لجميع أنواع الغزو الفكري.

١٤- العمل على إحياء رسالة المسجد، والعناية بحسن اختيار الأئمة والخطباء، وإقامة الدورات المكثفة لرفع مستواهم الفكري والعلمي.

١٥- التركيز على ربط الأجيال بالمبادئ الإسلامية والعقيدة الصحيحة والمنهج الوسطي المعتدل، فلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا جفاء.

وبعد: فقد اكتمل هذا الكتاب واستتم، والحمد لله على ما أولى من الإعانة والإصابة، وأسأله -سبحانه- مغفرة الذنوب، ما ظهر منها وما اكتتم، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا لعباده، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصَلِّ الله وسلم وبارك على نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	السورة والآية	مواردها
	عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	
١٣٦	﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾	١٠٩
١٤٣	﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾	٤، ٥، ٢١، ٢٢، ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٤٢، ٦١، ٨٣، ١٨٢، ١٩٩
١٧٠	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾	٢٥٩
١٧٨	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ﴾	١٣٩، ٢٢٤
١٨٥	﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾	٦٧، ١٤٩، ١٧١، ٢١٧
٢٠٤-٢٠٦	﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾	٢٨٠
٢١٣	﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ	٨٨، ١١٥

رقم الآية	السورة والآية	موردها
	وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾	
٢٢٢	﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾	١٦٤
٢٣٢	﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾	١٦٩
٢٣٣	﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾	١٣٠
٢٤٥	﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾	٩١
٢٥٣	﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾	٤٤
٢٥٣	﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾	١٤٩
٢٦٠	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾	٢٤٩
٢٧٣	﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ﴾	٢٠١
٢٧٥-٢٧٦	﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ (٢٧٥) يَمْحَقُ	١٢٣

رقم الآية	السورة والآية	موردها
	ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾	
٢٨٥	﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾	٣٦، ٤٤، ٩٨، ١٠٩
٢٨٦	﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ ﴾	٦٧
	سورة آل عمران	
٧	﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ ﴾	٢٥٠
١٤	﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴾	١٦٦
١٩	﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾	٨٩

رقم الآية	السورة والآية	موردها
٣٣	﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	١٠٩
٦٧	﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾	١١٢
١٠١	﴿ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾	١١٦
١٠٣	﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾	١٨٢، ١٩٠
١٠٤	﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾	٣٩، ٤٠، ٣١٦
١٠٥- ١٠٦	﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴾	٢٠٩، ٢٥٣، ٢٥٤
١١٠	﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ ﴾	٢١، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٤٢، ٥١، ٣٢٠
١١٢	﴿ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾	١٨٣
١٥٤	﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ ﴾	٢٠٢

رقم الآية	السورة والآية	موردها
٥٤-٥٥	﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾	٢٤٣
٥٩	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾	١٧٨، ١٨٣، ١٨٨، ٢٠٤
٦٥	﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ ﴾	٢٤٧
٨٢	﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾	٦٠
٨٣	﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	٧٧، ١٧٥، ١٧٨، ١٧٩
٩٢	﴿ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ ﴾	٢٧٩
٩٣	﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ	٢٢٤، ٢٧٩

رقم الآية	السورة والآية	مواردها
	وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾	
١١٥	﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾	٢٥٤
١١٦	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾	١٣٩
١٣٥	﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ ﴾	٢٥٧
١٥٠- ١٥١	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾	١٠٣، ١٠٤، ١٠٨
١٥٢	﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾	٣٧
١٥٧- ١٥٨	﴿ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴾	١٠٧

رقم الآية	السورة والآية	مواردها
	ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾	
١٧	﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ ﴾	٩٦
٢٠-٢٥	﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾	١٠٥
٢٤	﴿ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾	١٠٥، ١١٠
٢٦	﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾	١٠٦
٤٤	﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ	٨٩، ١٠٦، ١٢٤، ٢٢٤

رقم الآية	السورة والآية	موردها
	بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾	
٤٨	﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ ﴾	٤٧
٦٤	﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ ﴾	٩١، ٩٢
٧٣	﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	٩٧
٧٧	﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾	٢١٣، ٢١٤
٧٨، ٧٩	﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ (٧٨) كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾	٣٩

رقم الآية	السورة والآية	موردها
٩٢	﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾	٢٠٤
١٠٤	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾	٢٤٣، ٢٥٩
	سورة الأنعام	
٣٨	﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾	٢٦٤
٥٧	﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾	٢٢٣
٨٢	﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾	١٩٨، ٢٢٨، ٢٣٠
١١١	﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾	١٨٩
١٢٥	﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾	١٤٩، ٢٤٨
١٥٣	﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾	٣٠، ٨٤، ١١٦، ١٧٤، ٢٠٣، ٢٥٣
١٥٩	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ	١٥١، ٢١٠،

رقم الآية	السورة والآية	موردها
	إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾	٢٥٤
١٦١	﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾	٥٦
	سورة الأعراف	
٣٢	﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾	١٦٧
٦٥	﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۗ﴾	٤٥
٧٣	﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۗ﴾	٤٥
٨٠	﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ﴾	٤٥
٨٥	﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۗ﴾	٤٥
٩٦	﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾	٢٢٩
١٣٨	﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾	١١٧
١٣٩-	﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٩﴾	١١٨

رقم الآية	السورة والآية	موردها
١٤١	قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾	
١٤٢	﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ﴾	٦٣
١٤٨	﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾	١١٨
١٥٨	﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ﴾	٤٥، ٦٣
١٨٠	﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾	٩٩، ١٤٠
١٩٩	﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾	٣٩، ١٩٣
	سورة الأنفال	
٢	﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾	١٣٨
٦٠	﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ	١٦٥، ٣٠٤

رقم الآية	السورة والآية	موردها
٧١	﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	٢٨١
١٢٨	﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾	٢٥
	سورة هود	
١١٢	﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾	١١٦
	سورة يوسف	
١٧	﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾	١٣٥
٢١	﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	٦
٤٠	﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	١١٢
٨٩	﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴾	٢٠١
	سورة الرعد	
٢٠	﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴾	١٩٨

رقم الآية	السورة والآية	موردها
٣٤	﴿ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾	٢٨٩
٣٦	﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾	١١٥
٨٥	﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾	١٥٩
٨٨	﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾	٤٨
	سورة الكهف	
٥	﴿ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَآئِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾	١٨٧
١٣	﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى ﴾	١٥٧
٢٨	﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾	٢٤٠
٦٦	﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾	١٨٦
	سورة طه	
٤٥	﴿ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾	٢٣
٨٨	﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَـٰذَآ إِلَـٰهُكُمْ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴾	١٦٣
١١٤	﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾	١١٤، ١٨٧
١٢٤-	﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا	٢٤٨

رقم الآية	السورة والآية	موردها
	قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ ﴾	
٦١	﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾	٦٧
٦٣	﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	١٨٣
	سورة الشعراء	
٦٣	﴿ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾	١٣٠
٧٨	﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾	٥٨
١١١	﴿ أَنُؤْمِنُ لَكَ ﴾	١٣٥
	سورة القصص	
٤-٦	﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ (٤) وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾	١١٧
٥٠	﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ﴾	٧٩، ١٣٣، ١٨٩، ٢٠٣،

رقم الآية	السورة والآية	موردها
	ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾	
	سورة الأحزاب	
٧	﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴾	٤٤
٢١	﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾	٢٥، ٥٧
٢٢	﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾	٢٥٠
٣٢	﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾	١٦٩
٣٣	﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ ﴾	١٦٩، ٢٠٢
٤٠	﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾	٤٦، ١٠٩
٦٩	﴿ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ ﴾	١٠٧
٧٢	﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ	٢٦٧

رقم الآية	السورة والآية	موردها
٥٦	﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴾	٢٣
٦٤	﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾	١٨٧، ٢٠٢
	سورة غافر	
٢٩	﴿ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ ﴾	١٢٣
٤٠	﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾	١٧٠
	سورة فصلت	
١٢	﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ ﴾	١٤٣
٣٤	﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾	١٩٩
٤٢	﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾	٢٥، ٤٧
	سورة الشورى	
١١	﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾	٩٩، ١٤١
١٣	﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ	٤٤

رقم الآية	السورة والآية	موردها
	الْجَاهِلِيَّةِ ﴾	
٢٩	﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾	٢٢١
	سورة الحجرات	
٩	﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾	١٣٩، ٢٢٤، ٣٠٥
١٣	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾	١٧٠
	سورة ق	
٣٨	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾	٩٣
	سورة النجم	
٣-٥	﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾	٦٠
١٠	﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾	١١٢

رقم الآية	السورة والآية	موردها
	سورة عبس	
١	﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾	٧٥
	سورة التين	
٤	﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴾	٥٩
	سورة العصر	
١ - ٣	﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾	٢٨١
	سورة قريش	
١ - ٤	﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴾	٢٢٩
	سورة الإخلاص	
١ - ٤	﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾	٩٩



فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	الصفحة

الحديث	الصفحة

الحديث	الصفحة



فهرس الأعلام



فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

* كتب التفسير وعلوم القرآن:

٢- تفسير القرآن العظيم، تحقيق/ محمد إبراهيم البنا، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٣- تفسير المراغي، دار إحياء التراث العربي.

٤- تفسير المنار، للشيخ محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.

٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد، الأوس، دار الصفا، السعودية.

٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق الشيخ محمود شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط٢.

٧- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق د/ عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٧هـ.

٨- روح المعاني للألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، المكتب الإسلامي، ط٣، عام ١٤٠٤هـ.

١٠- محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، لبنان، ط٢، ١٣٩٨هـ.

١١- معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، تحقيق محمد عبدالله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان محمد الحرش، دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ.

١٢- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد، المتوفى سنة ٥٠٢هـ، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة – بيروت.

١٣- النكت والعيون للماوردي، تحقيق السيد عبدالمقصود، دار الكتب العلمية، بيروت.

*** كتب العقيدة والفرق:**

١٤- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، لابن بطة، دار الراية، الرياض، ط٢، ١٤١٥هـ.

١٥- أصول مذهب الشيعة، د/ ناصر القفاري، ط٢، عام ١٤١٥هـ.

١٦- أصول وعقائد الشيعة، د/ حافظ موسى عامر، مكتبة الإمام البخاري، ط١، عام ١٤٢٧هـ.

١٧- الاعتصام، للشاطبي إبراهيم بن موسى، دار عمر الخطاب – مصر.

١٨- اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية، تحقيق ناصر العقل، وزارة الشئون الإسلامية السعودية، ط٧، عام ١٤١٩هـ.

١٩- تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، أبوالبقاء صالح الهاشمي، تحقيق محمود عبدالرحمن قدح، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.

٢٠- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح.

٢١- الخوارج وتاريخهم وآراؤهم الاعتقادية، د/ غالب العواجي، ط١، عام ١٤١٨هـ.

٢٢- درء تعارض العقل والنقل، تحقيق د/ محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية.

٢٣- دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د/ سعود الخلف، دار أضواء السلف، ط٣.

٢٤- شرح أصول أهل السنة والجماعة للالكائي، تحقيق د/ أحمد الغامدي، دار طيبة، الرياض، ط٤، عام ١٤١٦هـ.

٢٥- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، تحقيق: التركي وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٦- الشرح والإبانة على أصول الديانة لابن بطة العكبري، تحقيق رضا نعسان معطي، الطبعة الثانية.

٢٧- الشريعة للآجري، جمعية إحياء التراث، الكويت.

٢٨- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر، لابن القيم، مصطفى أبوالنضر الشلبي، مكتبة السوادي، جدة، ط٢، ١٤١٥هـ.

٢٩- الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، عبدالرزاق بن عبدالمحسن العباد، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤١٤هـ.

٣٠- عقيدة أهل السنة والجماعة، د/ سعيد بن مسفر القحطاني، دار طيبة الخضراء، ط١، عام ١٤٢٢هـ.

٣١- الفرق بين الفرق، عبدالقاهر البغدادي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٣، عام ١٩٧٨م.
٣٢- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري، (ت٤٥٦هـ)، دار الفكر – بيروت، ١٣٢٠هـ.
٣٣- الفكر الديني اليهودي.
٣٤- القول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين، سليمان بن عبدالله وخالد بن علي، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.
٣٥- متن القصيدة النونية لابن القيم، تأليف محمد بن أبي بكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، ١٤١٧هـ.
٣٦- الملل والنحل، للشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ.
٣٧- المواقف، للإيجي، تحقيق عبدالرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.
٣٨- موسوعة الأديان والمذاهب، لعبد الرزاق محمد أسود، ط٢ - ١٤٢٤هـ، الدار العربية للموسوعات - بيروت.
٣٩- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، لمانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، الرياض، ط٣، ١٤١٨هـ.
٤٠- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن القيم، تحقيق محمد أحمد الحاج، دار القلم دار الشامية، جدة، ط١، ١٤١٦هـ.
٤١- وسطية أهل السنة بين الفرق، محمد باكريم، دار الراية، الرياض.

٤٢- الوسطية عند أهل السنة والجماعة، فهد بن سليمان التويجري، ط١، عام ١٤٣١هـ.

٤٣- الوشيعة في نقد عقائد الشيعة، موسى جار الله، باكستان، ط٣، ١٤٠٣هـ.

*** كتب الحديث وشروحه:**

٤٤- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للإمام أبي العلي محمد عبدالرحمن المباركفوري، دار الفكر، ط٣، سنة١٣٩٩هـ.

٤٥- تهذيب التهذيب لابن حجر، ط: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، سنة ١٣٢٧هـ.

٤٦- جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي.

٤٧- سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٤٨- السنة لابن أبي عاصم مع ظلال الجنة، للألباني، المكتب الإسلامي، ط٣، لعام ١٤١٣هـ.

٤٩- سنن ابن ماجة، تحقيق/ محمد مصطفى الأعظمي، شركة الطباعة العربية، ط٢، عام ١٤٠٤هـ.

٥٠- سنن أبي داود، تحقيق/ أحمد شاكر، محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.

٥١- سنن الترمذي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٥٢- السنن الصغير، للبيهقي، تحقيق عبدالسلام عبدالشافي وأحمد قباني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٥٣- السنن الكبرى، البيهقي أحمد بن علي بن حسين، تحقيق: هاشم الندوي وآخرون، دائرة المعارف، الهند، ١٣٥٥هـ.

٥٤- سنن النسائي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٤، سنة ١٤١٤ه.

٥٥- السيرة النبوية، لابن هشام، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٥م.

٥٦- شرح السنة، للبغوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط و محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٥٧- شرح سنن أبي داود، للعيني، تحقيق أبوالمنذر خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.

٥٨- شرح صحيح مسلم للنووي، دار أبي حيان، القاهرة، طبع على نفقة سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم.

٥٩- شرح مشكل الآثار، للطحاوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥هـ.

٦٠- صحيح ابن خزيمة، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت.

٦١- صحيح البخاري، دار ابن رجب، ط١، عام ١٤٢٥ه-٢٠٠٤م.

٦٢- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣ه.

٦٣- علل الحديث، لابن أبي حاتم، إشراف سعد بن عبدالله الحميد وخالد بن عبدالرحمن الجريسي، مطابع الحميضي، ط١، ١٤٢٧هـ.

٦٤- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر العسقلاني، دار أبي حيان، القاهرة، طبع على نفقة سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم.

٦٥- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، لابن رجب، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤١٧هـ.

٦٦- المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص للذهبي، لأبو عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العربي – بيروت.

٦٧- مسند الإمام أحمد، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، عام ١٤٢١ه.

٦٨- المصنف في الأحاديث والآثار، لابن أبي شيبة، عبدالله بن محمد الكوفي، الدار السلفية، الطبعة الثالثة، الهند، ١٣٩٩هـ.

٦٩- المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق/ حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م، مكتبة العلوم والحكم-الموصل.

٧٠- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس القرطبي، تحقيق محيي الدين ديب مستو وأحمد محمد السيد وآخرون، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤١٧هـ.

٧١- موطأ الإمام مالك، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ.

٧٢- النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي- محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية- بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

* كتب الفقه وأصوله:

٧٣- الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان، لابن نجيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ.

٧٤- الأشباه والنظائر، عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١هـ، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٤١٨هـ.

٧٥- إعلام الموقعين عن رب العالمين: ابن القيم، محمد بن أبي بكر - دار الفكر - بيروت.

٧٦- التنقيح في شرح العروة الوثقى (فقه شيعي)، تأليف علي الغروي التبريزي، مؤسسة معارف أهل البيت.

٧٧- جامع المسائل، لابن تيمية، تحقيق محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٢هـ.

٧٨- زاد المعاد، ابن القيم، محمد بن أبي بكر الزرعي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة العاشرة ١٤٠٥هـ.

٧٩- طبقات الحفاظ: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر - دار الكتب العلمية - ط١ - لبنان - ١٤٠٣هـ.

٨٠- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، المتوفى سنة ٦٦٠هـ، مؤسسة الريان، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٨١- مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم وولده محمد.

٨٢- مقاصد الشريعة، لابن عاشور، تحقيق محمد الحبيب بن خوجه، وزارة الأوقاف القطرية، عام ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٨٣- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبوالحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٩هـ.

٨٤- الموافقات للشاطبي، تحقيق مشهور بن حسن سليمان، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ.

* **كتب اللغة والمعاجم:**

٨٥- أساس البلاغة للزمخشري، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٨٦- الأمالي ويليه الذيل والتنبيه للبكري، إسماعيل بن القاسم القالي، تحقيق محمد عبدالجواد الأصمعي، دار الكتاب العربي، بيروت.

٨٧- البيان والتبيين، للجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

٨٨- ديوان أبي العلاء المعري.

٨٩- ديوان الإمام عبدالله بن المبارك، سعد كريم الفيقي، دار اليقين، المنصورة، ط١، ١٤٢١هـ.

٩٠- ديوان الإمام علي بن أبي طالب، تحقيق سعيد كريم الفقي، دار اليقين، المنصورة، ط١، ١٤٢١هـ.

٩١- ديوان جرير.

٩٢- ديوان طرفة بن العبد.

٩٣- ديون الإمام الشافعي، مؤسسة الزعبي، بيروت، ط٣، عام ١٣٩٢هـ-١٩٧٤م.

٩٤- زهر الأكم في الأمثال والحكم، نورالدين اليوسي، تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٤٠١هـ.

٩٥- الصحاح للجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور، دار العلم للملايين، ط١، عام ١٣٧٦هـ.

٩٦- العزلة، للخطابي، المطبعة السلفية، القاهرة، ط٢، ١٣٩٩هـ.

٩٧- لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط١، عام ٢٠٠٠م.

٩٨- محيط المحيط، بطرس البستاني، مكتبة لبنان.

٩٩- المحيط للفيروزآبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام ١٤١٥هـ.

١٠٠- معجم الأدباء، ياقوت بن عبدالله الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٠١- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبدالقادر، محمد النجار)، دار الدعوة.

١٠٢- مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠٣- موسوعة الشعر العربي، جامعة أم القرى، ط١، ١٤١٩هـ.

١٠٤- نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري، تحقيق مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.

* كتب التاريخ والتراجم:

١٠٥- الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، ط١٥.

١٠٦- البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٠٧- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني، محمد بن علي، دار المعرفة، بيروت.

١٠٨- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان صيدا.

١٠٩- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ٥٢ جزء، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت٧٤٨، تحقيق/ عمر عبد السلام، دار الكتاب العربي- بيروت، ط/ ٣، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

١١٠- تاريخ بغداد، الخطيب أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١١١- تذكرة الحفاظ، الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان، تحقيق: عبدالرحمن بن يحيى المعلمي، دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الرابعة ١٣٨٨هـ.

١١٢- الثقات، لابن حبان، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط١، ١٣٩٣هـ.

١١٣- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي- بيروت، ط٤ - ١٤٠٥هـ.

١١٤- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة (٨٥٢هـ)، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، وط دار الجيل، بيروت.

١١٥- الديباج المذهب، لابن فرحون إبراهيم بن علي المالكي - دار التراث - القاهرة.

١١٦- الذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب، دار المعرفة، بيروت.

١١٧- السلوك في طبقات العلماء والملوك، بهاء الدين الجندي اليمني، تحقيق محمد ابن الحسين الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط٢، ١٩٩٥م.

١١٨- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ.

١١٩- شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

١٢٠- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبدالفتاح محمد الحلو. هجر للطباعة والنشر، ط٢، ١٤١٣هـ.

١٢١- طبقات الفقهاء، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي الشافعي، ت٤٧٦هـ، تحقيق/ إحسان عباس، دار الرائد العربي - بيروت، ١٤٠١هـ.

١٢٢- الطبقات الكبرى، لابن سعد محمد بن سعيد بن منيع البصري، دار صابر - بيروت.

١٢٣- طبقات المفسرين، لأحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، ط الأولى، دار العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٧هـ.

١٢٤- فوات الوفيات والذيل عليها، لمحمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة - بيروت.

١٢٥- لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٢، ١٣٩٠هـ.

١٢٦- مشاهير علماء نجد، عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، طبع على نفقة المؤلف بإشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ط١، ١٣٩٢هـ.

١٢٧- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٢٨- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦٨هـ.

١٢٩- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التمبكتي، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط١ ١٣٩٢هـ - ١٩٨٩م.

١٣٠- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، ط٢، ١٣٨١هـ.

١٣١- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

١٣٢- الوفيات، ابن رافع السلامي، تحقيق صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ.

* كتب أخرى:

١٣٣- أصول الحسبة في الإسلام (دراسة تأصيلية مقارنة)، محمد كمال الدين إمام، دار الهداية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

١٣٤- إعلام الأنام بحرمة أهل العلم والإسلام، محمد أحمد إسماعيل المقدم، دار العقيدة للتراث، مصر، ط١، ١٤١٩هـ.

١٣٥- الإعلام السعودي في خدمة القرآن الكريم، محمد المخلف، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٣٦- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د/ عبدالعزيز الفوزان، دار طيبة الخضراء، عام ١٤٢٤هـ.

١٣٧- بدائع الفوائد، لابن القيم، المتوفى سنة ٧٥١هـ، دار الكتاب العربي،

بيروت، لبنان.
١٣٨- التطرف الديني وأبعاده أمنيًا وسياسيًا واجتماعيًا، جاد الحق، جماعة أنصار السنة المحمدية، القاهرة.
١٣٩- جامع بيان العلم وفضله، لابن عبدالبر، تحقيق أبوالاشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، ط٢، عام ١٤١٦هـ.
١٤٠- الدعوة في عهد الملك عبد العزيز، د. محمد بن ناصر الشثري، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.
١٤١- ذم الهوى، لابن الجوزي، تحقيق مصطفى عبدالواحد، مراجعة محمد الغزالي.
١٤٢- الروح، لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
١٤٣- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لابن القيم، دار عالم الفوائد، ط١، عام ١٤٣١هـ.
١٤٤- السبق التربوي في فكر الشافعي، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، عام ١٤٠٩هـ.
١٤٥- طاعة ولي الأمر وأثرها في تحقيق أمن الوطن، أحمد بن يوسف بن أحمد الدريويش، دار كنوز إشبيليا، ط١، ١٤٢٦هـ.
١٤٦- عناية الملك عبد العزيز بالعقيدة السلفية ودفاعه عنها، د. محمد بن عبد الرحمن الخميس، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

١٤٧- قرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

١٤٨- ماذا خسر العالَم بانحطاط المسلمين، أبوالحسن الندوي، الاتحاد الإسلامي العالمي، عام ١٤٠١هـ.

١٤٩- مجلة المجمع العلمي العربي.

١٥٠- مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، عام ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

١٥١- المستظرف من كل فن مستطرف، محمد بن أحمد الأبشيهي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأخيرة.

١٥٢- مشكلة الغلو في الدين، عبدالرحمن اللويحق، ط١، عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

١٥٣- من شيم العرب، فهد المبارك، الطبعة الثانية، ١٣٨٣هـ، ١٩٦٣م.

١٥٤- الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة، ١٩٨٨م.

١٥٥- الوسطية في التربية الإسلامية، د. عبدالله الزهراني، دار طيبة الخضراء، ط١، عام ١٤٢٤هـ.



فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة



تنفيذ: إدارة المطبوعات والنشر